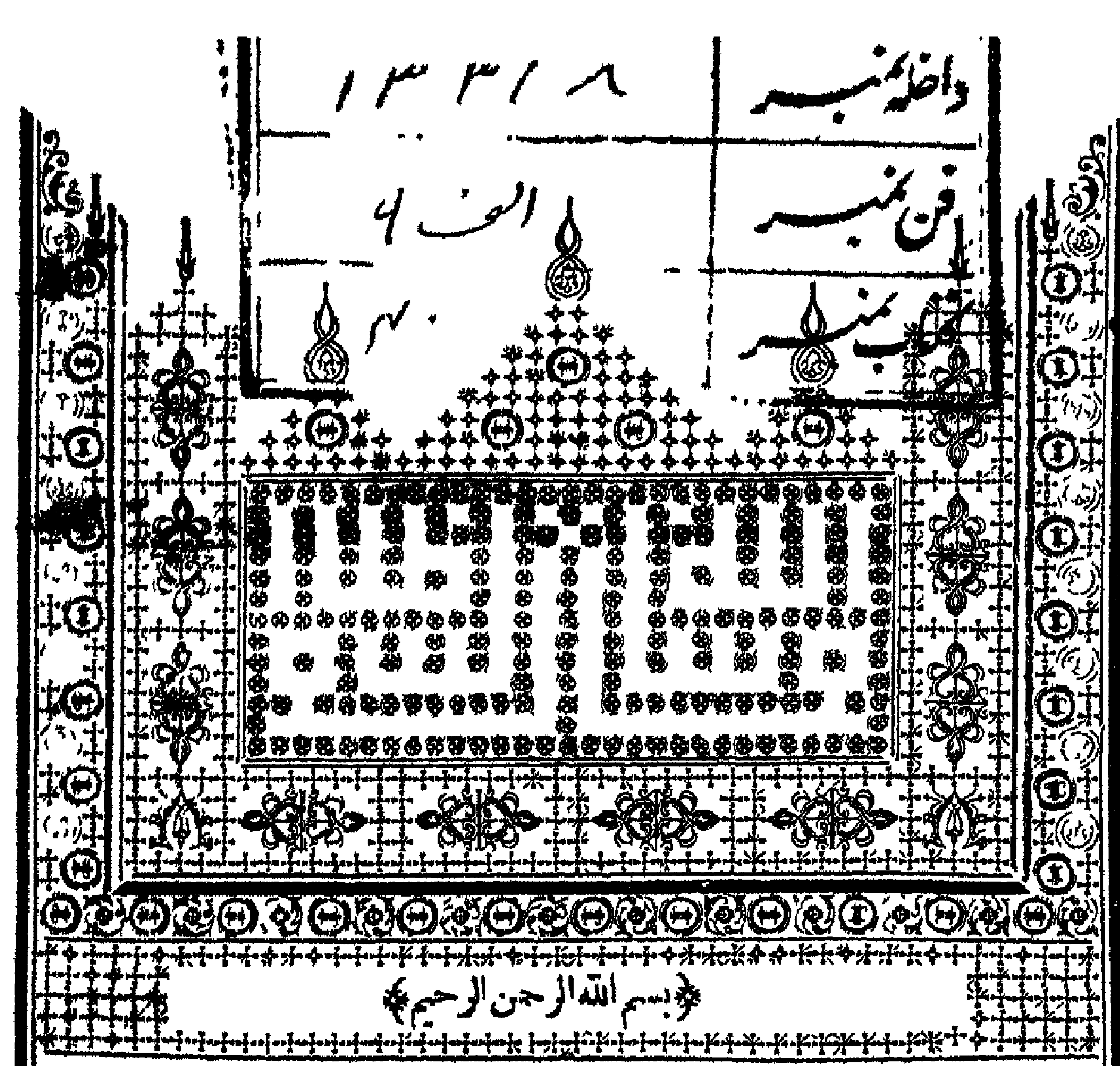


نتائج الاحوال فى الاقوال والافعال لدوحة الادب والبراعه

وربة لقريحة السلسة المطواعه والدراية الراسخه
التى لما تقدمى اناسخه الرافلة فى حلل السرور
والحبور المصونة عائشة عصمت بنت
المرحوم اسمعيل باشا تيمور ادخلها
الله سبل الهنا وبلغها
أمانيها آمين

مطبعة محمد افندى مصطفى



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبحان من أنار لاولى البصيرة مصباح الفلاح والهدى * وجعل ذلك السنا سراجا وهاجا في سبل النجاح لمن اهتدى * وأفعم زجاجة الفكر من صافى عطر التأمل والاستبصار * حتى غدت بلوامع المعرفة كأنها كوكب درى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار * فنحمد من زين صحائف أصدق الحديث بأحاسن محاسن البيان * وأشرق في مطالع أفكار كل عارف جوهر ختام ففهمناها سليمان * فيالها منة خصت بها الحقيقة الانسانيه * ونعمة تشرفت بها النفس الناطقة فكان لها فائق الفضل والاسبقيه * فاذا يجب على من تحقق بفضيلة الانسانية الطاهره * وتقلد بحلى تلك المواهب الربانية الباهره * أن يجعل حديقة المعرفة مجال حدقة أنظاره * ومقتطف ثمار الادراك موضع سوانح أفكاره * وان يطيل في فدافد التأمل سعيه محترسا عن زلة القدم * مستصحبا لثابت العزم المتين متعرضا لعواطف الكرم * وان يتفقد بدقة الامعان مواطن الهدايه * حتى يصل بدلالة التبصر لمأوى الامل والوقايه * فنسأله التوفيق لحسن السلوك * والمنة بعتق كل عبد في يد الغفلة مملوك * والصلاة والسلام على حبيبه امام المتقين وشفيع المذنبين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين * ﴿وبعد﴾ فتقول ذات الجناح المكسور * عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور * انى منذ انطوى وساد مهدى * وجال على بساط البسيطة قدى * وأدركت مواطن غوايتى ورشدى * ووعيت حرمة والدى وجدى * أجد طفل قصدى شغفا لرضاع

انجبار

أخبار من غبر من الامم * وكهل جدي مائلا الى استقصاء أحاديث من كان في سالف القدم * فكنت أشغف بمسامرة الكبر من النساء لسماع أحسن الخبر * والتقط من تلك النوادر أعاجيب القدر * وأتأمل باستطاع جهدي فيما يرد على من أنواع الجد والهزر * وأحتطف ما يسمعه وعاء وعيي من ثمر ذلك السمر * حيث لا طاقة لي على خلاف ذلك السماع * ولا سبيل لسعيي الى التمتع بغير ذلك المتاع * فلما تهيأ العقل للترقي * وبلغ الفهم درجة التلقي * تقدمت الحربة الحنانة والعفاف * وذخيرة المعرفة والانصاف * والدتي تغمدها الله بالرحمة والغفران بادوات التطريز والنسج وصارت تجد في تعليمي * وتجتهد في تفطني وتفهيمي * وأنا لا أستطيع التلقي * ولا أقبل في حرفة النساء الترقي * وكنت أفر منها فرار الصيد من الشبائك * وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك * فاجد صرير القلم في القرطاس أشهى نغمه * وأتحقق ان اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمه * وكنت ألتمس من نسوتي قطع القراطيس وصغار الاقلام * وأعتكف منفردة عن الانام * وأقلد الكتاب في التحرير * لابتهج بسماع هذا الصرير * فتأتي والدتي وتعنفني بالتكدير والتهديد فلم أزد الا نفورا * وعن صنعة التطريز قصورا * فبادر والدي تغمده الله بالغفران ثراه * وجعل غرف الفردوس مأواه * وقال لها دعي لي هذه الطفلة للقرطاس والقلم * ودونك شقيقتها فأدبيها بما شئت من الحكم * ثم أخذ بيدي وخرج بي الى محفل الكتاب ورتب لي استاذين أحدهما لتعليم اللغة الفارسيه * والثاني لتلقين العلوم العربيه * وصار يسمع ما أتلقاه من الدروس كل ليلة بنفسه حتى تفطنت شيأ فشيأ فوجدت في نفسي ميلا الى تعلم الشعر مكان أول نطقي فيه باللغة الفارسية ثم اجتهدت في التعليم فلم أتخلف يوما ولم أتوقف ولما تحلى مذاقي بحلاوة تلاوة كلام الله القديم * وتمت ملتمسة للفتح بفصل بسم الله الرحمن الرحيم * ووفقني الفتاح بفتح خلية ذلك الشهد الصافي * والارتواء من ذلك المنهل الكريم الشافي * فمازلت أقتبس ضياء التفقه من سرج التلاوة * وألتمس عذوبة الهداية من صحاف زبدة هاتيك الحلاوة * حتى فطنت لمطالعة الاساطير * وأدركت من بدائع المعاني الجم الغفير * ولم أكن أهلا لاقتناء تلك البضاعه * ولا كفؤ الجوهر هذه الصناعه * وانما قد عود الخالق مخلوقه بالمن والكرم * وعلم الانسان ما لم يعلم * فطالعت من التواريخ ما قدرت على ان تدانيه * وما أمكن فكري القاصر ان تصل الى فهم معانيه * حيث لم يمكن لي دخول محافل العلماء المتفقهين * ولم تسعني مجالس الفضلاء المتبحرين * فكم التهب صدري بنار شوق رياض محافلهم اليوانع * وأدرجني على حرماني من اجتناء ثمرات فوائدهم درر المدامع * وقد عاقني عن الفوز بهذا الامل حجاب خيمة الازار * وحجبني قفل خدر التأنيث عن سناء تلك الاقمار * وأحلاني بسجن الجهل حليف أثقال وأوزار * فكانت تلك الحجب لمن لام في هفوات هذا المسطور أكبر اعذارا * فلا تلوموا معشر الافاضل

خبيه * ولا تعبثوا بصحيفة شجيه * فلو اقتطفت زهر الآداب من رياض العرفان
لكانت لشهد التدقيق خير خليه * ورجعت بالعلم والمعرفة راضية مرضيه * ولما
تلوت أحاديث من مضى من السلف * ووردت منهل أخبارهم ورود من اغترف ثم
اعترف * وعاينت مقادير الخلف * وتأملت في سير سير الامم * وتحققت ان السعد
والنحس منوطان بالقدر من القدم * وقد شاهدت والله في نفسي ذات صدق هذا
الخبر * وكابدت لسوء حظي في كهف العزلة ما هو أدهى وأمر * فدعتني الرأفة بكل
مغبون لقي مالقيت * ودهي بما به دهيت * الى ان أبدع له أحدوثة تسليه عن أشجانه
عند تزاحم الافكار * وتلهيه عن أحزانه في غربة الوحدة التي هي أشد من غربة
الديار * وتجعله في روض من الثمر أنيق * وتمهد له من طرق المسرة أبهج منهج وأقوم
طريق * اذ لا سبيل الى تسلية أفكار الوحيد الا بمثل ذلك * ولا وصول الى حصول
أنس الغريب الا من هذه المسالك *وسميتها نتائج الاحوال * في الاقوال والافعال*
ورتبتها على خمسة فصول

الفصل الاول في ايقاظ الجاهل من غفلة خداع النفاق وكيفية اقناع المنافق اياه
بجميل مكره وادراك الجاهل بعد سوء المنقلب حيث لا يفيد التدبير *

الفصل الثاني في النهي عن الكبر والتمرد في القول والفعل وسرعة المعاقبة بهما *

الفصل الثالث في اثنين يحتاج صاحب كل منهما الى اثنين وهما الاقبال والادبار *
فصاحب الادبار يحتاج في ادباره الى التمسك بعروة التقوى والصبر على النقم * وصاحب
الاقبال يحتاج في اقباله الى مواساة اخوانه والشكر على النعم *

الفصل الرابع في اقتطاف ثمرة الصداقة وعذوبة ذوقها والري بزلال حسن التدبير *
بعد ظما الطيش والتدمير *

الفصل الخامس في حسن عواقب من صبر * ونيله الاماني والظفر * وسوء عواقب
الخيانة * واحاقة المكر السيء باهله فأقول وعلى الله توكلي * وبنبيه صلى الله عليه وسلم
توسلي * ان من الواضح المسلم * والبين المحكم * ان الادب قطب يدور عليه أمر المعاش
والمعاد * ومثقف يقوم به كل معوج ومناد * فمن اتكا على عصى الادب أمن من عثراته *
ومن اكتسى بضافي قميصه لم يطلع أحد على عوراته * وان حسن التربية أبهج ما يبرز فيه
المرء للعيان * وأحق ما يتحقق به حقيقة الانسان * ومدار صلاح الطفل على التربية
لانه لو خلي ونفسه لم يمل الى شيء من التهذيب * بل ينفر من الادب نفور الشاة من الذيب *
ومن ترك زمامه ليد هواه في طفوليته * تهدمت في المستقبل مبانة بناء رجوليته
ومروءته * وكانت رأفة المربي سببا لسوق السوء اليه * ولا غرو وقد قيل من شب على
شيء شاب عليه * وقد تحقق لاولي البصيرة ان أجل الجهاد * في حسن تربية الاولاد *
ومنعهم بالسياسة عن مخالطة السفهاء والاوغاد * حذرا من أن يخالطه أحد السفلة
فيعصب بخمار الخداع عينيه * ويجذبه بسلسلة نفاقه عن منهل أدبه العائد بالمصلحة

عليه * ويعيش فى مواطن الخسران خدين ظمئه وأسفه * ويتلظى فى سعير القهر ملتهبا بنده مه ولهفه * ويرد من موارد سوء الخلق كل ملح زعاق * ويصبح بعد حسن الطوية حريف خداع ونفاق * كما اتفق ان ملكا من ملوك الزمان اسمه العادل * وكانت مملكته بعيدة الاطراف واسعة المنازل * قد تشيدت أنحاء ملكه بالحصون والقلاع * وتأثلت جوانب حوزته على أجل مايلزم للهاجمة والدفاع * وكان هذا الملك بالعدل مشهورا * وبالصلاح مذكورا * وعلى جميل المساعى مشكورا * وبعلو الهمة مغبوطا مسرورا * وعلى كل خصم أو معاند مؤيدا منصورا * وكان له وزير واسع الادراك مدبر * وبجيوش الآمال بالفكر السديد مسخر * وكان اسمه مالكا * وقد ملكه العادل زمام ملكه * وفوض لرأيه الصائب أمور حكمه * وجعله نازناذ حائز أسراره * ومركز جوائل أفكاره * فكان فى مآرب الآمال ساعيا ونصيرا * وبعواقب الاحوال عالما وبصيرا * وكان لذلك الملك نديم يسمى بعقيل * له فى كل مستحسنات العقول جميل * خصت عذوبة منطقه باللذات * وأغنت راحة منادمته عن الراحات * وقد اتخذه الملك خليلا * ولدفع ما أهمه بسياسة المسامرة كفيلا * ماشكا المحزون انكسارا لوعته اليه الا وانجبر ذلك الانكسار براهم مواساته * ومابث المفؤد جذوة موجعته اليه الا وأخمد ذلك الحريق بعذب فرات مناجاته * وكان قد ناهز العمرين ذلك الملك الهمام * ولم يرزق من زينة البنين بغير غلام * قد داوى به كبدا مجروحا * واختار له من الاسماء ممدوحا * وصار الملك منهمكا بحب ذلك الولد مضطرا لتأدية خدمته * فى كل ما أراد يقوم بفرائض الخدمة بنفسه ويسعى بروحه فى مآرب رغبته * ما مال ذلك الطفل للعبة الا طالها * ولا رغب فى خسيسة الا نالها * فشب الغلام على ملاهى ملاعبه الكثيفة * ويفع فى ملاهى مداعبه السخيفه * ولم يتجاسر المؤدبون على تهذيب خصاله * ولم يتمكن المعاون من تقويم أوده ومحو غيم دلاله وادلاله * فأهم هذا الامر المهم الوزير والنديم وصارا يأسفان كل الاسف على هذا التفريط المؤدى لكل وبال * السائق نظام الملك الى غوائل الفساد والاضمحلال * وقالا ان كنا لانتدارك الامر قبل استعماله فان نظرنا فى العواقب * وان رضينا سوء العواقب لولا نافقد استبدلنا فرات الصداقة بسراب لرياء * واعتضنا نحس الخيانة عن سعود الوفاء * فعلينا ان نثبت القدم فى الجسارة * ونسعى بار واحنا فى رفع أسباب الخساره * ونعرض عليه اراءنا فى وقاية هذا العزيز فان قبل منا فزنا بالمروم * وان أبى نكون قضينا اداء حق العبودية ثم انهما رصدا فرصة وارجآ الامر الى وقت بشاشة السلطان * فاتفق ان الملك كان ذات ليلة فى البستان * وكانت ليلة البدر * فجاء الحاجب بأمرهما بالحضور فاجابا بالسمع والطاعة وكانا قد تعاهدا على أن يعرضا له بالامر * فى ضمن حكاية أجنبيه * ويوقظاه من غفلة الخيبة المتبينا أيقبل الملك نصحا فى تربية ولده * أم يشتعل لهيب الغيظ فى كبده * فدخل

الوزير كأنه عابس يجتهد فى ستر ذلك التعبيس عن الملك بالبشاشة ثم دخل النديم وقد اغرورقت بالدموع عيناه وكان يوارى ذلك الحزن بالابتسام فجلس كل منهما فى مرتبته بعد اداء فرائض الدعاء فتأمل الملك فى سيماهما وقال خيرا فقبلا الارض وقالا الخير منوط بالملك وبجله قد عجلنا بالحضور للتمتع بالمشاهدة فقابلنا البدرين فى آن واحد * وصار النديم يتأمل فى تحف الزهور وقد ضحكت ثغورها ونثر الندى عليها جمانه * وتشكلت ألوان المنثور لما أخذ من نور البدر أمانه * وجرى بلجين الفرات فى ال البان للعناق وأحاط بالاغصان احاطة الخلخال بالساق * وسرت حميا النسيم على ندمان الاشجار وكان من عادة النديم اذا شاهد تلون الزهر فى ليالى البدران يتغزل بالشعر فى وقته فقال العادل هل لك ياعقيل فى انشاد شيء من الشعر فى نضارة هذا الروض المحلى بسناء البدر المكلل بتيجان شقائق النعمان * قال عقيل العلم السامى محيط بما انطوى عليه من الوله والشغف * وان مبادرتى بالطاعة أجل ما أناله من الشرف * لكنى أخشى ان أتفوه بشيء لا أصيب به شيأ من رقة المعانى لما أعانى من عناء الفكر واختباله فى شأن نادرة أحبط الوزير فيها عملى * وعكس عنها مراصد أملى * وقد حق لى وضع الناصية بعذرى على التراب * لا لتمس العفو من الاعتاب * فاستغرب الملك قوله وقال كيف ذلك وأنا امل صواب حسن التدبير * فى راحة كف هذا الوزير * فادركنى باسماع تلك النادره * والغريبة البادره * قال النديم أشنف مسامع الملك بانى كلف بكل تحفه * وعشيق لكل طرفه * وقد وصفت لى شجرة تنبت فى وادى الرفعه * وروضة العفه * عزيزة التربيه * غزيرة الخاصيه * ما استظل بها ذو كدر الا وراق * ولا استنشق طيب ارجها ذو صرعة الا وأفاق * ولو خيم بها المهموم فى سموم أبيب * لنشأ من نسيمها نفحات ارق من أنفاس الحبيب * ولو لجأ لها المقرور فى برد كانون * لوجد لذة اصطلاء الكانون * وكان مراد النديم من هذه الكنايات التلميح لحسن نسق الملك فى العدل وتخليص حقوق المظلوم من الظالم وناهيك مولاى من ثمرة تنتج من خلاصة تلك الخواص * فلا ريب انها ماء الحياة لكل مفؤد من العام والخاص * فمازلت منذ سمعت هذا الثناء الجميل * وفضائل هذا الغرس الجليل * وأنا أتوقع بلوغها دون كل سخى وبخيل * وأنفق نقود الكف لكل دنى وأصيل * حتى حن لذلى الجبان * ورق لخضعى كل كبد وجنان * وقد أنفقت حتى تحصلت على غصن منها مالى ومنالى * ورضيت بان أجعل وجوده عندى رأس مالى * وكل ما لاقيت من المكابدة فى السعى يعلمه الوزير * وطال ما ساعدنى فى الاسعاف برأيه البصير * وقد مهد له مغرسا فى حديقة قصره المشيد * وحصن تلك البقعة بسور من حديد * حرصا على سلامته * ومراعاة لحق كرامته * واتخذ أنابيب ريه من اللجين المصفى * وقرر من حذاق الزراعة لخدمته من اصطفى * فلما ظفرت بذلك المطلوب قدمته على الوزير * ومكنته من ذلك النفيس الخطير * حيث كان أرفع منى شأنا * وأسمى منزلة ومكانا

وغرسه في تلك البقعة في أبرك الساعات * وسقاه على قدر الحاجة في أشرف الاوقات * فلما أخذ في النمو ذلك الغصن الرطيب وتحلى بزبرجد الورق في مدة يسيره * وترعرع بافنان كثيره * فكانت افنانه الياقوتيه تحمل من الزمرد تيجانا * وتنثر عليها من الند ومن أنواع الازاهر دررا وجمانا * وصار كلما تفرع هام الوزير نشاطا * ومهما تشعب زاد انبساطا * حتى كاد ان يحيط أوراقه بنياط القلب حذرا من أن تتناثر * ويسقي أصله بماء الورد خوفا من ان يتقاصر * فلما رأى فيه من الوزير شدة رغبته * وتحقق درجة رأفته * امتنع عن تهذيبه وتطعيمه * وكف عن تخفيف أوراقه وتقليمه * وصار يتضجر هو وجنوده على هذه الخساره * وعدم الجساره * فثقل على ذلك الرشيق حمله وأضماه * وأمال سمهري قده وأحناه * وكلما أسأل الوزير في شأنه ينعشني ببشارة رائقه * ويفرحني باشارة فائقه * ويقول لي كاد أن يكون شجرة شاهقة * فترقص بي في خيالي راقصات الاماني * ويشملني الانشراح بالتهاني * فامنع نفسي عن رؤيته * وأعللها بالصبر عن نظرته * ولا ازال أنهى لواعج الاشواق * لكي أراه فيما بعد شجرة ذات ساق * فساقتني بالامس الاقدار * وقادتني بواعث الاكدار * الى بعض رياض الاهالي وكان بها عدة أغصان غرست مع ذلك الفرع في آن واحد فاطلعت عليها فاذا هي قد انساقت في النمو واندفعت * وعظم ساقها وارتفعت * حتى صارت من أعظم الاشجار * وتعطرت بعرف الازهار * وكادت تتلون بيواقيت الاثمار * فأخذني سرور لا يعرف له حد * ولا يدركه عد * وقلت اذا كان هذا النمو لغراس العوام * فما تكون عظمة هذا الغصن الذي تحت نظر السميدع الضرغام * فرجعت مهرولا الى حديقة الوزير لافوز بالمسرة وأمتع نفسي في نعيم ذلك الحبور حتى دخلت الحديقة واثنا بكل ما تخيلته من سموه * وعظمته ونموه * وقلت سينال اليوم قلبي مراده * وآليت على نفسي ان أمنح كل جان بما أراده * فلما وصلت الى بقعته * ومددت النظر الى قامته * فاذا به كالخلال * قد عدل عن الاعتدال * وتقوس كالهلال * ومال بحمله على شماله * حتى كاد ان ينقض من ثقل احماله * فالتهب قلبي لما عاينت بنار الغضا * ولم أجد سبيلا الى الصبر والرضا * فرفعت صوتي بالنداء على قيم البستان وبادرت بالسخط عليه * فجاء ومدرار الدمع ينهمل من عينيه * واندفع يقول مع اختناقه بالبكاء وحقك است بالاهمال عنه غافلا * ولا باداء حق خدمته باخلا * ولا عن معرفة طريق نموه عاطلا * ولا بدراية وسائل سموه جاهلا * ولكني قصير يد عن كل ما أريد اجراءه * لما رابني سطوة الوزير ومنعني عن تقليمي اياه * لانه كان كلما نبتت ورقة عوذها * أو بانت زهرة وعاها وحضنها * ولا يخفاك ان تهذيب الاغصان بالتقليم * كما ان تهذيب الاطفال بالتعليم * وكما يحتاج الصغير للتأديب * يحتاج الغصن للتهذيب * فهو لذلك يقبل ما أجريته عليه في العمل * وقد أجادت التيمورية في هذا المعنى وقالت في المثل * الغصن مقر لديك باللين * فوجهه كما شئت شمالا و يمينا * وفي هذا الشأن أيضا الرافة في التأديب نتيجتها

الخسران * والشفقة فى شأن التهذيب خلاصة الطغيان * ولو تركت ولدك على نسق دلاله * فى أفعاله وأقواله * لشب على سوء خصاله * وشاب على قبيح فعاله * وأكسب أبويه عظيم الخسران * وكساهما جلباب المعرة وقميص الخذلان * والغصن اذا قصر من النمو فقيمه المسؤل * ومالكه المخذول * ولكن ما حيلتى * وانا المعذور فى خيبتى به أراغم رب الحديقه * وأعاند مالكا هو مالك الامر فى الحقيقه * فاعذرنى أيها النديم فى عذرى * والله عليم بعذرى * وأسف على ماحل بى وأيد قهرى * لانى رأيت فى هذا الغصن حين غرسه طراوة اين خصه بها الله * وزيادة نمو لم أرها فيما سواه * فتحقق عندى بانه لا يحول عليه حول الا والسرو يستظل بخيمة أوراقه * والبان يحسد سمهرى قده ورفعة ساقه * وقد جاء فى أسبوع واحد بعدة أفنان والوزير بعدها على و يحذرنى فى ان أمسها بيدى فقلت ان تركناه على مساقه * ثقلت عليه أفنانه وكثرة أوراقه * فيثقل حمله و يثبت أصله فقال دعه يتم على ما أراه * وليس عليك الاريه وانتقاء ثراه * فكيف أتخلف عن أمره أيها النديم * فدعنى أتقلب فى العذاب الاليم * قال النديم فلما اطلعت على تلك الحال * وسمعت هذا المقال * لم يسعنى الا العرض للحضرة السلطانيه * وانهاء الامر الى الاعتاب العليه * ملتمسا من الوزير تسليمه لجانبه * وانقاذه مما هو فيه * فلعله يقبل الاعتدال * وعسى ان يتقوم بعد ما مال * لانه وان فات وقت اصلاحه وتقليمه * ولم يزل قابلا لتعديله وتقويمه * فان تداركناه قبل فوات القابلية كسبناه * والا فقد خسرناه * والرأى والقول السديد * مفوضان لامر الملك السعيد * قالت فاطرق الملك مليا وغاب * وتلبس بالصمت حتى قيل لا جواب * ثم التفت اليهما وقال * لعمرى هكذا تكون عقول الرجال * فلقد هديتمانى الى طريق الرشد فى تهذيب ولدى * وأيقظتمانى من سنة الغفلة عن تأديب فلذة كبدى * وقد غلبتنى حنانة الابوه * وأسرتنى حلاوة البنوه * وأثقلتنى قيود الشيخوخة عن السعى فى طرق ارشاده * ومنعتنى شدة الرأفة من حمله على سبيل اجتهاده * وأعوذ بالله ان أكون كالباحث على حتفه بظلفه * فاطفى بصرصر الاهمال سراج نجابته وعرفه * فاول مبادرتى لقبول نصحكما * أنى سلمت اليكما * ثمرة فؤادى * وأحضنتكما زهرة أملى ومرادى * فانحبا لوقايته ما استحسنتماه من القصور و رتبا لتعليمه من اصطفيتماه من العلماء والفلاسفة وقررا لخدمته من رضيتما من الغلمان والتمسا من الخزينة ما يكفى لكافة ما يحتاج اليه وأعوذ بالله من ان أمنعكما عن ارشاده * وأعوقكما عن ما يعود بسداده * ويكون فيه تقويم منآداة فالملك لا يكون ملكا الا بملكة قبول الامتثال * لكل صادق النصح فى الاقوال والافعال * وقد تحقق خلوص صدقكما عندى * وتضاعف حبكما فى ايقاظى الى ارشاد ولدى * وقد هتمنى صولة الهرم عن الهمة الى الآن فادركانى ما فرط من أمرى * وابدلا فى هذا الشأن عمرى بيسرى * واقبلا فيما فات من الاهمال واضح عذرى * ثم نادى الملك ياصبوح * على بممدوح * فقدم عليه بذلك المفتون * كانه لؤلؤة

من

من اللؤلؤ المكنون * فعلا فى الحال على فخذ أبيه وصار يلعب بلحيته * و يعبث بطيلسانه وجبته * فقبله الملك وضمه الى صدره وقال اعلم يا قرة العين * انى ألقيت على كفالتك هذين الاثنين * وملكتهما زمام تربيتك وتأديبك * والزمتهما بارشادك وتهذيبك * وأمرتك بالسمع والطاعة لكل ما قالاه * والامتثال لكل ما أشارا به ورآياه * فان بلغت الرشد هاباك * وبكل طاعة أجاباك * وان أبيت الامتثال أهاناك * وبكل صعب أصاباك * فلا تغتر بخلافة أبيك * ولا تتكبر لعدم وجود أختك وأخيك * واسمع قول التيمورية فى هذا المعنى اتخذ الادب مركز الارب * فهو لكل رفعة نعم السبب * ثم التفت اليهما وقال اقبلا منى خيرتى * وصوناعن الهوان ذخيرتى * فقاما على الاقدام وقبلا الارض بالسمع والطاعه * ورفعا الى قبلة الدعاء أكف الضراعه * بتأييد الخلافة بالنصر والسرور * الى يوم البعث والنشور * بعد ان أمهلا الامر أسبوعا حتى يتمهد القصر وتترتب الخدم * ويتقرر كل لازم وما يستلزم * وعند ذلك تقدم الوزير الى ممدوح وأخذه من حجر والده وأجلسه على دست عن شماله وقال يا عزيزى هذا مقر جلوسك حين حضورك عند الملك بعد الامر اليك بالجلوس * وأملى انى لا أراك بعد ذلك تعبث بلحية ولا بطيلوس * قال فاغرورقت عينا الغلام بالدمع حتى نثرت جمانا * وغشى اللؤلؤ مرجانا * وخنق جنانه لصعوبة هذه المعضلة التى لم تسبق اليه * وضاق صدره لعنف هذه المشكلة التى لم تكن وردت عليه * وبانت له بزعمه انها اهانة غريبه * ومصيبة عجيبه * وتخيل ان أباه يأمر بضرب عنق الوزير فى الحال * ولا يعده بادنى اهمال * فالتفت نحو أبيه ليريه ترآسل عبراته * و يدريه بلهيب حسراته * فتغافل الملك عن مارآه * وتجاهل الذى أبداه * وقد أحزنت الحنانة دلبه * واذهبت الشفقة لبه * فلم يسعه الا البعد عنه فى هذه البرهة الضنكة فقام بدون ان يخاطبه بأدنى ملاطفه * أو يسره باوهى ملاعبة أو مداعبه * وخرج فى الحال الى البستان ثم ركب من ساعته الى القلعه * وصمم على عدم مبيته معه تلك الليلة لانه كان يبيت مع ممدوح فى قاعة القلعة * والوزير يبيت فى حجرة من داخل تلك القاعه والنديم على بابها الا انه منذ فقدت والدة ممدوح لم يدخل الملك قصر الحرم بل كان منهمكا بتأدية خدمة ولده وصيبته معه فى قاعة الحكم مع الرجال

* الفصل الاول *

وكان للملك قيمان * أحدهما على خزينة الماليه * والآخر على خزينة السلاح سم الاول دشنام والثانى غدور وكانا يبغضان الوزير والنديم ويحسدانهما على توجه الملك اليهما * وعطفه عليهما * فلما تقلدا بكفالة الملك الصغير تضاعف الحقد * وكبر الوجد * وكانا بالحضرة السلطانية يسمعان كلما أمر به الملك قالت فاشتغل الوزير والنديم بتمهيد القصر لممدوح * حتى رتباه كايرومان فى ظرف ذلك الاسبوع وكانا هذان القيمان فى خدمة ممدوح * فلما دخل ممدوح بعد توجه والده الى القلعة وقد استشاط غيظا

بما فعله الوزير وصار يشتكى اليهما ويبكى فاسكتاه بالملاعبة * والهياه بالنكت
والمداعبة * حتى ذهب حزنه ثم قالا له ان أمل الوزير ان يبعدنا عنك فاذا بليت ببادرة
مثل هذه فمن يقوم بما يسليك فى غيبة أبيك فقال ان أمر الوزير ببعدكما انى رددت
قوله ولم أفارقكما أبدا فوجدا مسلكا للدسائس فى حق الوزير والنديم بواسطة هذا
الصغير الذى لم يميز خيره من شره فلما كان اليوم السابع أرسل الملك الى الوزير والنديم
يسألهما عن كيفية مقابلة ولده له فاجاباه بانه يحضر به فى كل يوم جمعة للحضرة العلية *
لتمتعه بتلك الطلعة البهيه * وذلك بعد مرور ستة أشهر بشرط ان يكون سؤال الملك
لولده مقصورا على دروسه وعلومه * وجميع محادثته اياه * دائرة على البحث فيما تلقاه
ووعاه * فلما تجهز القصر ونقل اليه ممدوح وحضر المعلمون وترتبت الخدم واختص
القيمان بخدمة الملك الكبير وعلم ممدوح بذلك دخل الى الوزير باكيا وقال ألم تكف
ببعد أبى حتى أبعدت عنى من كانت راحتى فى خدمتهما ومؤانستهما وأملى منك ان
تأمرهما بالاقامة عندى وأنا فى طوعك كما تشاء فقام الوزير الى خلوة النديم وأعلمه بما صار
وقال اعلم يا أخى ان هذين الرجلين ان لازماه أفسداه بدسائس النفاق * وأشربا أخلاقه
وساوس المخالفة والشقاق * فقال النديم أنصفت ولكن اذا رددنا أمره من أول وهلة
فسد أمر انقياده لطوعنا * فنبقى هذا الامر لوقت آخر ونكتفى ببعد أبيه كما أشار والايام
بيننا * فاستصوب الوزير هذا الرأى وقبل أمر ممدوح رغما عنه وأبقى معه هذين القيمين
وكان ممدوح يميل الى عقيل ويبغض الوزير من يوم أخذه من حجر أبيه فكان الوزير يدخل
عليه فى كل يوم صباحا ويقيم معه الى الضحوة لمناظرة كيفية تلقى الدروس ثم يتوجه
بعد ذلك لادارة أمور المملكة الى الحضرة السلطانية ويخبره بكل ما كان من أمر
ممدوح فى يومه وليلته فتستروح روح الملك بذكر ولده وتقدمه فى المعارف وأما النديم
فكان يلازمه بعد توجه الوزير حتى تنتهى دروسه ثم يبادره بالنصح فى معرض
المسامرة ويتحفه باحاديث تهديه الى الرشد على سبيل المنادمة ولم يزل فى ملاطفته حتى
ينام حذرا من دخول القيمين عليه فى خلوة عنهما فيغلبان على فكره بالنفاق * وأسباب
الشقاق وعوائد الفساق * حتى اذا استغرق فى النوم توجه النديم الى مولاه الكبير
وأتحفه بما كان منه من حين خروج الوزير حتى نام وكان القيمان يقومان بخفارة
ممدوح الى الصباح ويترقبان الفرصة للدسائس فلم يجدا وقتا قابلا فمكث ممدوح فى
تلقى دروسه وحسن انقياده حتى مضت الاشهر الستة وهو على استقامة كريمة ولم ير
منه أدنى مخالفة لامر الوزير والنديم سوى شدة ميله لدنسنام وغدر فلما كان يوم
المقابلة هيأه الوزير بافخر الملابس وأخذه هو والنديم وقدما به على الملك والقيمان
يقفوان أثرهما فدخل على والده وسلم عليه برسوم الخلافة وامسك عن الجلوس حتى أمر
فجلس جاثيا على ركبته وصار الملك يسأله عن ما أخذه من العلوم وهو يجيبه باحسن
جواب وأبهى خطاب فاهتز الملك طربا وقال فى نفسه ان كان هذا التحصيل فى نصف عام

فسايكون في العام كله ثم حضر الطعام فتقدم ممدوح بعد جلوس الملك والوزير وجلس بادب باهر وجعل يأكل بلطف وعفاف فصار الملك يتأمل في اثناء تناوله الطعام الى ما يبديه من الآداب حتى كاد يستفزه الطرب الى تقبيل أكف مالك وعقيل ولولا عزة الملك بشرف السيادة لهم بذلك أوفعل فلما انقضى ذلك اليوم المشهود وهموا بالانصراف أنعم الملك على كل منهما بخاتم من أنفس الجوهر * وعلى ولده بجواد بلبب مجوهر * فانشرحت صدورهم بهذا الانعام * وقرت عيونهم بهذا الاكرام * والتهب قلب اللئيمين حقدا * وطشت عقولهما حسدا وجدا * وتحسرا على عجزهما عن ايجاد مكيدة لهما في أقرب وقت فلما وصل ممدوح الى قصره دخل والنشاط يلوح على ناصيته وأمر الخدم بتهيئة مربط لجواده وصعد الى قصره ومازال مع النديم في مسامرة حتى نام بعد ان ذهب الوزير على حسب عادته ولما نام الفتى برهة تخيل له الجواد في نومه فانتبه مسرورا بمارآه واستوى جالسا فنهض دشنام الى الفرصة التي أمكنته وصار يلاعبه ويرقص له هو وغدور وهو يضحك عليهما ضحكا بليغا وقد مضت تلك الشهور ولم يضحك ممدوح مثل هذا الضحك وكان قد نسي الضحك من يوم دخوله القصر الذي هو به فقال لهما لم لم تضحكاني كل ليلة بهذه الملاعبة فقد جددتما لي حظا كنت نسيته فقالا عزيزنا نحن نفدي ساعة من أنسك بارواحنا ألم تجد وقتا من ملازمة الوزير والنديم اياك وانهما اذا اطلعا على أنسك بنا شكوا الى والدك فيبعدنا عنك وان أبعدنا عنك زهقت أرواحنا شوقا اليك وأسفا عليك ومازالا يزخرفان له مثل هذا الحديث حتى داخله الاستغراب وقال كأنهما يكرهان أنسي * ويريدان تكدر نفسي * وهما منتخبا والدي اللذان يراهما أهلا لكمالي * ومحلا لحفظي ووقايتي * فقالا دعنا يامولانا من هذا البحث وذرنا نلعب ونطرب لجلب أنسك وتؤنس نفسك حتى تنام نوما هنيا وتهب نشطا قويا فصار يتفكر في هذا القول حتى غلب عليه النوم فهنا أبعضهما بعضا بفتح باب الامل ثم مضت مدة وممدوح يتوجه الى القلعة في كل يوم جمعة لمقابلة والده وكلما رأى الملك تهذيب ولده زاد في اعتبار وزيره ونديمه وكلما زاد في ذلك يزداد الحقد في قلوب ذينك المنافقين فقال ممدوح يوما من الايام كيف العمل في ان اختلي بكما للمباسطة والمؤانسة قالا ونحن أيضا نلتمس هذه البرهة كمواسم الاعياد فاذا أردت ذلك فتناوم مسرعا اذا شرع النديم في المسامرة ليتخيل انك نمت فيذهب الى خدمة الملك وعلينا ان نسليك بالملاعبة كما تريد ففرح ممدوح بهذا الرأي وصمم على تجربته لما جن الليل وأخذ النديم في حديثه جعل ممدوح يتناوم بل آظهر انه نام فعلا فتركه النديم وتوجه الى خدمته وعند ذلك قام الفتى ووجد دانه يلعبان له طربا ومازالا يضحكانه حتى نام مشروحا واستمر الفتى معهما على هذا النسق وهو يجد في نفسه راحة وانشراحا كما جرت عادة الجاهلين فلما تم العام عقد الملك مجلسا لامتحان ولده واحضر علماء الفنون وزعماء المعارف وامتحن ولده في حضرة الجمهور فكان أول درجة من أهل الدرجة الاولى فيما تلقاه حفظا وفهما

وسرعة اجابة فعوذه الحاضرون * وحصنه السامعون * فلما انتهى اليوم على أحسن حال أنعم الملك على المؤدب بما يليق من الخلع والانعام وعلى الوزير والنديم أيضا بقصرين من قصور منتزهاته بكامل أثاثهما وقال لهما الملك اقبلا هديتي وان لم تكن مكافئة لبعض حسن صنيعكما فقاما وقبلا الارض وبسطا أكف الدعاء بالرفعة والنصر له واصله وأمن الحاضرون وقد ابتهجت الرعية من نباهة ممدوح لانهم كانوا في كدر من عدم تقدمه وتعلمه خوفا على الملك ان ينتقل اليه بعد أبيه فلا يحسن الادارة ولا ينهج منهج العدل وتسوء سياسته فتغلبه الاخصام على ملك أبيه فلما قرن اليوم بحسن الختام قدم ممدوح الى قصره وقد أتحفه الملك بقصر الدجلة والفرات بكافة ما حوله من الحدائق والرياض وكان الملك شاور الوزير والنديم في ان يعطي لولده أحد الضياع العامرة فنعاه بقولهما ان ملك ابراده بادر بالاسراف وان لم يمتلكه صار في نفسه شيء لاسيما ان دس اليه أحد المنافقين طرفا من الفتنة يؤول الحال الى التطاول في الطلب فان بخلنا عليه جرأناه * وان جدنا له على التبذير حملناه * فاستصوب الملك هذا الرأي واكتفى باتحافه بالقصر المذكور فلما رجع الفتى بمنشوره هذا القصر صار يعرضه على خدامه وأتباعه بكل مسرة واستشاط غيظ ذينك المنافقين وصار دمع الحقد يتفجر من آماقهما فنظر ممدوح اليهما واستغرب بكاءهما وصار ينتظر الليل حتى أقبل واختلى بهما على حسب عادته وسألهما عن الداعي لبكائهما مع السرور الذي قد حصل عليه فقالا عزيزنا ومالك أرواحنا اننا نبكي على أسرك وأسر أبيك في أكف هذين الرجلين فاستغرب الفتى وقال كيف ذلك قالا انما لما رأيناك مسرورا بالقصر وددنا لو أنعم عليك ببعض الضياع كما أنعم على وزيره ونديمه فنعم أنت أيضا على خدمك وخاصتك كما جرت عادات الملوك ألم تر الملك كيف ينعش بانعامه رعاياه ألم تكن أنت أهلا للانعام اتسر به خاصتك ألم تقس عند مولانا الكبير بالنديم والوزير اغا الملك معذور في انقياده لهما ولا يمكنه ان يعدك كما أمرهما قال ممدوح ان كانا منعاه عن الاعطاء فلا بد من حق لهما في المنع لم تدركه عقولنا الان رأيهما سديد وهما لا يمنعانه عن شيء يكون خيرا لي وله ولولم يكن الملك حفظه الله رأى كل نفع من رأيهما لما انقاد لاشارتهما فخاسا ان يرمى الملك بالغباوة وعدم الفراسة فلما سمعا ذلك القول منه كادت أرواحهما ان تفارق أجسامهما فتحسرا وتحسرا وقالا مولانا انك حديث السن ولم تدر بمكايد الرجال فحاشا ثم حاشا ان تمس الغباوة أعتاب الملك أيكون في شريف علمك ان السحر أثر بصاحب الشفاعة عليه الصلاة والسلام لما سحرته بنت لبيد اليهودي وحيث كان تأثير السحر بسيد البشر فكيف لا يكون بأمته وما نراهما الا قد سحرا الملك فانقاد لهما ألم تتذكر اليوم الذي سلمك الملك فيه اليهما كيف جذبك الوزير ولم يرفق بك حتى أخذك من على فخذه بعنف وأجلسك بعيدا وصرت تبكي ولم يلتفت لبكائك وقد كان لا يطيق سكوتك عن الملاعبة برهة ولا يمكنه البعد عنك ساعة فكيف رضيت حنانته ببكائك وبعادك فتأمل ممدوح

في القول نحاله حقا وأثر فيه ذلك وكان قد نفر من الوزير عندما أخذه من حجر أبيه فتمكنت نفرته وتخيل له أنه سحر وصار فؤاده يتلظى خوفا على والده من السحر فداخل الفتى من الفكر القلق والارق وصار يقول كيف التخلص من هذه المهلكة وصارت خلوته معهما قاصرة على هذا الامر فقالا له نحن نسعى بار واحنا في حسم هذا المشكل انما نرجو الامهال حتى يدركنا الله بالسعة في النقود فعليك ان لا تلين لهما القول في كل ما أشارا به عليك قال ممدوح كيف ذلك وقد أثر سحرهما في أبي فان رددت قولهما سحراني أنا أيضا فقالا لا تفكر سنستعين في صيانتك بالتمائم والتعاويذ ولكن لا سعة لنا ولا لمولانا في النقود قال اذا قدمت على الملك أعرض لاعتابه بطلب ترقيكما في زيادة مرتبكما حتى تتسع ذات يديكما وكان سبب تأخيرهما في الترقي ظهور الخيانة من أعينهما وفراسة الوزير كانت تدله على ذلك فلا تسمح بارتفاع مراتبهما ولا توسيع معاشهما حذرا من ان يتمكنا في السلطنة على مولاهما بدسائس الخيانة وأما تقليدهما بشرف خدمة نجل ربني المالية والسلاح فداعيه قوة سعيهما في التحفظ وعلو الهمة في كل أمر يختص برضاء الملك وكان الملك يميل اليهما للوفاء بخدمتهما وأما أمر ترقيتهما فكان منوطا برأي الوزير فكانا على الدوام ينتظران له كل ضر * ويترقبان لمركزه كل شر * ولا يتمكنان من ذلك لرسوخ قدم العادل وعدم قبول دسيسة في وزيره بل ومجازاة كل من اغتابه أو عابه فلما ألزما بخدمة ممدوح نالا الارب لان الجاهل كرة لكل منافق يحركها بصولجان نفاقه * ولعبة لكل فاسق يفعل بها ما أراد من كيده وشقاقه * فلما كان يوم الجمعة توجه الفتى لوالده وعرض عليه رجاءه في توسيع معاشهما وزيادة ماهياتهما فقال الملك هل استأذنت الوزير فاستحسن ذلك منك فقال ممدوح كنت أروم ذلك بالامس وقد نسيت فقال الملك اصبر حتى تستشيرهما فيحصل المراد فرجع باكيا حزينا وأخبرهما بما صار فبكى النقيمان لبكائه وانصبا على انصبابه ثم قالا يا مولانا لا تحزن فدتك أرواحنا ونحن لم نرد السعة الا لما أعلمناك به فلا يكن عندك أسف لعدم حصول الامر فنحن نبتاع أثاث بيوتنا حتى نتحصل على ما أضمرناه ونحتال في ازالة الوزير والنديم حتى تملك أمرنا ونبلغ قصدنا وتقلدك الخلافة فقال وماذا يحصل لوالدي حفظه الله حتى أتقلد انا أمر السلطنة فلما سمعا كلامه حزنا على ميله لابيه ولكن لم تسعهما الا المداراة فقالا اذا استعد نجل الملك قلده أبوه الملك وتجرد هو للعبادة قال ممدوح اذا كان الامر كذلك فلا بأس فما زال يشرب من مجاري النفاق * كؤوس حميم وغساق * حتى زاد عن درجة الكتمان وظهر مله للوزير والنديم وانكشف نفوره منهما فصار لا يصغي لاقوالهما * ولا يكترث بافعالهما * فاختلى الوزير مع النديم وقال أي عقيل اني أتمثل بقول التيمورية حيث تقول

أرى مرخى من الاغصان ينمو * ومن ماء الخداع له ارتواء
وأخشى ان به قدحت زنود * سما الاحراق والتهب الفضاء

فانى أرى أيها الصديق لهذا الاغماض شأنا عظيما فما تراه فى مداركة هذا الامر قال فقال عقيل علم الوزير أجل من ان يخفى عليه عذر الفتى فى الميل لهما والاغماض عنهما اما سمعت قول المشار اليه فى هذا المعنى من جهل مسالك الرشاد * ظن المراد فى طرق الفساد * ولها أيضا النصوح لدى الجاهل كلب عقور * وهو ما استطاع عنه نفور ﴿شعر﴾

أرى رب النفاق بدا * بطالع نحسه الزحل

له كاس اذا قبها * نقيع السم فى العسل

فكيف يميل للعقور * ويمسك عن هذا النفور * وانى منذ رأيت ما رأيت استنظر أمر الوزير فى هذا الشأن وكيف التدبير فى سلوك الرشاد * وكف أكف الفساد * قال الوزير اعلم يا أخى ان منعه عنهما ليس يمكن لانا اذا منعناهما عنه زاد الميل منه واشتد الكرب عليه وتضاعف نفوره منا فليس لنا الا التعطف عليهما والمداراة ما استطعنا حتى يهدينا الله الى مسالك الهدى ويهديه لنا * وقد زادت بهما الفكر وتبدلت راحتهما بالعنا * وتابسا ابالحزن بعد الهنا * ثم قام الوزير الى القاعة وقال للملك مولاى اذا قدم العزيز فاقبل رجاءه فى ترقية دشنام وغدور وأرض خاطره وكر راجعا الى ممدوح وقال سيدى أنا أساعدك فى ترقى صاحبيك فاعرض للملك عن ما تريد فانك تنال وتنفس ممدوح الصعدا وقال الله يساعدنى ويساعد أبى فى كل ما القيناه وسنلقاه ولك الفضل والامر فاسودت الدنيا فى وجه الوزير من صعوبة هذا الجواب ولمح فى معناه أنواع الخداع والنفاق ووجد الضحة ما تعلق بنفسه من الضيق والاختناق * والنديم يسمع ذلك فقاما الى خلوتهما والدمع يجرى من عيونهما وجلسا يتحسران على هذا الخسران فقال الوزير للنديم اعلم يا أخى اننا لا يسعنا الا الاغماض عن كل جواب صعب * واللين لكل شديد من الخطاب والخطب * ثم البشاشة للمنافقين واظهار الميل اليهما حتى يدفعهما الله عنه ويقيه شرهما وقد سمعت ما كان من عنف الجواب فان عاملناه بجنس معاملته اداه ستر ذلك الى جسارة الوقاحة فنكون قد أضعنا الحزم وأسأنا السياسة بل وعدمنا الاحساس لانه بين غائلتى جهل ونفاق فان لم نكن أهلا لقبول عذره فاين صداقتنا ورأفتنا عليه ولا تنس ما قيل من نصح جاهلا عاداه وصده * ومن أغواه مال اليه ووده * فالخداع للجاهل محبوب * والتملق اليه أقصى مطلوب ومرغوب * فلا يقابل الجاهل بالردع عن مراده فجأة ولا يبادر بالزجر عن قصده خشية من طغيان وقاحته * وغلبة شراراته * فانهما يؤديان الى جحود نعمة التربية * ومعاملة الحسنة بالسيئة * وان لم نتداركه بالسياسة قبل تمكن وقاحته ساقته النعمة الى المدارك فان لم نقابله بالصبر غدر * وان لم نعامله بالعفو كفر * فعلينا اذن السعى فى توجيه التفات الملك اليه * والعطف بالانعام عليه * وبعد ان استقر رأيهما على ذلك توجه الوزير الى الملك وقال يا مولاى ان قميمك قد وفيا حق العبودية لمولانا الصغير واستحقا الانعام وكان ذلك يوم الخميس فلما قدم ممدوح على والده غدوة قال له الملك قد رغبت فى توسيع معاش

دشنام وغدور وقد شهد الوزير والنديم بحسن خدمتهما الملك فتعلقت ارادتي بزيادة ماهيتهما مع الانعام على كل واحد منهما بألفي دينار فقال ممدوح حفظ الله دولة مولانا بالنصر ثم قام وقبل عين والده بكل سرور وبشاشة وأخذ الانعام وعاد الى قصره بعد مضي يومه وبشرهما باحسان الملك اليهما وزيادة ماهيتهما وكان أمله سرورهما بالبشارة فاذا بالدمع يدفق من آماقهما فلما رأى منهما ذلك استشاط غيظه * وقال ما الداعي الى البكاء أكان مكافأة بشارتي لكما أم استقللتما انعام الملك فقالا حاشا الله يا مولانا ان بشارتك شرحت صدورنا * وانعام الملك قرت به عيوننا * وانما كان بكاؤنا أسفا عليك حيث انك عرضت على الملك أمر ترقينا سابقا ولم يقبل منك وكسر همتك برد جاهك ولما شهد الوزير والنديم بحسن خدمتنا قبل قولهما وأنفذ أمرهما فكيف تكون أبهتك بين الخدم والحشم فأثر ذلك القول في الغلام وانقلب سروره بالاسف وانساب الدمع على وجنتيه وبات حزينا كئيبا فلما كانت الغداة جاء الوزير والنديم بخاتمين من الياقوت وقبلا الارض وقالا يا مولانا انا نقدم هذين الخاتمين لقيمك من لدنا وذلك لما رأيناه من حسن صداقتهما الملك وحنانهما عليك متعنا الله بدولتك وأيد بالنصر أعلام سلطنتك فطابت نفس الفتى وانشرح صدره وصار يتأمل في حال الطرفين ويقول في نجواه أين هذا القول وحسنه من ذلك القول وشنعته حيث ان هذين يميلان لهما لحسن صداقتهما وحنانهما على مع ميلي لهذين القيمين ونفوري عنهما فوا أسفي لجهلي بحقيقة الحال لان هذين يمدحانهما ويشهدان لهما بكل اصلاح * وذانك يرميانهما بكل خيانة فليت شعري من الاحق بالطاعة فأواسيه * ومن الاحق بالاجتناب فاجتنبه * ثم أخذ ممدوح الخاتمين بعد توجه الوزير والنديم ودخل على المنافقين بعزم ونيته عبارة منهما وقال قد اتحفكما الوزير والنديم بهذين الخاتمين لما رأيا حسن انقياد كما لخدمتي وتدملت اليهما كل الميل حين سمعت حسن امتداحكما وتشكرت حسن صنيعهما فلما سمعا هذا القول اسودت الدنيا في وجوههما فأطرقا الى الارض برهة طويلة ثم قاما يضربان كفوفهما قائلين هذا الذي كنا نخشى عليه منه ولقدهم بالوقوع فالسرعة في ادراكه قبل تمكنه من السقوط فاندهش ممدوح وقال ما هذه الحال فقالا عزيزنا انهما لما رأياك قد تحققت بالرشاد وعقلت ماشان ومازان ابتدراك بالمصر العظيم حتى تكون مسخرا لهما حذرا من ان تفطن لمكرهما * وتظهر للملك خيانتهما * أرأيت يا مولانا كيف ملت اليهما مع عظيم فعلهما الذي لو تأملته لوجدت فيه ما ينفرك عنهما امدة حياتهما قال وما ذلك الفعل فقالا لقد عدم تمييزك وفقد ادراكك كيف تكون أنت ابن الخليفة الوحيد وولي عهده ولم تقم قدرتك بالانعام منهما على من يقوم بخدمتك * ولست تملك شيأ سوى ما يخصك من ملابسك * وهما يمدلان الملك في الانعام ويظهران عجزك للرعية فلا حول ولا قوة الا بالله فأثر في الفتى به غيرأبهته واهانة نفسه فتملكه الاسف وانكسر خاطره وخاف

على نفسه من أثر السحر فقال لهما أأردهما اليهما ولا حاجة لنا بهما حيث ان دسيسة السحر فيهما فطمعا فيهما ولم يسمح بالرد وقالا نستغفر الله من ذلك لاننا لو رددناهما بشكوانك للملك فيزجرك ويطردنا من عندك فنحن نقلدك بالتعاويذ والتحاصين ولو أنفقنا كلما غلتكه فقال الفتى لكم الخيرة والخير فيما اختاره الله وكان ممدوح الى ذلك الوقت يأكل مع الوزير والنديم فحذراه عن الاكل معهما لما أحساه لهما وقالا اننا نرى أثر السحر فيك وأغلب ظننا انهما يضعان لك شيأ فى الطعام فلما قدم الوزير على حسب العادة بعد انتهاء الدروس وتهيأ الطعام تغيرا لون ممدوح خوفا على نفسه فقال الوزير عزيزى لا بأس عليك مالى أراك على غير بشاشة قال الفتى ان تناولى الطعام فى هذا الوقت يتخمنى لانى مفقود الشهية من فتور الدروس وانا أتناوله رغما لاجل وجودكما فيؤدينى الى الهيضة فان وافق رأيكما ان تتناولا أنتما طعامكما وانا أتناول حين ما أشتهى كان حسنا فنظر ما للملك لعقيل نظرة آسف وقال له الامر لك وكما تريد فافعل فنادى الوزير على المشايخ وقال ان الملك يفتر عقب الدروس عن الطعام فلنأكل نحن ولير فع طعامه لحين طلبه فتقدموا وأكلوا معا وكان الطعام يأكل فى قلب الوزير والنديم وانصرفا بعد الطعام الى حجراتهما واحضر الوزير الاشجى وقال استخبر من الملك عن أى طعام يرغبه صباحا بمعرفة القيمين وعليك ان تختم الصحاف عند الطلب حتى يزيله بيده ثم صارا يتداولان الحديث فقال الوزير أبصرت فعل المنافقين حين أحسا منه بالميل الينا كيف عكسا علينا الامر فما الذى فطنت له من تحاشيه عن الطعام معنا فقال النديم تخيل اضافة شئ من السحر الى طعامه وطفقا يبكيان ويقولان هذا أول اعراض ونفور ثم قال عقيل كيف العمل فى حل هذا المشكل فقال ما للملك مشكل النفاق والخداع لايحل الا بقدرة القادر فاذا أراد الله حسن سلوكه وصيانته قطع آجالهما والا فيكون وجودهما عنده لامر يعلمه هو لانهما ما داما معه تترقى مصيبة مكايدهما له يوما فيوما وان أبعدناهما عنه بامر الملك كانت مصيبة بغضه لنا أعظم لان الجاهل لرب النفاق عشيق * والناصح لديه عدو حقيق * فاذا رمى العاشق بفراق الصديق وبلى بعشرة العدو اشتعلت لوعته * واشتدت زفرته * يفعل ما بدا له من الجحود * ويورث اللعنة للآباء والجدود * فعقدة النفاق شديده * وعقيدة الجهل عتيده * لاتحل ولا تحاور ولا ترد ولا تكابر * فالسياسة فى الصبر واللين والسير بالمداراة والتمويه حتى يسعفه الله بالاحساس فى ادراكه فينتحى عنهما أو يعدمهما الله عنه وقد حسدتنا والله عين الفلك واصابتنا نظره الدهر فكان وجود هذين الرجلين وسيلة لاضمحلال هناء عيشنا وذريعة لزوال بهجة مسرتنا فهما أبديناه من الصدق بالنفاق مدثور * ومهما أجريناه من حسن الخلوص بالخداع غير مشكور * كيف وهما يظهران الهدى من الضلال * ويؤكدان الحق فى المحال * ومازالا يضربان الراحات من الحزن والاسف ويتفكران فى ايجاد شئ يسران به ممدوحا

يمدح سعيهما ويستحسن رأيهما حتى حان وقت الامتحان فدخلا على العادل وقبلا الارض وقال الان مولانا الصغير قد تقدم في العلوم وشارف الحلم فالامل أن يتحفه الملك بايجاد شئ يختص برفعة ابهته لتتسع فكرته ويقوى انتباهه ويبرع لدى الامتحان بين الخاص والعام فسر الملك بذلك وقال نعم الاشارة هذه فأى شئ تستحسنانه يكون حسنا عندى فقال الوزير يبشره الملك بانشاء عمارة في ساحة الجزيرة وتكون هندستها محتوية على أربع سرايات ﴿الاولى﴾ مستعدة لبنائه بعروسه ﴿والثانية﴾ لديوان حكمه ﴿والثالثة﴾ للزائرين بمقاعد منيرة على حسب مراتب القادمين ﴿والرابعة﴾ في هيئة خانقاه للعباد والزهاد فيكتسب من الزائرين حسن السلوك من مواعظ القصص والاخبار ويتسلى بالنكت الغريبة ويؤجر بملاحظة الخانقاه والتصدق على فقراء المهاجرين * ويربح دعاء من يحل بها من العباد والصالحين * فشكر الملك فضل هذه الاشارة * وقبل وصيتهما بسرور البشارة * فلما كان ذلك اليوم المشهور أحضر الملك كل مهندس ومعمار وحضر كل استاذ وفقيه وتقدم ممدوح للامتحان فكان يجاوب عند افتتاح السؤال بكل معنى يدعو اليه البحث لعلمه بالسؤال وعليه حتى انتهى امتحانه في أقرب وقت على أحسن حال فرفع العادل صوته قائلا سأخبركم أيها العلماء العقلاء والامراء العظماء ان ولدى قد بلغ من السن أربع عشرة سنة وأملى المبادرة في انشاء عمارة يكون بها ما يليق من القصور لوليمة زفافه وتكون في أحسن موقع وأطيب بقعة وأصفى هواء وما أرى في البقاع أحسن من الجزيرة النضيرة فرادى انشاء أربعة قصور بها أحدها للزفاف والآخر لديوان حكمه والثالث للزوار والرابع يكون تكية للمهاجرين وأقرر لكل قصر ما يفى بمصرفه من الضياع العامرة لاسيما قصر العروسين فاهتزمن بالمحفل طربا وقاموا على أقدامهم وقبلوا الاعتاب بالتشكر لهذه البشارة وتبركا بالامتحان ثم دعا الملك بالمهندس فأقبل رئيس حرفة الهندسة بأعوانه وقبل الارض وقال الحمد لله الذى أبلغنا هذه الدرجة واسمعناهذا الامر فأول التماسي تحديد المدة والتشديد في حضور العمال من أقصى البلاد والهمة في خروج السعاة لجلب المهمات النادرة من أماكنها كأخشاب الآبنوس والرخام الملون بحيث لا يدعون شيأ لم تر العيون نظيره الا أحضروه بمشيئة الرحمن وتم الرأى على انهم سيعقدون مجلسا في أمر الانشاء مدة أسبوع حتى يثبت الحكم فيه على أحسن حال فطار قلب ممدوح من الفرح فقام وقبل راحة أبيه والملك قبله بين عينيه وأتحفه بما يليق من نفائس جواهره ثم تقدم ممدوح الى الوزير والنديم والبشر يلوح من ناصيته فتلقياه بالتهنية من الارض وقبلا ناصيته وهو قبل لحيتهما ورجع ممدوح مع الوزير والنديم في أشهى مسامرة وأهنى مؤانسة والمنافقان يقفون أثرهما حتى دخلوا القصر جميعا وقد اختنق القيمان غيظا من توجه الفتى الى الوزير والنديم

وحسن التفاته لهما فلما وفى الوزير جلسته مع ممدوح توجه الى خدمته وأقام النديم
فى المسامرة حتى نام وتوجه هو أيضا على حسب العادة صار المنافقان يتضجران على
نومه قبل القاء دسائس الفتن وما أعداه من المكايد وكانت تلك القصور تخيل له فى نومه
فانتبه والنشاط يلمع فى جبينه فطار النوم بالمسرة فاستوى جالسا فوجد ذينك المنافقين
قاعدين يتحادثان فقال قد غلب عليكما السرور حتى أماط النوم عن أعينكما قالا نعم وان لم
نطش فرحا ببشارة عمارة قصورك العالية فأين مزية عبوديتنا ولو تم السرور كما تروم لك
من الابهة والافتخار لذ بحنا ألف هدى وقد كنا عزمنا على استحضار ما نمتلكه من النقود
مع الاقتراض عليه لبنى سيدنا باهو واجب عليه من الانعام على الرعية كما جرت العادة
بذلك لابناء الملوك السابقين فقد كانوا اذا أتحفهم آباؤهم بمثل هذه البشارة عقدوا مجالسا
فى الغداة وأمد من فيه من الامراء والوكلاء بالهدايا والانعام على حسب مقاماتهم من
لدنهم لتأدية رسوم الدولة فعاقنا أمران أحدهما ان ما عندنا مع اقتراض مثله لا يفى
بنصف ما يجب على أبناء الملوك تأديته والثانى ان الرعية بأسرها تعلم بانك لم تملك شيأ
وانك صفر الكفين فيدركون ان النقود من عندنا وقد أعلمناك برسوم اسلافك وهو
الوجه المدسوس عنك وانا ان فعلنا ذلك تسببنا فى معاملة الوزير والنديم لنا بالسب
والنهر وما علينا من النهر والسب وانما نخشى أن يبعدانا عنك فتنقاد لهم أبت بالسحر
فتصير كالطفل فى أكفهما لا تملك شيأ ولا تفتخر بشئ من رسوم ملوكيتك فلما سمع الفتى
هذا القول عزت عليه نفسه وتضجر على خلو ذات يده وتصغير همته فتبدل بالحزن
نشاطه وجرى مدرار الدمع على وجناته * وتنفس الصعداء من زفراته * ثم التفت اليهما
وقال ماذا عليكما لو تركتمانى أتمتع نفسى ببشرى مرادها * وأروح روحى بسرور فؤادها *
لليلة واحدة فياليت شعرى اخداع ما أبديتموه * أم اشفاق أصدق ما قلتموه * أم نفاق
خيدا عنى وخليانى وقد فوضت أمرى لعالم السر وأخفى * وهو حسبى وكفى * فذهبا
عنه ونزلا الى مخدع صغير وأما هو فقد جعل يبكى حتى طلع النهار وكان الوزير والنديم قد
اطمأنا ببشاشته واقباله عليهما فمكثا أسبوعا فى عقد مجالس العمارة وتهيء لوازمها
واحضار المهمات وترتيب الادوات وانساقت السعاة الى المدائن لجلب ما يلزم فلما انتهى
الامر على أحسن حالة أقبل الوزير والنديم على مولاهما بأوراق تلك الصنائع النفيسة
يعرضانها عليه لتذكية مسرته وكان المنافقان لم يزالا بذلك المخدع وهو معرض عنهما
ومختبل بحبائل أفكاره وهما يظهران البكاء والنحيب ولم يذوقا طعاما وصارا يسألان كل
من مر عليهما باعلى صوتهما ليسمعاه أكل سيدنا أنام مولانا أيأذن لنا أن نراه ولو من
بعيد فرق قلبه لذلهما وخال الخداع صدقا فعفا عنهما وأذن لهما بالدخول فدخلا عليه
وهما مظهران له انهما يرتجفان فاستغرب وقال ما هذا الزلزال قالا له انما فعل ذلك
بنا خوفنا منك وملوكيتك علينا وقد تعاهدنا أن لا نذكر لك من رسوم الملوك شيأ

بعد ذاو زجوك ان أخطأنا بعد اليوم فامر بقتلنا ولا تحرمنا من مشاهدتك فالقتل
أهون من الحرمان فقال لا بأس عليكما وانى أعتذر اليكما عما فعلته معكما لان نفسى قد
عزت على كيف أكون ولى عهد الملك ولم أتمتع بالحظ ليلة واحدة ثم تحقق لى صدقكما لما
تأملت فيما قلتماه فعطفت عليكما فقبلا أقدامه بانشراح منهما وصار ممدوح يتأثر من
حالته ويتفكر فى انحطاط شرفه ويحذر على نفسه من السحر مع عدم وجود نقود يدافع
بها البزيل ذلك التأثر بالحب والتلاوة فأثر ذلك الفكر فى فؤاده فتغير لونه وانهزل جسمه
كما جرت به عادة من وقع فى شرك النفاق من الجاهلين وليس الجهل خاصا بصغر السن
انما كل من تلبس بالخداع وخال النفاق صدقا ولم يميزه من صدقه فهو جاهل بامره
واسناده لصغر السن لوقوعه غالبا فى سن الصغر فلما قدم الوزير والنديم بحوافظ تلك
المهمات والبشر يلوح على صفحات وجوههما بحسب ما رأياه من مسرة ممدوح ودخلا
عليه فوجداه بخلاف مأمولهما مع انهزاله وتلونه وتلبسه بالحزن فاندهشا جزعا عليه
ثم تقدم الوزير وحياه تحية الملوك وسأله عن مابه فتكلف الرد عليه ثم قال انى خرجت
الى البستان فأثر الهواء معى فانحرف مزاجى فزادت دهشتهما لكتمان مابه عنهما
ولم يكن لهما حيلة سوى الدعاء له بالصحة ثم عرضا عليه تلك الحوافظ فلم يكترث بهما بل
قال لا بارك الله للملك العادل فيها فتلجلجت ألسنتهما وقالا له أيها الملك ذال لو كان المخاطب
ملكا لاجرى واجبات الملوك فى الانعام على رعاياه انما هو فقير حقير واغرورقت عيناه
بالدمع وقام الى مخدعه وهو يبكى فأشرف الوزير والنديم على الاغماء وكرا راجعين
الى العادل وقالا يامولانا حفظنا اشياء وغابت عنا أشياء والفهم يخطئ ويصيب فقد
كان الواجب علينا أن نعرض على الملك من باب الاخطار أن يمد مولانا الصغير بمبلغ من
الدنانير لينعم بها على وكلاء الدولة وخاصته عند ختام المجلس فليبادر الملك من فضله بالمن
عليه لذلك فقال الملك مستغربا كيف تريان جواز ذلك لحديث السن وقد سبق النهى عنه
وهو عين الصواب لان الجاهل اذا تمكن من النقود أساء الصرف وأخذ فى التبذير
والاسراف وقد وضح فى التنزيل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فلعلك أيها الوزير
رأيت منه حركة شرازة أو عدم رضاء بحالته التى هو عليها فقال الوزير أستغفر الله لم
أر منه الا كل طاعة وبشاشة لكنى أرى فطانته تمكنت وزادت عن سنه لطيب عنصره
حفظه الله وان ذلك مما يدعوه الى العطية والانعام فسر الملك وقال اذا تحققت فطانته
فدونك وما تستحسنه فنهض الوزير وأمر دشنام باخراج عشرة آلاف دينار وأخذ أيضا
عشر خلعات وبعث بها الى ممدوح بامر من الملك يقول فيه حيث ان الوزير والنديم
شهدا بحسن درايتك فى التصرف فهاك ما قدم عليك من النقود والخلع فانعم بها على من
يليق عند قدومك فى الجمعة القابلة وذلك عندما تبشر بحسن ختام ماشرعنا فيه أرشدك
الله فلما وفدت عليه الدنانير والخلع قدم عليه الوزير بعد برهة فقال لما توجهت لاعتاب

الملك وجدته أحضر ما اتحف سيادتك به وأمرني بارساله اليك فسر ممدوح بهديته لانه
لم يرقبل ذالك مثل هذا الاستهار رخصة الملك له بالتصرف كما يريد فقال للوزير اذا قدمت
فى الجمعة القابلة متى يكون وقت الانعام والى من يؤدى قال الوزير الامر لمولاى فإن
رغب وأما الوقت فبعد بشرى السيادة بحسن ختام المسئلة وتقبيل راحات الوالد عند
ذلك تخرج الى قاعة الانعام وتصدر الاوامر لمن تشاء فقال ممدوح المستحق من استحسنه
الوزير وخير التقدير ما قدره هو فقال الوزير حيث متعنى المولى بنعمة الاستشارة
فواجب علىّ الطاعة لامره ثم قبل راحتيه من باب الحنانة وعرض عليه الدائقين وقدر
لهم ما يليق فقرت عين الفتى وصمم على ذلك وكان دشنام أخبر غدور ابذلك وهما يسمعان
فغلت قلوبهما لاقباله على الوزير واستشارته فى التوزيع وأدهشهما الطمع وكرها
توزيع المبلغ على غيرهما وقد التهب قلبهما عليه فلما أتم الوزير حديثه صار الى خدمة الملك
ومازال النديم معه حتى نام ثم سارهو أيضا الى القلعة فانتبه ممدوح على حسب العادة
وأراد المسامرة مع القيمين فى أمر الانعام فقبلا الارض وبادراه بقولهما أيد الله مولانا كما
تأيد قولنا لديه فلولم ير الوزير انك حقا فى وجود النقود وتأدية رسوم الانعام لما
أسرع بحضورها لديك فلو كانت صداقتهما خالصة من الغش لما رضيا بانحطاط قدرك
عن ايفاء واجبات السيادة حيث فات وقت الانعام فلاحاجة بصرفها واعلان الناس
بانحطاط قدرك عند أبيك وقولهم ان الوزير أمر الملك ببعث النقود اليه فلولاه لم يبعث
اليه شيأ ولو كان فى الملك الصغير سوء أدب لم يقبل ذلك ولكن قبوله من حسن تربيته
قال الفتى وكيف العمل أ أرد ما أنعم به والدى وارتكب سوء التربية قالا ان عطاء الملك
لا يرد وانما الرأى أن تتركه فى خزينتك وتمرض أنت قبل الجمعة ليتعذر المسير الى القلعة
وبعده فى هذه الايام لا يحتاج الامر الى احسان وانعام فتيقن ان قولهما حق لان
المنافق يستر الحقد بالقول المقنع ولا يخفى على السامع ان الخداع استاذ المخادع يفقه
صاحبه فى مكايد الدسائس ومواقعها حتى يستخلص زبدها ليقنع المخدوع بالقول
السديد فصمم الفتى على ذلك فلما كان يوم الجمعة قدم الوزير ليذهب به الى الملك فوجده
فى الفراش فطار عقله وقال لاحد الجند على بطبيب الملك خبير بدون أن يخبر الملك
بانحراف مزاج ولده فحضر الطبيب ترجف أعضاؤه حذرا على ممدوح وكان ممدوح
التفت عن الوزير ولم يخاطبه الا بتكلف ففطن الوزير لتجديد الدسيسة وطمع المنافقان
فى المال وقد عاقاه عن القدوم على والده بعذر المرض فلما قدم الطبيب دخل به الوزير
الى الخلوة وقال له اعلم يا خبير انى سأقلدك بخدمة ان قمت بفرائضها على حسب رغبتى
وفيت حقوق خدمة مواليك انك تعلم ان ممدوح واحد خلافتنا وقطب مملكتنا وقد
عزم القيمان على اتلاف خصاله ومرادى ان أعلم بحقيقة الدسائس فأقابلها بالسياسة
القالعة لاصولها قبل تمكنها فلعل الله يدرأ عنه وعن أبيه مكايد الخداع قبل أن يتفاقم

خطبهاوالله الموفق فأملى أنك تبدى الصداقة لهما ما استطعته حتى تصير أحب الناس اليهما وتطلع بهذه الوسيلة على أسرارهما ولا يحذرا منك فى نجواهما وتكون مشتركا فى خباياهما الضغر نى بما كان منهما وما سيكون وقد سامحتك فى تعيبى وسبى وسب عقيل أيضا وان تظهر نفورك منا ولا تكترث بتهديدنا اياك امامهما وعيت ماقلت لك قال خبير نعم وعلى ماتبغى ثم أخذه ودخل على ممدوح فصار يجس نبضه ويدق على صدره ليبحث عن مركز المرض ثم أطرق مليا والتفت الى الوزير وقال حفظ الله عزيزنا من كل مرض انما به انفعال نفسانى أوجب تغير دمه وكان عليكم أن تتأملوا فيما يبديه عيانا من التلون فى أول الامر وتسعفوه بمراده ليصفو دمه ويطيب خاطره وقد أزمن معه الغيظ حتى أداه لهذا الانحراف فاذا سألنى الملك لم يسعنى الا الصدق وأملى من الوزير والنديم عدم المؤاخذة لان المسؤلية عائدة عليهما لكونهما ملازميه فأظهر النديم والوزير دهشة عظيمة وقالا اننا لم نر منه أدنى انفعال أبدا فسر المنافقان بما قاله الطبيب وصارا يهزان رأسيهما ويقولان ما أحذق هذا الطبيب ثم أحضر الطبيب ما لزم من الجرع وقرر مواقيت التعاطى ومقاديره وأخذ الوزير النديم وقدما على الملك وقالا ان مولانا الصغير معه آثار برد فلم نرض اخراجه ومنعناه عن القدوم على الملك فلا يكون عنده قلق وفكر عليه من عدم الحضور ومرادنا الاستئذان فى ملازمة خبير له لتحرى طعامه وشرابه وخروجه للتريض فاستحسن الملك ذلك الرأى وأقام لخدمة نفسه غيره فصار خبير يظهر غيظه من الوزير والنديم للقيمين ويؤكد حبه لهما وميله اليهما فى خلواتهما حتى تمكن حبه فى قلوبهما وألفيا صداقته حقا وكان الوزير يحرض خبيرا على التأمل فى الدسائس حذرا من دس شئ من المسمومات للعادل فى طعامه أوشرابه لان أقصى مرادهما فقده وأما أهم أمر فى سوق خبير اليهما الذى كان أعظم سياسة من دون هذا كله فسيعلم فى خاتمة القصة ولما مضى الاسبوع ولم ير الملك ولده غلبته الوحشة فركب اليه فسبق الى ممدوح الخبر فبادره المنافقان وقالا اذا أقبل الملك عليك فلا تبد البشاشة له وتمسك بالتململ والانكسار لتغلبه الحنانة فيعاملك بالمسامحة فى كل ماتريد فعندما قدم الملك ووجده بتلك الحالة لاسيما تلونه وسقمه طاش عقله وهمعت دموعه وسأله عن المؤدى الى ذلك فلم يبد شيأ سوى الانكسار والضعف فغضب الملك على الطبيب وقال ان كان ولدى بهذه الحالة فماثمرة وجودك عنده فتلجلج الطبيب وقال سأخبر الملك غدا بكل مالزم فخرج الملك وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت وبات يجول على قدميه الى الصباح والوزير والنديم يدقان الكفوف على هذه الحالة ولم يقدرا أن يتفوها بشئ وتحيرا فى أمرهما وأمادشنام وغدور فانهما اختليا به وقالا قد أقبل عليك الفرج فاعرض على أبيك الخروج للسياحة لنتمتع باتحادك معنا ونطلعك على أصول الابهة والشأن حتى تتفطن لرسوم السلطنة وتتخلص من أكف امارة الوزير

والنديم ولا غرو ان كنت بعيدا عن البلد أن نأمن عليك من أثر السحر وكان خبير يسمع ذلك و يقول أنا آتي بالرخصة في غد وأحرض الملك على اجابة قولك في كل ما أردته فلما كانت الغدوة دخل خبير على الوزير والنديم وأخبرهما بما كان من دشنام وغدور فبكيا بكاء شديدا وقالا لا سبيل لمنعه ولا لتخلصه الآن من أكمومات الا بالسياسة الدقيقة فاذهب يا خبير و بشر الملك بصحته واستأذن بالسياحة لعل الله يفرج كربه فدخل خبير على الملك وقال ابشر الملك بصحة عزيزنا وانما المؤدي الى ذلك الانحراف ثقل دروسه ولطف مزاجه فانقبضت نفسه عن النشاط فيلزمه التريض في الضواحي ليتبدل انقباضه بالنشاط و ينشرح صدره بالانبساط فقال الملك وما أداك الى تأخير طلب الرخصة عجل بكل ما تستحسنه فعاد خبير الى الفتى و بشره بالتصريح بالرخصة ففرح وتأهب للسفر وخرج الى الكوفة وصار يتريض كما يشاء والمنافقان يسولان له كل دسيسة سوء ويفهمانه ان الابهة في عدم اللين والبشاشة ومرادهما بذلك شراسة أخلاقه وتنفر الرعية عنه فاذا فقد العادل قاما مقامه بعطفهما على الرعية وقربهما من ولده وانما كان اشتغال فكرهما في كيفية يبعدان بها الوزير والنديم عن الملك والمدينة وكانا لا يجدان لذلك حيلة فمكث ممدوح شهورا بالكوفة وقدم عليه الوزير بعوده فوجد جسمه قد ترعرع و توردت وجناته ولكن تخلق بأسوا خلق من الغرور والفظاظة فدخل الوزير وحياه فلم يكترث به وصار يتكلف الرد عليه في الكلام فقال الوزير في نفسه بلغ النفاق ما بلغ سانصحه مرة فان لان للقبول فبها والا فاكون أديت فريضة عبوديتي ولا طريق لي في الابرام ولا حيلة لي في عدم القبول فلما كان وقت التريض خرج الفتى الى الساحل والوزير يتبعه فاذا بسلحفاة قد برز نصفها من البحر والنصف الثاني في الماء فتصادف ان رآها هر صغير فغلب عليه الشره والطمع في الغذاء فهجم عليها وأنشب أظفاره فيما بان من يديها فلما أحست بالالم جذبت نفسها بقوة وغاصت في البحر والهر متعلق بها وصارت هي تعوم على جري العادة حتى دخلت وكرها وقد غرق الهر وهلك فوقف ممدوح وقال لو تأمل في كبر السلحفاة وصغر جثته لعصى الشره وخالف الطمع اللذين أدياه الى الهلاك ﴿حكاية أجنبية﴾ قال الوزير لو كان انسانا لاستحق اللوم الا أنه حيوان والحيوان مرفوع عنه التكليف وقد عن لي أن أعرض على المولى نادرة نشبه هذه النادرة رأيتها في بعض الكتب وهو ان غرابا اختطف قطعة من الجبن ومكث على شجرة ليأكلها فرآه ثعلب فقال في نفسه اني أحق بأكل هذه القطعة منه وسآخذها بالطف حيلة فتقدم نحو الشجرة وصار ينظر الى الغراب نظر المحب المشوق و يقول جل الذي صور هذا الجمال ما ألطف هذه الذات ما أليقها بالسيادة على كل الطيور فمن لي بسماع نغماتها المطربة لينشرح صدري ولو علم صاحب هذه الذات بدرجة شوقي لسماع نغمته لمن علي ولم يبخل فرآى الغراب في نفسه ما رآى من الجمال والعظم وخال انه صديق صادق

واغتر بحيلته وخداعه ونعق فوقعت القطعة من منقاره فلقفها الثعلب قائلا خيبة الله عليك وعلى نعيقك فندم الغراب أشد الندم لكن بعد فوت الفرصة والندم بعد فوات الامر لا ثمرة فيه وذلك الغراب معذور لخيوانيته لانه لم يجد نصوحا لكون أبويه من جنسه قال ممدوح صدقت لا يرشد الانسان الا صديقه ونصوحه ومراد ممدوح بان القمين برشد انه بطرق السعادة ففطن الوزير لهذا التلميح فقال مولاى على من يرشد التأمل والتمييز فيما يلقيه اليه نصوحه فان كان مألوفا لدى العامة فهو صادق والا فهو منافق فعليه أن يميز مدلول ما سلكه فيه نصيحة فاذا رآه مرضيا لدى الناس اقتدى بنصحه ولازمه وان كان مذموما أعرض عنه وتجنبه فالعاقل من اعتبر بغيره فأطرق ممدوح وجد في التأمل فلم ير في مسلكه نجاحا واصلاحا وتصور نتيجة ما قاله المنافقان انه أمر مذموم لدى العامة فأطرق مليا ثم قال للوزير أريد ايضاح النصح الصالح من الفاسد فقال الوزير يا عزيزى ان كان الانسان انسانا فأول ما يعتبر بالدهر وسالفاته ليكون هذا الاعتبار زاجر النفس عن الغرور وسيلة اقناعها بانه لا حيلة في المقدور وان المال والبنين زينة الحياة الدنيا وأن لا مناص من الموت فاذا مات المرء فات كلما حازمن الزينة والزخرف فما الفائدة فيه وعلام الافتخار به فتأمل يا عزيزى في ما قاله المثل لا يغرك الفرح بالوجود * وانظر لما فعل الدهر بالجدود * قد دثرهم تحت الصخور * وصاروا رمما في القبور * واعلم سيدى ان لكل حبل انصراما * ولكل عال انصراما * فن قادك لسبل الغرور فقد ظلمك * وأعدمك أملك * عزيزى من تعالت بالكبر نفسه * أقر بالدناءة جنسه * ومن جعل العلاء مرتقى همته * أثبت الشرف لذمته * عزيزى طيب عنصرك ومجادة كمال ملوكيتك يعلمانك بالفرق دون غيرهما فالصادق حين يجد نتيجة صدقه باءت بما أمله من صديقه كتم وبكى * والمنافق اذا أحس بانحطاط نفاقه أفشى بالباطل كل سوء وشكى * فانك ان أطعت الصديق ربحته وأسررته * وان أطعت المخادع خسرت وأخزته * لان النفاق حبات سم والانقياد له شرك * ومن مال لالتقاطه اضمحل وهلك * عزيزى عثرة الكبير كبيرة وان كانت صغيرة وعثرة الصغير صغيرة وان كانت كبيرة عزيزى ان هرولت طامعا في الفوز قبل أوانه زلقت * وان قنعت بالصبر شاكرا بحت * عزيزى ان لم تجرب في الصدق صاحبا * لا تكن له مصاحبا * عزيزى ان النصيحة لدى الطيش مرة * لكن نتيجتها عند الادراك حلوة * عزيزى التواضع والصبر خصائص مرارة يعقبها الشهد * والبغى والغرور رحضا بخسارة يعقبها الندم والنكد * عزيزى قالت الاذكياء خير الكلام ما قل ودل فنظر ملوكيتك يريك * والتأمل في سير غيرك يكفيك * ولا جسارة للعبد في الزيادة والتوسيع * عما أحاط العلم الرفيع * فلما انتهى كلام الوزير قام ممدوح الى قصره وقد أثرت الاقوال فيه وغاص في بحر التحير بين الصدق والنفاق لانه يجد في النفاق راحة المساعدة لجهله * ولا يجد في الصدق الا المباعدة عن مقتضى هواه

وميله * ففطن دشنام لكنه ضمير ممدوح فبادر بالرأفة واظهار الشفقة وجد فى دفع أفكاره
واعادة بشاشته وقال لا تشغل ذهنك بالفكر فتصرف صحتك فيقول الطبيب لا فائدة فى
التمريض فيرجعك الى المدينة وناهيك بما تلقاه من التضييق والضنك وقد وصف لنا كاهن
بالغرب يخبر عن المغيبات ويحل كل معضلة من السحر فنروم احضاره ليخبرك بالحقيقة
ويطيب خاطرك بالراحة عن ماجاش به وتأمره بما تريد فتروح ممدوح بنسيم هذا الكلام
وقال على به قال نحتاج الى نقود كثيرة قال ألم يكن مابعثه الملك لديكم فخذ منه ما تريد فتحدث
دشنام مع غدور واتفقا على ما اتفقا عليه وسافر غدور على انه يبحث على من يسافر الى
الكاهن بعد ان استأذن من ممدوح فى ذلك وكانت نتيجة سفره انه توجه متنكرا الى
بغداد واشترى من الحلى ما خف حمله وغلا ثمنه لزوجته ولزوجة دشنام واتفق مع أحد
المحتالين المشعبذين على انه يحضر بعد مدة قررها له بملابس الكهانة ويخبر الفتى بما
لقنه غدور ثم عاد الى مولاه وقال أرسلت من أثق به فى استحضار الكاهن فلما حضر
الكاهن المعهود دخل على ممدوح فعظمه وسأله ايضاح ما فى ضميره فتأمل الكاهن فى
كتابه * وقال اعلم يا مولاى انك من عنصر ملوك ولا ترضى نفسك بالاسر وتأبى طاعة أمر
غيرها والامتثال لنهيه وقد كنت فى الطاعة والامتثال بالجبر عنها سابقا فان سرت على
ما كنت عليه انخمد سرورها وطفئ نورها فيمكنكم خمد الانبساط وتصرف الصحة
ويخترم المزاج وقد كنت صغير الاثنى واذوعيت حفظك الله فان لم تؤد اليها حق
شهامتها ورفعة قدرها بنفوذ أمرها أدتك الى الهلاك وأرى انه وراءك اثنان من
السحرة يرميانك بكل تسخيرلهما وقد سحرا بالسحر أكبر قومك فالله يحرسك من
مكايدهما وانى ساعوذك بالاحجبة وان بلغت ما بلغت فلا تبخل على نفسك بالصحة والسلامة
لانك ان تركتها فى هذا الخضوع والتواضع عدمتها وهذا الطبيب يشهد بذلك فنظر
ممدوح الى خبير وقال كيف ترى هذا القول وكان خبير كاد ان يشرف على الهلاك من
اتفاق النفاق ولكن لم تمكنه أدنى معارضة فقال ادرك مولانا أدرى منى فى كل ما هو
حسن فالتفت ممدوح الى الكاهن وقال ألم يقل الله فى كتابه العزيز ان النفس لامارة
بالسوء فكيف تطاع من كانت آمرة بالسوء وفى سوء أمرها أصدق شهادة فرضنا ان
نفسى أمرتنى بمخالفة أبى فكيف أطيعها وقد تلوت فى التنزيل فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما
وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فخفقت قلوب المنافقين من
هذا القول وعلما انه لا يعصى والده بنفاقهما فقالا من فم واحد نستغفر الله أن يكون قول
الشيخ فى مخالفة أمر الملك لان الوالد لا يقاس بغيره وان رأينا من مولانا أدنى مخالفة
راجعناه فى الحال وان لم يكن لنا حد فى المراجعة انما قوله فى مخالفة ذينك الاثنين حيث
خالفا أمر الله عبادتهما بالسحر وقد أنزل فى كتابه ولا يفلح الساحر حيث أتى فقنع الفتى
بهذا القول وصار الشيخ ينطقه بالاحجبة الكاذبة ودشنام وغدور يطوفاه باشنع الخلق

حتى تلبست محاسن طبعه بسوء التطبع وتجنب زيارة الاهالى فلما انتهى وقت التمريض ورجعا الى بغداد قدم على والده وهو على أحسن حال فى استقامة الصحة ظاهرا وأسوا حال من الفظاظة باطنا فسر الملك بظاهره ولم يدر ما كنته أخلاقه فصار ممدوح يجد فى الثناء على القيمين فأمر الملك لكل واحد منهما بضيعة من الضياع العامرة ولم يستشر الوزير والنديم لشدة سروره بصحة ولده فتخيل ممدوح ان السر فى حجب الكاهن فصار الوزير والنديم يتأملان فى تلك الاخلاق الممدوحة كيف عدلت عن كل ما يزين ومالت لكل ما يشين وصارا كل ما يتوجهان اليه للزيارة يجدان الحاجب بباب مخدعه فيخبره بقدومهما ويعود اليهما بقوله انه مشغول والمقابلة فى يوم آخر فيعودان خائبين وكان ممدوح يخرج الى الجزيرة لمناظرة العمارة والتمريض فيسبق الوزير والنديم قبله شوقا لرؤيته فيريانه عبوسا فينصرفان عنه وكلما سألهما الملك عن عدم ملازمتهما اياه يقولان ان مولانا كان صغيرا وكنا بصحبته لعدم معقوليته وأما الآن فقد فطن وعقل فلا يحتاج لهدايتنا ولا لتناولنا وكان أرباب الحاجات يترقبون وقت خروج ممدوح الى الجزيرة ويلتمسون عطفه لتمشية اشغالهم وقضاء حوائجهم اعلاما بقبول قوله عند أبيه كالتى سجن ولدها والتى نفى زوجها وما أشبه ذلك فيبادرهم بالسب وبالسخط ويقول لماذا لا تهذبون أخلاق أولادكم بحسن التربية وتتركونهم لارتكاب الجرائم فجزاهم ما حاق بهم وانا أزيد فى التشديد عليهم واذا امر عليه أحدهم مكتوفا يساق الى السجن أمر بشد وثاقه أضعافا مع قوله لو لم ترتكب ما ساقوك فى هذه الحالة الشنيعة فتلاقى عاقبة ارتكابك واشرب من كأس بغيك واذا قصده سائل والتقابانعامه أمر بجلده ونهره بقوله لو كنت انسانا فى الحقيقة لتعلمت حرفة أغنتك عن الكدية فلعن الله أبويك وعندى ان تترك بلا قوت حتى تموت جوعا واذا قابله فى المسير أحد من الزنج أمر بحبسه وجلده قائلا كيف يقابلنى بهذا الوجه الاسود ولم يكترث بسلطنتى فصارت السودان ان سمعت بخروجه يهربون الى الخرائب ويدعون عليه بالموت وبلغ منه التعاظم ما بلغ حتى انه كان يأنف ان يتحدث مع من كان أصله أسيرا ولو صار أميرا ويقول لم ترض ملوكيتى ان تخاطب من دفع ثمنه كما يدفع ثمن الحيوان وكان يذهب الى البيمارستان ويسلط الصغار على المجانين فيضربونهم بالاحجار فيصرخون ويفزعون وهو يضحك فامتلأ الناس حزنا شديدا على فساد أخلاقه وصار العلماء يدعون ويبتهلون الى الله فى اصلاحه مع البكاء والنحيب وانسلب عقل الوزير والنديم وضاقت عليهما الارض فاستأذنا الملك فى تغيب اسبوع للمرور على ضياعهما فيه واعتكفا ذلك الاسبوع وصارا يتداولان الحديث فى خلوتهما فقال الوزير اعلم يا أخى انه كان أقوى تحسرنا فى انتقال ملك سيدنا الى غيره قبل وجود ولده واما الآن فهو الوجه المحبوب للرعية لما نحن فيه من الخيبة وقد ضاع كلما أبدعناه من الاصلاح * وحبط العمل فى الفلاح * واعوج

المستقيم وقد استولى الهرم على العادل وغلب الضعف قوة عقله وانحط عزم تمييزه
وفراسته فان عرضنا عليه أدنى اشارة لتلاف أمر ولده هم بنهره وان نهره تعرض بالكذب
وان تعرض طاش عقل الوالد وعلاه الحزن والاسف وربما غدر علينا بالسب والسخط
من حنانته عليه وحامة هرمه فنهان بين الخاص والعام فنصير مضغوطى الطرفين وربما
يعلوه الحزن فيموت بغتة فارينى أنت الفائدة فى شرح هذا الوجه والا فالرأى عندى
بعدنا عنه ويكون البعد فى خدمة يختص بها ممدوح ويكون فيها مشغولية سروره
وليس يشغله الآن الا البشارة بالزواج لانه بلغ الحلم والزواج للفتى أقوى لاهية وأشهى
بغية وعلمك بشهرة بوران ابنة ملك العجم وما هى عليه من سدادة الرأى وذكاء العقل
وحسن الاداره ولا يخفاك ماهو عليه من الرشاقة والجمال فاذا تمكن حبه منها وحبها له
انقاد لاوامرها فتكون هى أقوى مساعد فى النهى عن السوء والامر بالاصلاح فانا
أتوجه الى ايران خاطبا لها وأنت تتوجه الى الشين لاحضار أمتعة الزفاف فيكون سعينا
فى خدمة مسرته * وبعدنا عنه لراحته * لان الناس قد أكثرت اللغط ومهما كتمنا
أمر تجنبنا عنه ونفوره منا لا يقبل كتماننا حيث ان قربنا لا يفيده فى الاصلاح
وبتا الامر على ذلك الرأى وكان قد انتهى الاسبوع فعادا الى العادل فتقدم الوزير
وقبل الارض وقال الحمد لله الذى متعنا واحيانا * والى الحظوة بهذه البشارة فى ظل
الملك ابقانا * فقد جنح سن العزيز الى الزواج * ورفع الحظ رايات الفوز للازدواج *
فنقول قولا يسر * من غاب ومن حضر قد بلغ السيد من الاعوام ستة عشر * وطاب
وقت اشتماله بالعروس * وتاقت الارواح لهذا السرور فى المبهج لجميع النفوس *
فامتلأ صدر العادل بالانشراح * ولاحت على وجهه علامة لافراح * وقال نعم
الخبر * وحبذا قول بالبشر اشتهر * غير انى أراه صغيرا * وعن سلطة الرجولية قصيرا *
ولكن ما استعجلتما الا لداع * وغرض ينبئ عن صوب تلك المساع * فلكما الخيرة فى
بنات الملوك * وعلو الهمة فى حسن السلوك * قال الوزير انى أرى السيدة بوران ابنة
ملك العجم كفؤا له وعديله * وهى لما اشتهرت به من حسن الادراك لصيانة الامير
خير وسيله * فليختر الملك من شاء ليخطب تلك المصونه * وينتخب أحذق أريب لجلب
متاع هاتيك الدرة المكنونه * فقال الملك لا غاب رأيك عن الصواب * ولا انحط
ادراكك عن كل أمر مجاب * اما الخاطب فهو الوزير * وأما الجالب فهو النديم *
وتعلم ان أفخر الحلى بالشين فبادر الى ما يرضى نفوسكما * وهنئا برخصة عروسكما *
فعند ذلك هاج المجلس بالتحيه * وعلت الاصوات بدعوات التوفيق الزكيه *
وشاعت فى المملكة مسرة هذا الخبر * وتأهب الوزير والنديم للسفر * بعد ان قدما
على العروس وبشراه * وبرخصة عرسه هنآه * فكان نشاطه لبعدهما معادلا
لبشارة العروس * وأهنى فرحا بنيل ما رب النفوس * وتوجه الظاعنان صباحا *

وامتلأت الاقطار أفراحا * فــاز الاسارين حتى دخل كل منهما بقعة الطلب * وهم باجراء مأموريتـــه كارام ورغب * قالت المؤلفـــة فتذكر الدهر غدراته * واشـتاق لأداته * فبادر بالعمل * كما قلت فى المثل * شعر

قد راق راحى وبدر السعد أسفر لى * خلت ان الليالى مثلها بدر

فاستضحكت لى ثغور الدهر قائلة * ذى ليلة ليس يحوى مثلها الشهر

جهلت ماسوف تلقى من مصادر قى * فــلا تثق بابتسامى انى الدهر

فلما غاب الوزير والنـــديم صار العادل يلاحظ ولده فى سيره حذرا عليـــه من الدسائس فى غيبتهـــما فلاحظ الشراسة فى خلقه وأحس بنفور العامة منه فعلم ان الوزير والنديم انما قصدا بزواجـــه تهذيب خلقه بتلك الوسيلة وعزما على البعد لمخالفته لهما فطاش الفكر منـــه وتسلطن الحزن معـــه فغلب على قوة تجلده طرمـــه فاعتراه خفقان شـــديد مصحوب بالتهاب مخى فمكث يومه يتجلد ويعالج نفســـه ومهـــما عالج ازداد فلما كان الليل أمر باحضار ولده لينصحه ويعلمه بنفور الناس عنـــه لفساد أخلاقه فحضر ممدوح ودخل الملك انخلوة لاجراء ما أراد ودخــل الفتى أيضــا مع ذينك النميين فقط وكان ظن الملك ان النميين يخدمانه بكل خلوص وما يدرى انهـــما عين الخسارة للطرفين فلما رأى ولده غلب عليه البكاء وجاشت حنانته فانعقد لسانه فضم الغلام الى صـــدره برهة ثم انحلت يداه عنه وهو فى آخر رمق فـــا أسفرت تلك الليلة بنور ولديه * الاوقيل رحمة الله عليه * فالتهب صـــدر ولده وهم باحضار جمهور الحكماء فمنعه النميمان بقولهـــما ان هذه الحال معتادة عليه فاذا احصـــل احيانا يجب ان يكون فى خلوة بدون ادخال أحد عليـــه حتى يفيق بعد ساعات وهذا شأنه منذ أعوام فصدق الغلام وقام من عنده فاد خلا الملك فى حجرة كانت بالحرم وغسلاه وكفناه كما استطاعا وقد ترك الملك لصاحبه * والمال لحاجبه * فلو دام الدهر لمرء سالما من العيوب * لكانت مصيبـــة الموت منـــه أكبر الذنوب * قالت فلما أجرى النميمان ما أراد اوراما ان ينزلاه من باب السر ويلحداه بالبستان وكان ممدوح يدور هنـــالك كالمعتوه ينتظر افاقتـــه فلم يسعهـــما الا اعلامه بموته فاتيا اليه وقالا له انك حـــديث سن ولم تدر مكايد الرجال ونحن نجتهـــد فى ابقاء الملك لك بحق الصداقة فلا تخرج عن أمرنا وتعلم ما نحن عليه من الخلوص والحنانة لك فاكتم أمرك واعلم ان أباك قد توفى وان أعلنت موته هجمت عليك الملوك وأخـــذوا املاكك منك بمعرفة رعيتك ورضائهم لانهـــم لا يرغبوا فى تسلطنك لسوء خلقك فصاح الغـــلام صيحة عظيمة قائلا افقدوالدى أمات ســـيدى فغطيا فمه بايديهما ومنعاه عن الصياح وقالا لا تطع جهلك ولا تفش أمرك فتطرد وتحرم من الملك لانك لست أهلا للسلطنـــة فلا تحبط سياستنا ولا تجمد رياستنا قال ناشدتكما الله ان تريانى جنـــازته حتى أمرغ وجهى عليه فادخلاه عليـــه فانكب على أقدامه وصار يتمرغ ويقول الحمن تركت ولدك الكئيب وأوصيت من عليـــه يجذباه

بعنف وادخلاه حجرة صغيرة وحبساه بها وأنزلا الملك من ذلك الباب وحده في جانب البستان ثم رجعا واحضرا كاتب الديوان وا كتباه كتابين وختماهما بختام الملك وحجزا الكاتب عن الخروج بحجرة أخرى وا كتباه كتابا آخر ثم اتيا الى ممدوح وقالا له اذا كانت الغداة فاخرج الى الديوان باغلى ملابسك واحضر الوكلاء والامراء وقل هذا منشور عن أمر والدي أمرني بتلاوته عليكم وأمركم بالطاعة لكل ما فيه فتخيل الغلام انه اصلاح كما عرفاه فما زال يبكي بصوت منخفض ويختبط حتى طلع النهار فقاما المنافقان اليه وغسلا وجهه والبساه أفخر الملابس وحذراه من اظهار أدنى حركة من شعائر الحزن وأكدا عليه بايضاح البشاشة فقال اني لم أقدر أتمالك نفسي من البكاء اذا قرئ أمر ابي امامي وهو تحت الثرى فانا أقدمه وأقول ما قلتماه على حسب أمركما وأسرع بالرجوع الى بيت حزني فلما كانت الغداة قدم أرباب الديوان وتكامل المجلس وخرج عليهم ممدوح وقال ان الملك أمرني بنشر هذا المنشور وأمركم بالاطاعة لما فيه وكررا جعا وكان مضمون المنشور أقول وانا الملك العادل من حيث ان المرض الذي اعتراني لم يقبل أدنى حركة في القول ولا في الفعل فاستصوبت الاعتكاف في الحرم لحين الشفاء وسلمت أمر المملكة للقيمين دشنام وغدور وسلمتهما ولدي أيضا وآمركم باجراء كل ما أشارا به من خطا وصواب فاياكم ان تنحرفوا عن الامتثال في الاقوال والافعال فامتثلت الرعية للامر مع الاستغراب لدخوله الى الحرم وكيف لا يدخل شيخ الاسلام وقاضي القضاة ويشهدان بصدق أمر المنشور كما جرت العادة وانما جعلوا امتثالهم لامر الله حيث أنزل أطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم فتقلدوا بالطاعة ودعوا له بالشفاء وانصرفوا يقولون حسبنا الله وكفى فكان أول أمرهما باعتكاف ممدوح خارج البلد وكف الرعية عن زيارته والثاني ان لا يجتمع رجلان من أرباب الحكومة بمحفل واحد ثم أرسلا الكاتبين المذكورين للملك وعقيل على الفور ولم يعلم ما فيهما وعينا للممدوح محلا خارج المدينة وخرجا به اليه ورجعا واقاما على الامر والنهي فيما يرومان هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر الوزير فانه قدم على ايران وقابل ملك العجم وتلا منشور الخطبة عليه فقام الملك على قدميه سرورا ببشارة هذا الشرف قائلا نعم النسب اني كنت أريد ان أزفها الى ابن أخي ولكني عدلت عنه بمصاهرة ابن العادل وأمر بدق طبول الافراح ورفع رايات السرور وعقد في الغدوة مجلسا عموميا ودخل الوزير بامتعة العروس فكان أول ما قدمه التاج ثم صورة ممدوح مرصعة بالياقوت والجوهر مع الخاتم فاستلم الملك ذلك المتاع وانهمك في الافراح اسبوعين ثم انعقد العقد وصار الاملاك على أحسن حال وانبت الرأي على ان الزفاف في العام القابل وكتب الوزير القرار بختم والد العروس وأخذ الوزير القرار وودعهم وقصد بغداد وخرج الملك وأرباب دولته لتشييعه الى خارج البلد ثم دعوا له بالسلامة ورجعوا الى مدينتهم وتوجه الوزير بحاشيته فبعد مضي اسبوعين في السير

قدم عليه الكتاب المعهود ليلا وكان بخلوة الخيمة ففضه وتلاه فاذا فيه اعلم أيها الوزير ان الوعد قد سبق علينا والقدر أجرى حكمه وهو ان ولدى ممدوح لما كان يخرج للتريض عشق صبية من بنات الافرنج فهام بها حبا وطاش بها عشقا واعلمه انى لم أرضها له زوجة لم يسعه الا الشرود فاخذها وأبقاها وأغلب ظنى انه سار بها الى بلادها فاملى ان ترسل من بطرفك من العساكر ولا تفشى هذا الامر اليهم وتتوجه أنت الى تلك البلاد متنكرا واهتم فى البحث عليه فعسى ان تأتينى به فلما قرأ الوزير ذلك المسطور أغمى عليه ساعات فلما أفاق خرج الى العسكر وقال توجهوا أنتم الى بغداد فقد أمرنى الملك بامر والزمنى باجرائه فاذا تم سألحق بكم فتوجه العسكر على حسب أمره وخرج هو على وجهه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر عقيل فانه دخل الشين متنكرا وصار يدور فى الدكاكين والمغازات ويستعلم مقادير الاثمان حذرا من الغش حتى تحقق ذلك لديه ثم أعلن نفسه وأحضر شاه البندر وقال انى نديم العادل قد أرسلنى لاحضار متاع العروس لانه هم بزواج ولده ممدوح فاستبشر التاجر بذلك الخبر وأخذه الى حضرة ملك الشين وعرض عليه ذلك الامر فلاح السرور على وجهه وأكرم عقيلا أحسن اكرام وأحضر كاتبه وحرر كلما رام عقيل مشتراه وقال تستلم هذه الامتعة والحلى بعد أربعة أشهر حتى تنسج الاقمشة ويصاغ الحلى على حسب الرغبة وتقرر الشرط على ذلك فقال عقيل سأجعل اقامتى سياحة فى ارياف الشين لسماع نوادرهم ومشاهدة أخلاقهم فخرج من المملكة وصار يقصد الضواحى فكان ذات ليلة يتفرج فى الازقة فقدم عليه الكتاب المعهود ففضه وتلاه فاذا فيه الاسف ثم الاسف أيها النديم الحقيق والمخلص الصديق فيما حل بنا وهو ان ولدى العزيز خرج الى الصيد فشرد به الجواد وغلبه العنان وانساب ذلك الفرس العنيد الى ضيعة حراسها عبيد وأنت تعلم بظلمه اياهم بالحبس والضرب بلا جرم فاغتنموا فرصة الانتقام وأغلب ظنى انهم أخذوه وشردوه مع البعض منهم الى بلادهم لانى اهتممت فى البحث عنه أياما ولم أدرله خبرا ولم أوله أثرا فامرى ان تردعلى المال والرجال وتخرج أنت متنكرا الى بلاد السودان فعسى ان تلقاه ولا تعد الى الا به فلما فهم النديم مضمون الكتاب ضاقت عليه الدنيا فخرج الى الفضاء المتقطع وصار يحثو التراب على رأسه ويلطم على وجهه حتى مضى الليل وطلع النهار فقام وغسل وجهه وتأمل فى مضمون الامر وقال مستغربا بان كان فجع فى عزيزه هذه الفجعة الشنيعة فكيف يذهب فكره الى طلب المال وعنده اضعاف وأما الولد فلم يكن له سواه ليت شعرى أجن من هذه المصيبة أم هذه النكبة دسيسة ومكيدة من الخائنين مريبه فوالله لا أرد له مالا ولا أنيله منالا حتى أقف على حقيقة الحال وكان معه عشرة من الرجال فجهزهم الى بغداد وقال انى سألحق بكم بعد اتمام مأموريتى على حسب أمر الملك فتوجهت الرجال وصار هو يبحث فى انحاء الجبال على مغارة حتى وجدها وحفر فيها حفيرة حتى أغارها وأتى

بالصندوق على بعير وأنزله بذيل الجبل وصرف البعير بصاحبه واحتال هو بنفسه أياما حتى ألقاه في تلك الحفيرة وحثى عليه التراب وخرج يقول تبالك يا دهر ما أسرعك بالغدر * وما أجدرك بالقهر * قد حوم عليك يا نفسي الغبوق والصبوح * حتى تلاقي طلعة ممدوح * ومازال يكرر النعي * ويباشر السهاد والسعي * وهو تارة ينكب بالاغماء * وتارة يصيح بالبكاء * حتى وصل بلاد العبيد وكان قد أحضر معه صبغا يلون البياض بالسواد وأحضر معه جرابين مملوءين بعقود الخرز واسورة العاج والخواتم الفضة ولما رحل حتى دخل بلاد السودان أذاب ذلك الصبغ وطلى به جسمه فصار عبدا نوبيا واستوى على صخرة فرءاه السودان فلما رأوه أحاطوا به وصاروا يحيونه بلغاتهم * ويسألونه عن حالهم * فقال الحقوني بأميركم * ومتعوني برؤية كبيركم * فاركبوه ثورا عظيما وساقوه حتى ادخلوه على ذلك الكبير وهو جالس على عنقريبه وامامه قصعة العصيدة وجنوده جاثون على ركبهم حفاة مدهونى الرؤس فتأمل عقيل في هيئة المجلس ووحشة منظره وتذكر كيفية محفل العادل وبهجة انسه فمازال يبكي ويتخبط حتى رقت له تلك الوحوش وصاروا يرشونه بالمياه المطينه * ويلطفونه بشموم للمصروع معينه * حتى أفاق وأمسك عن البكاء فسأله كبيرهم عن حاله فقال خطفتني الترك وأنا صغير وقد طال أسري لديهم وكابدت وحققت كل كرب مريب وطالت سلطة البيض علينا * وساقوا كل ذل الينا * فكنا اذا اجتمعنا أنا وأولاد عمي نتضجر ونبكي وننوح * ونندب ونشكو ونبوح * لشدة ما نابنا من جورهم الفظيع * وفعلهم الشنيع * ونأسف على كربتنا * وذلنا في غربتنا * فآليت على نفسي أني اذا ارتددت الى بلادي * وبلغت أملي ومرادي * ان لا أسمع بزول أبيض الا سعيت لحتفه * ومتعت نفسي بذل غربته * وجعلت لكل من دلني على أحد منه تحفة من هذه النفائس التي بالجراب فسر القوم بهذه الرشوة وفرحوا * وتبادروا الى على البحث وسرحوا * وكل ما وجدوا شخصا أبيض تسابقوا ببشارته * وأخذوه لرؤيته * وصاروا ينتقلون به من بلد الى بلد حتى لم يبق أحد الا رآه ودار كادار معه الزمان مدة أعوام في تلك البلدان فلم يقف لممدوح على أثر * ولم يسمع في نوادرهم بذلك الخبر * فلما يئس تحقق انها دسيسة فكر راجعا ومازال يجد في السير حتى خرج من حدود الزنج ففاجأه الخبر بموت العادل فطاش في الجبال بالنعي والنحيب وكف عن الزاد والشراب وزادت عليه الهموم وصار يقول حاق مكر المنافقين بالوالد والولد فوحقهما لا آدخل المدن بعدهما ولا أخالط الناس أبدا حتى الحق بهما وقصد رؤس الجبال * وصار ينعى الاثنين ويعبد المتعال * وكلما غلب عليه الحزن والنحيب * ينتقل من كثيب الى كثيب * ولا يدري الى أي واد ساقه المسير * والى أي بلاد دفعه الزفير * وكان يقتات بالحشائش وأحيانا من صدقة القوافل التي تمر عليه فكان ذات ليلة يبحث على ماء احدى المغارات ليتوضأ منه حيث انه لم ير ماء جاريا وكلما مر بمغارة يصغي على بابها ليسمع اذ سمع صوت هرير الماء وبينما

هو كذلك فى احدى المغارات فانم الاصغاء فاذا هو بصوت عابد يعلن المناجاة فقال بالله
من عابد * وطوبى له من زاهد * فدخل الغار وقال السلام عليك أيها الصالح * والعبد
الراجح * عظنى فى السلوك واقلنى من وجد يعاندنى * وكرب يصادمنى * فاقبل عليه ذلك
العابد وهو كالخيال * قد صيره النسك كالخلال * قائلا وعليك سلام الله الذى ارسلك الى
لتدلنى على طلبى * وتبلغنى شاطئ أربى * قال عقيل ان كان فى الامكان فعلى العين والرأس
ولكن أثم بحر فى هذه الفيافى فقال لا أدرى ولكنى أريده لامر ضرورى فعلم عقيل انه
يريد البحر لتجديد الغسل والوضوء فقام يهرول واندفع يجرى يمينا وشمالا حتى بعد عن
الجبل فسمع تلاطم الامواج فسر بذلك السمع وصعد على شجرة وصار يتفرس بالنظر
حتى رأى بريق الماء فى ضوء القمر فعاد مسرعا الى العابد وقال سيدى وجدت البحر لكن
لست أدرى أفرات أم اجاج قال العابد جزاك الله عنى خيرا ولا حاجة لى بحلوه ومره فقاما
وجعل عقيل يؤمه حتى وقف على شاطئ ذلك البحر فتقدم العابد وتوضأ وصلى ركعتين
وقال اعلم يا أخى انك ستلقانى الآن غريقا فارجوك من فضلك ان تأخذ رمتى وتلحدها
لتسترها بالتراب وارجو المغفرة لهذه الروح الشقية فلما سمع عقيل ذلك القول انكب
على اقدامه وقال فديتك أتطغى العباد * وتعصى الرب الزهاد * ألم يقل فى تنزيله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة فما الذى دهاك * والى هذا الطغيان اداك * قال العابد ناشدتك الله
أتكتم سرى بعد موتى ولا تفضح جيفتى قال عقيل ان تفوهت بسرك لغيرك برئت من
دينى وذمتى * وصاحب شفاتى * قال العابد مذ اقسمت انك لا تبيح بسرى * فانا ابن
العادل ممدوح المتسربل بذلى وضرى * فلما سمع عقيل ذلك القيل * صاح بقوله وأنا
عبدك عقيل * فشهق الغلام وتعلق بعنقه فضمه عقيل وسقطا على الارض وغابا عن
الوجود وما زالا فى غشيتهما حتى اشتدت حرارة الشمس فانتبه عقيل وحمل مولاه الى
الغار وارقده فيه وعاد الى البحر وملأ الجراب ماء ودلك جسمه بدهن النفض واغتسل
فى البحر حتى زال سواده ثم أخذ الجراب ودخل الغار وصار يصبه على مولاه حتى أفاق
وصار يدلكه حتى جرى الدم فى عروقه فتكلم فقام عقيل وسجد لله شكرا واقبل عليه
فتأمل فيه ممدوح وقال يا ذخر والدى وذخيرة تالدى كنت أراك عبدا نوبيا * والآن
رأيتك شهما عربيا * أكانت غشوة فى بصرى * أم عشوة فى نظرى * قال عقيل عزيزى
أفق واستفق أنا أحدثك بما جرى وتقرر * وفى لوح القضاء تقدر * فأراد ممدوح
الجلوس فلم يقدر على ان يستوى جالسا لضعفه من الجوع فقال اثم شئ يؤكل فقام عقيل
وخرج الى الصحراء فاذا بقافلة قد أناخت ابلها للراحة فصار يسألهم فجنوا عليه بالزاد
والحليب فرجع على الفور وسقاه اللبن وصار يلقمه بيده كالطفل من ذلك الزاد حتى
اكتفى واستوى جالسا وقال حدثنى أيها الصديق بما لاقيته من العبر * فى الحضر والسفر *
فانامه عقيل على فخذه * وبادره بالحديث من أوله * وصار يسليه * وبالنوادر يلهيه *

ومكث مدة حتى تروحت روحه بالزاد وبالانس وكان عقيل ينتظر برهة نوم سيده فيخرج
ويسأل الناس المارين عليه ويأتي بما استحصل ويطعمه وان لم يجد شيأ القوته نصيد
بعض السمك وكان يحذر كل الحذر على الخبز ولا يذوق منه شيأ وان سأله ممدوح في
الاكل معه يقول ان رأى السيد يعفو عن عبده لان لي مواقيت معينة للاكل ان تناولت
شيأ في غيرها أضرني وكان يكتفي بالاثمار وما يفضل من أكل سيده فلما تقوى ممدوح
قال له النديم أكاف مولاي وان لم يكن لي حد في هذه الجسارة اذا وافق ارادته ان يسمع
عبده ما جرى للسيد بعد عزية العبد على بغداد * وكيف كان خروج العزيز من سرير
سلطنته بين العباد * قال فهدرت دموع ممدوح * وقال من كبد مجروح * والله منذ
سرني المنان بمشاهدة طلعتك أريد ان أبسط هذا المقال لديك * واقص خبري عليك *
ولكن يمنعني الخجل لما سبق مني اليك من وقاحة الجهل والجنون * وقد أدركت مباني
النفاق بعدما هدمت اساس الغي والفتون * فمسح النديم دموعه بكفه * وأشار عليه
باعراضه عن المعذرة وكفه * وأبدى اليه البشاشة قائلا لا قعد جدك * ولا انحط
سعدك * عزيزي لو علمت أنت بما فعلته بنفس والدي من العيوب * وما ارتكبته لغشية
قصدي من كبائر الذنوب * لم تر ما كان منك حسنا بالنسبة اليه * وفعلا جميلا لا اداقيس
عليه * فكم هممت بكل منافق وجعلته على رغم والدي عين مناقي * وكم ولعت بكل
فاسق وانفقت عليه مال اجدادي وآبائي * فانت لطيب عنصرك العالي ترى هفواتك
عيوبا * ومن جلالة طبعك السامي تلقي تلك النكت ذنوبا * فانا سأعرض عليك بعد سمعي
ذلك الحديث * ما أجريته من الجرائم وأنا حديث * فطابت نفس ممدوح وانبش قائلا

الفصل الثاني

اعلم أيها الشفيق اني بعد عزيمتك أنت والوزير قال لي الخائنان ان بعد السفرة عنك
أقوى علامة لاصلاحك وأنا غارق في بحور جهلي * غائص في لجج طيش عقلي * لم أدر ان
الحبور لهما * والذل نصيبي * وان الفوز بالسعادة قرينهما * والهوان قريني وقريبي * فلم
يمض شهر الا وشكى والدي صباحا واشتد الكرب عليه في الغروب فدخل مخدع نومه
وأرسل الي فحضرت ودخلت عليه فلم يخاطبني بل ضمني الى صدره وصار يقبلني ويتلفت
يمينا وشمالا الى جهة الشين وايران فعلم الخائنان ان لسانه قد انعقد وهو في حالة النزع
فاخذاني منه بعنف وأنا لم أدر شيأ وساقاني الى حجرة صغيرة ومنعاني عن احضار الاطباء
بخداعهما وأجلساني بتلك الحجرة وقاما نحوه ورجعا الي وقالا انه نام ثم ذهبا اليه بسرعة
فقفوتهما ولم أتجاسر على الدخول خوفا منهما وسرت استرق النظر من النظارة فاذا بهما
ينزعان خاتمه من يده ثم حلا هميانه من خصره وأخرجا ما فيه من الجواهر الثمينة وتقاسماه
وأنا اراهما ولم أعقل ما يفعلانه بل كنت كالمعتوه من شدة حزني وولهي عليه ثم خرجا

فسبقتهما الى الحجرة فدخلا علي وأخبراني بموته ثم أتم الحديث كما ذكر وقال ثم أخذاني
وأسكناني بعيدا عن المدينة وعينا الى اثنين من خدمهما ليخدماني واستقلا بتمهيد المملكة
لهما وأنا لا أعلم شيئا سوى قطيعتي وحزني ووحدتي فكنت أياما أتقلب في دثار أحزاني *
ولم أجد من يواسي أشجاني * وكانا يأتيان لزيارتي كل أسبوعين مرة فعللت نفسي بالصبر
حتى حضرا فانكببت على أقدامهما وكان أول انكبابي على الاقدام وقلت دخيلكما ان
تنقذاني من هذا الضيق وفرجا عني هذا السجن فلا طاقة لي به ولا سعة لي في كتمان الصب
والصباح وأذنا لي ان أخرج الى الجبال وأصيح واندب تاج دولتي * ومصباح غرتي * لاني
قد أشرفت على الهلاك فاذا هلكت فما فائدة سياستكما * وما ثمرة غياثكما * فهزا
رؤسهما استهزاء ببكائي وقالا نخرجك ليلة الجمعة كما كنت تخرج لابيك ولم يقولا
سيدنا ولا الملك فصرت أنتظر الميعاد * كمواسم الاعياد * فلما كانت تلك الليلة حضرا
الي واخرجاني من باب السر وسلماني الى عبدين زنجيين بينهما دابة فركباني عليها وجدا
في المسير حتى دخلا الفيافي القفار ثم أنزلاني ببقعة موحشة * وأرض مدهشة *
فاقعداني على التراب وبادراني باللوم والسخط وقالا لم خنت سيدك وسرقت متاعهما
ولم تكتف بذلك حتى أردت ان تحتال في قتلهما وهما اشترياك بالنقود فهلا أطعت
سيدك وعصيت جهلك فعلمت انهما ادعيا علي بهذه الخيانة * ورمياني بهذه الجناية *
وسلماني للعبدين ليقتلاني فكانت أول مكيدة رميت بها من المنافقين وأول ندم دهيت
بل أول ما دق فرق المصاب * وأوجبني ان أحثو عليه التراب * فغلبني البكاء على
ما كان مني لكل صديق ناصح فرضيت بالقتل ولم أرض ان أقول لست بعبد ولا أن
أبي العادل واهتك حرمة ملوكية والدي ولو بعد موته فقلت اعذراني كاد الجهل ان
يكون جنونا وافعلا ما أمرتما به فتأسفا على العبدان وحنا على بكائي وظنا ان البكاء
على فقد حياتي فلا والله ما كان نحيبي الا على ما كان مني من الجهل وما لحقني من خيانة
الخداع فقام العبدان الى الجبل وذبحا ذئبا وتلوثا بدمائه وقالا لي انا قد رحمنا شبابك
وأعتقناك من الموت فاخرج واقصد اذيال الجبال في سيرك واياك ان تظهر فلعلك بقافلة
يتخذك أميرها أجيرا واعلم انك ان ظهرت في هذه المدينة أو بالقرب منها قتلت وقتلنا
وكما رحمناك ارحمنا وكان بكائي الثاني أصعب من الاول لوجوه شتى حيث اني ما كنت
أرى أسود الا أمرت بضربه وحبسه وقد صرت أسيرهم واعتاق روحي بمعاينة قلبهم
واتهمت نفسي الشريفة ورميت ساحتي العفيفة بالسرقة والقتل وهما من الكبائر
وأنا بريء منهما وكنت آنف ان أسمع بهذا الارتكاب ولو في المثل وكيف أسجن بلا جرم
ويكون اخراجي من السجن الى القتل بلا ريب وكيف أكون أجيرا * بعد كوني للمسلمين
أميرا * ولكن ما حيلتي اذا سال اقبالي وبان ادباري وقادني اليه ارتكاب جهلي وغروري *
وحكم القدر بحيني ودحوري * فامتثلت لامر ربي حيث انه بالمرصاد لكل ظالم وهو

ثم قال لى كيف اقرارك أيها الفتى بما جنيت قلت أعز الله أمر السلطان لولم أكن رميت بالزنا ولى أمل بتخليص روح بريئة من الريب لقبلت الجناية وأقررت بها الا انى أشتهى الموت اعلم ياولى أنعم بلادك وعبادك انى وحق من قلدك حقوق عباده لم أدخل منزل تلك الحزينة * ولم أجلس على دست هاتيك المسكينة * الا لاغاثتها بالمساعدة فى تخليص ولدها من تهمة هو برىء منها وهذا المسطور أكبر شاهد والله خير الشاهدين وأخرجت العرض وسلمته اليه ففضه وقرأه وصار يضرب على فخذه لما فهم معناه * وقد احمرت عيناه * وطاش غضبا وقال بصوت عال على بالغلام فاحضروه وهو يرجف فلاطفه بالخطاب وقرره فى الجواب فلم يختلف قول الفتى عن ما بار قيم بحرف واحد فامر الملك بحضور اخصامه وشدوا وثاقهم وانساقوا الى السجن مكانه وطيب خاطره وعينه مكان أبيه ثم التفت الى وقال لم تشتهى أيها الفتى الموت وأنت فى سن الشباب أبك ظلامة أم لك حاجة قلت أيد الله الملك بتأييد سلطنته لكونى غريبا ورميت بالزنا فقال لا بأس عليك وأمر لى بمائتى دينار فاخذتها ورجعت بالغلام الى أمه فاذا بها تصيح بالبكاء وتقول ربى أنت شاهد عدل أيحرق ذلك الفتى ظلما بنار ى * وهو عن كل عيب عارى * فدخلت عليها * وسلمت ولدها اليها * وشرحت لديها القصة فقبلتنى قبل ولدها وناولتنى صرة فيها خمسون دينارا فرجعت الى سيدى وقلت مولاى هالك ثمنى الذى اشتريتنى به وهذه الخمسين دينارا فى مقابلة ما صرفته على فى طعام وشراب وملابس ولك الفضل فى السيادة فقال وأين تذهب أنت فقلت حيث ما وجهنى الذى أوجدنى وخرجت فرحا بعتقى من الاسر فدخل حرمه وأخبرز وجته فسمعت ابنته فصاحت قائلة ان لم أتزوج به قتلت نفسى لان حبه ملأ صدرى وكنت أنا ما را من تحت الطاقة فسمعته يصيح على غلمانه و يقول الحقوا ذالك الخاسر واحضروا به فاسرعت بالجرى حتى لاقتنى شجرة شاهقة فصعدتها حتى دخل الليل فنزلت عنها وصرت أجرى حتى خرجت من المدينة فاذا بالمفتشين على يدورون بتلك النواحى فضاقت على الارض فرأيت اخدودا بجانب التل فالقيت نفسى فيه فاتت العصبة وجلست بجانبه وصاروا يقولون ما أكفر هذا العبد ماذا عليه لو تمتع بالصبية والمال وماذا يكون جزاؤه اذا وجد فقال أحدهم حبسه حتى يموت فكانت كربتى من سماع هذا الحديث أكبر غمة على وكانت العقارب تلدغنى ولم أقدر ان أتفوه بحرف واذا أعمى على أفقت من ألم لدغة أخرى فما زلت بذالك الاخدود حتى مضى الليل ونهاره وأقبلت الليلة القابلة فخرجت أمشى وأقع وكانت شدة الالم لا تساعدنى على السير فاغاثنى الله بجبل فاختفيت بمغارة فيه فارقدنى السم ثلاث ليال بايامها ولم يغننى الموت الذى هو منيتى وأشهى بغيتى وأنا فى حالة ما كنت فى المنام أراها * ولم أتخيل أنى يوم الحساب ألقاها * فلم يخرجنى الا العطش الذى أحرق كبدى * وصرت كالاطفال أحبو على ركبتى اقلة جهدى * حتى وصلت البحر وشربت

منه واغتسلت واحتلت في قطع عكازين من شجرة لا توكأ عليهما وصرت أمشي بالليل وأختفي بالنهار * وأتقوت تارة من الاثمار * وتارة من ورق الاشجار * ومازلت على هذه الحال حتى خرجت من الاقطار * وقد تكون عندي مغص شديد من عدم أكل الخبز فبينا أنا ذات يوم على الجبل اذ شممت رائحة خبز كنت أنشقه في حال مروري على الافران نخفق قلبي * وطار لبي * شوقا لتلك الرائحة فسرحت نظري يمينا وشمالا فرأيت محلا يصعد منه الدخان فانحدرت من أعلى الجبل بسرعة وكانت تلك الرائحة تجذبني اليها * وتدفعني الاشواق عليها * حتى دخلت ذلك المكان * فاذا هو تنور لفران * فلم أطق ان أمنع نفسي من السؤال فوقفت بالباب وقلت أسيادي شيأ لله فاتاني صاحب الفرن برغيف محرق فاخذته بكل شغف * وصرت أتناوله بكل لهف * فلما دب الخبز في جوفي ارتاحت نفسي وسكن خفق قلبي فغلبني النوم فنمت يومي كله فأيقظني الفران وقال ان كنت مريضا فالحق باهلك لئلا تموت عندي وأصير مسؤلا عنك فقلت سيدي ليس بي مرض ولا أهل لي واني غريب فقال ماغربتك عن بقعة أوطانك * وتربة أقرانك * الا لخيبة طبعك * وخساقة عقلك * قلت نعم أنا مقر بذلك فهددني كما شئت وسب * واصفع وانهر واضرب * فصار يضحك ويقول كفاك بمعرفة خيبتك اهانة فهل لك أن تكون عندي أجيرا وأجرتك قوتك قلت نعم ولك الفضل فاستخدمني مدة بالقوت فكنت آكل ما أفضله هو وأولاده هذا مع قولي لنفسي هذا جزاؤك أتتذكرين مذ كنت تأنفين من مائدة جلس عليها أحد قبلك وتأمرين برميه الى الكلاب فليتك كنت كلبا منها فكيف حالك وفضلة ما أكل الفران وأولاده فطوبى لمن بالادراك اشتهر * وبحالك اعتبر * فكان نومي على باب الفرن ووسادتي عتبته وكنت ألتحف بقطعة من جلد البقر تجلس عليها الصغار بالنهار وألتحف بها في الليل فتبا لمن دهش بالغرور * وتقلد بالكبر والنفور * والخيبة ثم الخيبة لمن طاوع خداع المنافق * وتجنب سير كل مخلص وصادق * فمن أطاع سلطان جهله * أباد خاقان عزه * فمن أراد التأمل في ما أبداه الدهر من العبر * فها قصتي مرآة لكل معتبر * لقد أمسيت مما جنيت بعد سرير السلطنة على تراب الندامة أجول * وأصبحت في اخدود المذلة على ما فرطته أندب حالتي وأقول *

حوادث الدهر للانسان مرآت * مصقولة كم بها الدهر عبرات
فمن رأى حظه تهذيب زخرفه * بكل زين نبت عنه المسرات
لا تلتفت لبهيج راق منظره * وخلفه السم وارته المداراة
وهذب الخلق مهما استطع لترى * وجه الملاحة حفته النضارات
وارفع عصابة ذي الغفلات عن بصر * حتى ترى ما أساءته المواراة
فمن القلب أباد الوجد مهجته * وبددت كبده الرنان زفرات
أضحى خفوقا بصدر الذل ليس به * من حرما يلتقي الاشرارات

ترى تعود له أمنيــة سلفت * وأخلفتها بكيف الروح حسرات
فهل لكسر زجاج الكأس منجبر * من بعدما كثرت منه الجذاذات

فلما رأتني امرأة الفران أشفقت علي وصارت تأتيني بفضلة طعامهم فاسمع وأدعو لها ولبنتها بالعمار وكان لها ولد كبير لكنه كسول عن الشغل ولم يزل ناعسا عند أمه أما أنا فكنت أفعل كل اجتهادي في الخدمة وأسهر ليلي في نزح تراب الفرن وتنظيفه فمال الى الفران وكساني ثوبا من القماش وقدمني عن ولده في الاخذ والعطاء حتى صار مدار اشغال الفرن على ان كان الفران غائبا أو حاضرا فاشتاط ولده غيظا وصار يشكو الى أمه فالتفتت عني وبغضتني وتشاجرت مع زوجها من أجل خروجي من الفرن فقال لها يخرج ولدك عدم النفع وهذا أنفع لي عنه فلما يئست منه احتالت على بحيل النساء فكنت ذات غداة يوم قاعدا بباب الفرن فمرت علي عجوز في طرفها اقراص تتصدق بها على روح ولدها فلما رأتني بكت وانتحبت وصارت تقول ما أشبهك بولدي وناولتني منه ثلاثة أقراص فاكلت قرصة منها فلذلي الاكل لحرماني من كل شيء لذيذ فتناولت الاثنين أيضا وقرأت ما تيسر من القرآن على روحه فغشيني النوم بعد ذلك الاكل فنمت وقمت من النوم معتوها ولم أدر من أنا ولا أعي ما أقول لان تلك الاقراص كانت من خبيرة فيها نباتات يذهب العقل فلما رآني الفران تأسف على ما أصابني وسلمني الى قيم البيمارستان فاخذني وربطني في الشباك على حسب عادة المجانين وكان القيم يخرجنا في بعض الاحيان الى السور لشم الهواء وكنا كثيرا فسلط الله على شابا من أولاد الامراء فكان يمنح الاولاد ببعض الدراهم فيعذبونني بضرب الاحجار وأنا أصيح بصوت مزعج وهو يضحك مثل ما كنت أفعل فأسفي على تكبري وطغياني اللذان أوقعاني * بجب شقاوتي وهواني * فاتفق ان القيم أخرجنا ذات يوم للتريض على حسب العادة وكان ذلك اليوم عيد الاضحى وربطني بشجرة بجانب حفيرة قد أعدها الجزارون لدماء الذبائح وقد تراكمت فيها دماء كثيرة فصارت كل ما عصف الهواء تموج تلك الدماء فيعجبني لونها حين التموج وكان حبلي طويلا لا تمشي قلبلا فرزقت ملابسي في الحال وتجردت منها وألقيت نفسي بتلك الحفيرة وصرت أتدلك بتلك الدماء فجاء القيم ورآني على تلك الحالة فخوفل ثم جذبني بعنف حتى أخرجني وضربني ضربا موجعا وسحبني ودار في الفلاة يبحث على ماء ليغسلني منه والصغار تجري ورائي وتعبث بي وأنا على ذلك الحال الشنيع حتى أدركني الله بمائم سدر من صخرة كبيره فقدمني القيم وصار يدلكني حتى غسلني من ذلك الماء غسلا جيدا فوقعت مغشيا علي ومازلت في غشيتي حتى حان المساء وانساقت المجانين فأيقظني القيم بجذبته فقمت وقد زال حكم ذلك النبات وعقلت كما كنت فنظرت لحالتي وتذكرت أعمالي السابقة فقلت هل من حبيب فينعى في * هل من جاهل يراني * فيعتبر بحالتي * هل من مغرور ينظرني فيراجع نفسه قبل ان يرمى بمقوبتي هل من طائش يتيقظ من غفلته بمصيبتي

ثم التفت الى القيم وقلت له ان رأيت ان تحل عقالى فانى عقلت قال قد قرب شفاؤك ان شاء الله تعالى فالمجنون اذا قرب شفاؤه يحضره العقل تارة ويغيب أخرى وأخشى ان يغيب فتشرد منى وتسىء الناس وأنا المسؤل وأعاد ربطى فى الشباك فكنت اسبوعا وأنا به على أنظر ما يفعل بالمجانين وبى وكان ذلك الاسبوع يعدل كل الاقية من الكرب فناشدت القيم بالله أن يحل وثاقى فانى شفيت فأتى بجمهور من الاطباء وصار كل منهم يسألنى أسئلة وأنا أجاوبه بأحسن جواب فشهدوا بشفائى وأطلقونى فخرجت واغتسلت وتوضأت وأديت صلاة الشكر ثم رقدت فى ناحية من المسجد ارتاح من الكرب الذى كنت فيه فجلست رجال بجانبى وصاروا يقولون أعيانا البحث على ذلك المملوك وابنة الجندى أشرفت على الهلاك فعلمت انهم يقصدوننى فقمت ساترا رأسى بكسائى وخرجت هاربا فلاقيتنى تلك العجوز فى جمع من العسائر وهى تقول مررت بالمارستان فقال القيم انه عقل وأطلقته فاغتممت وها أنا الآن أريد ان أدهشه بوجه آخر حتى لا يعرف الطريق فالقاه فآخذه وأربطه عند صاحبته معتوها بالثانى وآخذ منها جعلى فضاقت على الدنيا وصرت أجرى ليلا ونهارا حتى خرجت من ذلك القطر بدون طعام وشراب فوقعت فى بحر فمررت على قافلة فاخرجونى وتصدقوا على ببعض من الطعام فرق لى أمير القافلة وطرحنى على جمل كالاموات فرقدت أياما لم أدر أسار وام مكثوا حتى انتبهت بعد أيام فوجدتهم نازلين ليلا فتصدقوا على بالطعام فاكلت كفايتى وقمت لقضاء حاجة فقام القوم وتركونى فرجعت فلم أجد أحدا فصرت على وجهى أدور فى القفار حتى وهنت قوتى وكرهت حياتى فعزمت أن أقذف نفسى فى البحر حيث لا راحة لى الا بالموت ولم يكن لى قدرة على البحث عن وجود البحر فسألت الله ان يرسل لى من يدلنى فساقك الله لى وهذا حديثى واندفع يبكى وعقيل يبكى معه ثم قام عقيل وغسل وجه مولاه ونثر عليه قليلا من الطيب وطيب خاطره بالمسامرة وصار يبشره بعواقب الصبر ويقول له لا تعجل بالهلاك * وامتثل لامر مولاك * وما قيلت الامثال * الا لاستحضار الامتثال * ألم يقل لا تولم بالحزن قلبك والعين * وانتظر ترى اليسر بعد عسرين * ولا تضجر لطول الشده * فانها التهذيبك عده * أطال الله بقاء عمرك * ومتعك ببشائر صبرك * شعر

لا تجزعن من الشدائد والقها * بالصبر والتقوى فانما مالها

فاياك سيدى والضجر * فالحر يحمل ما لا يحمله الصخر * وتذكر سيدى ما قيل نظما

ماذقت مر تجلد فى شدة * الا وشهد ختامها بفمى حلا

فلست سيدى وضيعا فى العنصر * ولا مست الدناءة شرفك الرفيع الاطهر * فلا تسرع بانحطاط عزمك وشهامتك * ولا تشمت الاعداء باظهار أسفك وندامتك * فلا تكون رجلا الا باتخاذك الشدة لكف التجلد كره * ولا تنال المقام الارفع فى المروأة الا بالصبر على الامور المكدرة * ومازال يطايبه بمثل هذا الحديث ويسكن لوعة ذلك الحبيب

حتى نام على فخذه وصار عقيل يتأمل في عزة جماله التي محيت بذل الادبار ويبكي ويقول لنفسه يا عقيل لا تكون رجلا الا عواساه بحل مولاك * و بصدق خدمتك الخليفة من أعمالك وأغنالك * فهذا الوقت محل تجارب الصداقة * ومحك معرفة الجهد والطاقة * فالصواب ان أجذبه العزيمة الى الشين * وأتحفه بذخر ذلك الصندوق المدفون * فنتقيم في صرفه الى الطعام والشراب واللباس انما لابدان أكتم عنه أمر الدفينة حتى أتوصل اليها وأحضرها بين يديه * فلربما يكون ادباره أضاع تلك الخبية * وصيرها اللصوص لقيه * فيتعاظم كربه * و ينفطر لبه * لان الجاهل يجول على مراده * فاذا أصابه هام نشاطا وتصدر * واذا أخطاه ضجر وأضجر * والكامل يتأنى لمراده فاذا أصابه شكر * واذا أخطأه صبر * وصمم على هذا الرأى فلما كانت الغداة قال مولاى ان استحسنت السياحة فلنبادر بالعزيمة فلعلنا نحظى بالفوز قال ممدوح نصوحى أنت الخبير وأنا المسير فصار عقيل يدعه في ذلك الغار و يذهب و يسأل من مر من القوافل حتى ادخر ما يكترى به و بقتات منه فلما حان وقت مسير القوافل الى الشين اكترى جملا وركب مع سيده وسارا وكان اثناء الطريق يتحف امراء القافلة بحسن النكت والنوادر وهم يتحفونه بالانعام كالنقود والملابس فعرفهم انه قد أقسم ان لا يلبس خلعة أحد لنادرة حصلت له وليس ذلك كذلك بل انه لم يرد ان يلبس ممدوحا خليع الناس فصاروا يعطونه قطعا من الاقمشة فيأخذها ويتأمل في تفاصيل الاقمشة و يفصل مثلها و يخيطها و يلبسه جديدا حتى وصل حدود الشين فصار يلاحظ ذلك الجبل المعهود لانه قد كان خارجا عن البلد فلما مر على ذلك المغار وجد ان العنكبوت خيم عليه تخييما ثقيلا فعلم انه مصون ففرح فرحا شديدا وقال ان كان اقباله مقبلا نحصل عليه و يتمتع بما فيه فلما دخلا المدينة واستراحا بها اياما ومهد عقيل محل سيده وجعل له فيه سريرا من الجريد لنومه وادخر ما استطاع من الطعام قال مولاى أستأذنك في المغيب اسبوعا وداعيه انى لما كنت هذا سابقا كنت أعرف رجلا من سكان الصوامع مجاب الدعوة فان وجدته حيا أسأله الدعاء لحل مشكلنا ففرح ممدوح وقال لك الامر انما أرجوك ان لا تطيل المكث عن ما قلت لانى في ضنك ولا أطيق البعد عنك فلما كان الليل ظهرت زلزلة عظيمة وهدمت كثيرا من البيوت والربوع ومكثت ساعات ثم سكنت فصارت الناس تهنى من سلم وتلحد من مات تحت الهدم فلما مضى ثلاثة أيام واهتدت الناس خرج عقيل قاصدا تلك المغارة حتى وصل اليها فاذا بالجبل قد انصدع من شدة الزلزال وانفصلت من مغارة صخرة عظيمة فطبقت تلك المغارة واستقرت بجوفها فناهيك ما حل بعقيل * من اليأس الطويل * والبأس الثقيل * فصار يندب ذخر ذلك المغار * وقلبه اعصار فيه نار * ثم استغفر وتاب * وخر راكعا وأناب * وحمد الله على عدم افشاء هذا الامر لممدوح وقال ان اخراج هذا الدفين لا يكون الا بعدة رجال * وان حضرت الرجال وتوضح الحال * سلبوا المال الى الملك

وساقونى الى الحبس لاقر من أين عرفت موضع الدفين والنقود كلها باسم العادل لان كل ملك يضرب سكة نقوده على اسمه فلا يمكننى الاقرار ولا أتمكن من الازورار فالامر الى الله ثم رجع بالخيبة واليأس الى مولاه وقال وجدت الرجل قد لحد تحت التراب وان لنا ببشائر الصبر لزلفى وحسن مآب ثم التفت عقيل الى أسباب التعيش فلم يجد سببا الا مسامرة الامراء ومؤانسة الاكابر لانه لم يكن محترفا فتذكر ان هذا الامر يعسر على سيده لانه كان نديم أبيه فتركه واتخذ حرفة المنجمين فصار يجلس فى الازقة ويبسط ماله فتقصده أرباب الحاجات فيسر له رزقه ويحضر عند الغروب باحسن طعام ويأكلان معا ثم يسامره حتى ينام فمكث مدة من الايام بالشين وعقيل يستدرك حيلة لاخراج الدفين فلا يمكنه وقد ثقلت الاهوية على ممدوح فتشكى اليه وعزما على السفر وسلما العنان لكف القدر وكانا يقتاتان بتلك الحرفة المخترعة حتى قدما العراق وكانت من ممالك العادل فمكثا بها أياما حتى استراحا من مشقة السفر ووجد ممدوح فى نفسه نشاط الموافقة الهواء فقام يتفرج فى شوارع المدينة واذا بالعمال منهمكين فى بناء قلعة عظيمة فتذكر ممدوح قلعة أبيه فسأل هل هدمت قلعة العادل حتى يجدد غيرها فلما سمع العمال ذلك القول بكوا وانتحبوا وقالوا الا تذكر أيها الفتى هذا الاسم العزيز فيعقبك ما أصاب غيرك من الاهانة فقال ممن يصيبنى قالوا من الملكين اللذان يبنيان هذه القلعة وصدر أمرهما أنه عند انتهاء هذه القلعة يحضران لتزين المدينة لانشاء القلعة الجديدة ويهدمان تلك القلعة القديمة وهما يعاقبان كل من ذكر اسمه باس واعقاب (قالت) وكان هذا الخبر أول سماع ذكرهما عند ممدوح وبراعة استهلال مكائدهما وأول خياناتهما فارتجت فرائص ممدوح وتلجلج لسانه وهدرت دموعه فتأبطه عقيل ومشى به فصار الناس يسألونه بقولهم ما الذى دهاه فيقول من صغر سنه وهو بعلة الصرعة تعتريه أحيانا وصار به الى البحر ومازال يصب عليه الماء البارد حتى سكن ما جاش به فتأمل فى عقيل وقال ما أهنأ الموت للخائب الخاسر فقال له عقيل ما أحلى حسن العواقب للصابر الشاكر فلاى شئ تنهر نفسك فدعهما يجددان لك القلاع ويهدان لك البقاع والله ما نجح منافق ولا ربح مخادع والامر والحكم بعون الله عائد لصاحبه ومولاه وأخذه واركبه وصار به الى حجرتهما فتمرض ممدوح اسبوعا ومازال النديم يبسطه بالمسامرة ويسليه حتى فاق وصار عقيل يذهب الى حرفته ففى يوم من ذات الايام صعد ممدوح الى السطح لانتشاق الهواء فسمع ضجة عظيمة ودق مدافع ورأى رايات السرور قد رفعت وعلقت مصابيح البشائر فارتجف واسودت عيناه وقال ويلك يا نفس ترى ما الذى ترنيه فى هذا اليوم من المكائد وأى شؤم عليك عائد فنزل من السطح وخرج حتى التقى بالناس فسألهم فقالوا ولد للملك دنشنام ولدا وسماه ممدوحا وأرسل البشارة كما جرت عادات الملوك فخر ممدوح ساقطا على الارض وكان عقيل فى حرفته فلما سمع ذلك الخبر

علم بما لحق سيده وأسرع الى محل سكنه فوجده بتلك الحالة فحمله الى حجرته ومازال يعالجه حتى نقه فقال انصح لى بحبك لى وحب والدى لك ان تسامحنى فى قذف نفسى وترضى براحتى من هذه العيشة أيسمح خاطرك بتجديدها فى كل يوم بمكابدة أحر من أختها فأخشى ان أصاب بعلة و بطول عمرى فأتلظى بتعاقب المصائب فوق مابى من المرض فلاترضى شفقتك ولا تقبل رأفتك مكابدة هذه الشدائد وتقادى سده فوق شدة قال عقيل منذ من الله على بملاقاتك وأنا أحفظ فى صدرى حديثا غريبا وخبرا عجيبا ومرادى ان اتحفك به لتعتبر بحسن عواقب الصبر وتتأمل فى مسك ختام نتيجة الامر فان استحسنت براعة استهلاله خذه الى آخره والا فافعل ماتريد فاقبل قولى بحق رفقتك ومتعنى بحسن قبول من رأفتك قال ممدوح ان لم يكن حديثك محمودا عند الخواص ما مالت اليه أفئدة العام والخاص فاسمعنى ذلك الحديث وانعشنى بسمرك أيها الانيس قال عقيل أبتدى باسم الله المجيب ثم الصلاة على النبى الحبيب

﴿الفصل الثالث﴾

اعلم سيدى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل بمصر يسمى فرهاد وكان من أكبر التجار ذا ثروة فى التجارة قد سلم السلام بضاعته من الخسارة وكان له جار يسمى بهرام كان قصير الكف عن الارباح لا طائل له فى الفلاح وكان من الصلاح على جانب عظيم وكان له من الزوجات أربع وهن صداقة و بلاغة وحيلة وسطارة وله أيضا شقيقة تسمى نحوسه وهو ساكن برواق بازاء منزل ذلك التاجر المشهور وكان منزله مشيد الاركان رفيع البنيان وكان له زوجتان احداهما اسمها حنينة والثانية اسمها شراسة وله شقيقة تسمى سعادة وكانت تجارته من البضائع الثمينة كالحلى والاقمشة وأما بهرام فكان يتاجر فى القمح والملح وكان أغلب أيامه صائما وأكثر لياليه قائما وكان رأس ماله مائة دينار يجتهد كل عامه فى تحرى ماله وضبط تجارته ودفع الزكاة وتحصيل قوت العيال و يحفظ نفسه من التبذير اقتداء بقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ولم يزل يجتهد فى مطابقة الحق بالحق حتى يعود الحول و يريد تجديد البضاعة فلم يجد خلاف ذلك العدد المذكور و يكون قد تحصل عليه بعد نصب وتعب ولم يدر فى عدم الارباح ما السبب وأما فرهاد فكان منهمكا فى لذات نفسه من سماع الآلات والحضور بمحافل الانبساط مع التعاطى للكاسات فى الحانات وكان بهرام يذهب لزيارته أحيانا ليؤدى حقوق الجوار فيجد الكتاب يقيدون بحضرته أرباح ذلك العام فى الدفاتر بالعدد الكثير فيغبطه فى نفسه قائلا لو لم يكن لى لسريرة مخلصا ما نال هذا النيل الوافر و يحصن أرباحه بالرقية من اصابة عينه و يرجع الى داره أسفا كئيبا لم يجد سوى الغيب مجيبا فضجر ذات يوم وقال الى متى عن التقاعد لا أحول

وفى بعث الارباح بالاسفار لا أجول فان جارى عازم على السفر الى الهند فلو اتبعته فى السفر ربما يفتح الله على ويسوق من فضله الارباح الى واستصوب هذا الخاطر وتأهب للسفر وأخذ شقيقته نحوسه وانتخب من الزوجات صداقة وكان له صديق مرشد حقيق يسمى الصبر فدخل عليه ورأى ماهو عليه من التأهب فقال الى أين يا أخى ※ قال بهرام ※ قد ضجرت من الخيبة وأنا قاطن فعزمت على السفر مع جارى لعلى أفوز بالمكاسب وأخذت الصداقة معى والشقيقة وأنت خليفى على الباقين حتى أعود فقال الصبر اعلم يا أخى ان الارباح والحبور فى كل حرفة قدر مقدور ومتى ما كنت ملازما النحوسة فلا تتعب نفسك بالنصب فلا تكسب من السياحة الا كرب الغربة ومشقة السفر ولو كانت بضاعتك من المسك الاذفر فالرأى عندى أن تلازمنى حتى يعوم ملازمتك اياها الاله ويغيثك ببشارة قوله تعالى وما النصر الا من عند الله قال بهرام ألم يقل وهو أصدق القائلين ربى الشكور فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ألم تعلم أن لى أربعة من الزوجات ولكل علامة بشرى من العلامات فلا الاربعة تغلب الواحد ولا يشغلك شأن الصداقة وما فيهما من خلاصة النصين فأتمسك بها والله المعين فتبسم الصبر وقال اسمع يا أخى ما أقول شعر

ان كان جدك بالسعود مساعدا ※ لم تلق ممن قد لقيك معاندا

أخى لو ساعدتك السعادة أغنتك عن البعد ولم تحوجك لجهد انما على النصح ولك الخيار وأنت فى التجربة فاعل مختار فنهض بهرام وأخذ النحوسة والصداقة وترك الصبر وباقى الزوجات بالرواق وتوكل على الواحد الخلاق وعزم أن يستبضع السكر النبات وذلك باستشارة النحوسة لانه حلو المذاق وهو لكل عليل درياق فاشترى بتلك المائة قندا وحمل وساق مقتديا بالطمان جاره حتى دخل الهند فدخل فرهاد واكترى خانا كاملا وأدخل صناديق الامتعة ومهد لهابه واصطفى قصر الشقيقة وقصر الزوجة فذهب اليه بهرام وحياه وبالسلامة هناه وقال سيدى أملى من حق الجيرة ان تسكننى بمخزن من عندك يليق بحالتى من المساكن السفاية لتاهمى بمتاعها صواب فى الاخذ والعطاء لانى لم أتغرب أبدا فأعطاه مخزنا فى أسفل الخان وكان بابه من الخارج وبه حجرة لقنده وقرر أجرتها عليه فشكره وأدخل الحرم والشقيقة والبضاعة فلما أصبح الصباح قدمت التجار على فرهاد وحيوه فسألهم عن أساوب ملكهم فقالوا ان ملكنا ذو عدل وعناية اذا قدمت التجار علينا يدعوهم الى ضيافته ثلاثة أيام ويباشرهم بكل ترحاب واكرام ثم يطلب بضائعهم فيعودون الى خاناتهم ويأخذون دفاتر البضائع ويعرضونها عليه فينتخب ما يريد منها ثم يقسم ما بقى على التجار ويرسل الرجال مع الدواب لحمل المتاع من دون تعب لاصحابه ويسوق لهم المال مع الارباح ويتحفهم بما يليق فسر فرهاد بهذا النسق الجميد وقام معهم الى الملك وبهرام يتبعهم حتى دخلوا عليه فقابلهم

بأحسن بشاشة وكان بهرام جالساً في آخر المحفل فناداه الملك وسأله عن متاعه فقال أعز الله مولانا انى فقير وليس لى الا شئ يسير من القند فقال الملك من ظرفه نعم البضاعة لان القند عزيز فى بلادنا وأرباحه جزيلة ففرح بهرام وقبل الارض تشكرا فاغتاظ فرهاد وقال فى نفسه سينزل المطر ويعميه جميعه وجد الملك فى اكرامهما وصار يأكل معهما ويوصى خدمه بخدمتهما حتى مضت أيام الضيافة وطلبت منهم ادفاتر البضاعة فأقبلوا على خاناتهما وأخذ فرهاد دفاتره وبهرام تذكرة وزن سكره وعزموا على سراية الملك فلما قربوا منها سمعوا بها ضجيجا وصياحا فاسرعا بالسير فاذا الامراء يمزقون الملابس والوكلاء يضربون الوجوه ولم يكن أحد على افاقة حتى يسألانه عن الخبر فصعدا الى القصر فاذا بالملك يضرب كفيه حزنا وفزعا فارتجف بهرام وقبل الارض قائلا حفظ الله المولى مما أراه فيه فالتفت اليه وقال اعلم يا أخى ان لى ولدا واحدا ومدار ملكى عليه وما له اليه وليس لى خليفة سواه ولم أجد لى من زينة البنين الا اياه وقد اعترته علة بامعائه فى صغره فعولج وشفى وقالت الاطباء ان اعترته بعد البلوغ لم يكن له خلاص منها الا بعصير ثمرة شجرة الخلوص والمنصوص ان تلك الشجرة لا تنبت باقطارنا ولا بالقرب منها ومنذ سمعت بهذا الخبر وأنا أرسل كل عام عدة نفوس الى أقصى المدائن للبحث عليها وأعدهم بكل انعام غير التكاليف والمصاريف فمنهم من يرجع خائبا ومنهم من لم يعد الى الآن وقالت الاطباء انه يتحمل هذا الداء سنة ثم يموت فاعذرونى فى عدم أخذ البضاعة والتفت الى وزيره وقال اعطى كلا منهما ألف دينار ولاندعهما يخرجان من عندنا خائبين

قالت فسلم الوزير لكل واحد منهما ألف دينار فأخذ المبلغين ورجعا الى الخان فتنفس بهرام الخبر على صداقة فألزمته بالبحث على تلك الثمرة وقص فرهاد الخبر على خيانة وأحالته على السبب فى موت الملك الكبير وتخلى التخت الى ملكهم فخرج بهرام بقصد الثمرة وفرهاد بقصد السم وصارا يدوران فى الفيافى فكان بهرام ذات ليلة يجد فى البحث فالتقى بفرهاد فظن ان البحث واحد فقال مولاى كن أنت فى الجانب الغربى وأنا فى الجانب الشرقى والدلالة على الله قال فرهاد وما الذى تستدل عليه قال الثمرة قال دعنى من البحث على الثمرة ولكن فيما هو أهم قال وما هو الاهم قال فرهاد ان الملك لم يكن له خلاف هذا الولد وقد أشرف على الهلاك فاذا مات عجلنا على أبيه بالحاقه ثم نرسل الى ملكنا ونعلمه بسعينا ونشترط عليه الوزارة فيأتى ويستلم هذا التخت من دون حرب وضرب ونكون وزراءه وقد تقربنا من السلطنة فان راعانا كان لنا الامر والا ألحقناه بهما بباقى السم وقد وصفت لى حية توجد فى هذه الاقطار بنابها سم عظيم وخاصيته انه يقتل بغتة كموت الفجأة ولا يتوهم منه ان الذى مات به مات مسموما فها أنا أدور على تلك الحية لاعجل بالحاق الوالد الولد ويأتى ملكنا فان سلمنا زمام المملكة كان به والا ألحقناه بهما قال بهرام لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم كيف نكفر نعمته وكم عدسوابغ

عيشه فما يكون الجواب الى الله فى غد عند السؤال يوم توضع الموازين ونتجرد عن
نفع المال والبنين قال فرهاد سبحان من جعلك حيوانا وصورك انسانا قال بهرام
دعنى حيوان ولا أتقلد بهذا العصيان وذهب كلا منهما يبحث عن مقصده فأما بهرام
فانه ساح فى الوديان والقفار وغاب عن المنازل والديار وصار ينام من خوف الوحش
والحذر على رؤس الشجر فكان ذات ليلة على شجرة شاهقة فاذا باثنين من قطاع
الطريق قدما وجلسا متكئين على تلك الشجرة يتحدثان فرذ كر ابن الملك المبطوت
فتأسفا عليه لعدل أبيه فقال أحدهما أرى دواءه قريبا ولكن والده لم يجد صديقا
حبيبا فسمع بهرام ذلك المبشر فنزل عليهم ولم يكترث بتجريده أو قتله وخر على أقدام
القائل قائلا انى دخيل همتك وأرجوك أن تهديني الى دواء قال ثمرة الشفا قال بهرام
وأنا أدور عليها فاكسب أجرى وثواب شفائه ودعاء والده قال اللص اعلم يا هذا ان كسبي
فى هذه السفرة ألف دينار فان قطعت طريقي وماشيتك لادلك عليها فاتتني نصيبى
فانتظرنى حتى أقضى أربى وأعود قال بهرام مولاى هاك الالف دينار ولا أنتظر قال
البدوى نعم السبب فقم معى ثم ان البدوى ودع أخاه وأخذ الالف دينار من بهرام وسلمها
الى رفيقه وسار رفيقه على طريقه وسار هو مع بهرام فطالت المسافة فقال البدوى
أخى أنت السائر بى ويلزمك طعامى وشرابى قال بهرام لو قلت لى عنه وأنا فى المدينة لاتيت
بما يكفينا الا انه لم يكن معى خلاف ذلك المبلغ وهذا الزاد قد نفد قال أقرضك حتى نذهب
ونعود وتؤديه الى ففرح بهرام وقال نعم وأقسم له ايمانا غلاظا وصار البدوى ينفق كلما
احتاجا اليه ويحسبه على بهرام حتى وصلا الى مدينة الزهرة فقال البدوى اذهب
واستأذن الملك وها هو البستان وأنا أنتظرك هنا حتى تعود فان قبلت الشرط فنعم
المطلوب والا فالامر لله فأقبل بهرام حتى دخل على الملك وقبل الارض وصار يمرغ وجهه
على التراب ويتضرع فرق له الملك وقال أيها الغريب ماذا تريد قال بهرام زهرة واحدة
من شجرة الشفا فتبسم الملك قائلا كم مثلك أتوا خاضعين متضرعين فلما سمعوا بالشرط
تخوا وولوا راجعين قال بهرام وما الشرط قال الملك الزهرة بروح فكيف تسمح بروحك
قال بهرام يطيب لى أن أفدى ذلك الشاب العزيز بروحى قال الملك سبحان الله لاى داع
قال هو واحد خليفة ووارث ملك فاذا رأيت أن تمهلنى حتى أؤديها اليه وأرى شفاه
ونشاط أبيه ثم ارجع الى أعتابك فافعل بى ما تريد يكون لك الاجر والثواب قال أو ترجع
الى الهلاك قال ابعث من تثق به معى وعلى تكاليفه حتى يحصل أربى ويرجع بى اليك
واكتب على وثيقة بانى أسيرك فلا يقدر أحد أن يمنعنى عن الرجوع فقبل الملك ذلك
وكتب عليه الوثيقة وبعث معه من يثق به وأحضر الثمرة من البستان وعصرها فى حق
وناوله اياه وقال يشربه بمعرفة الحكيم وأخذه بهرام فرحا مسرورا وصار مع رفيقه الجديد
حتى التقى برفيقه القديم وأخذوا فى السير حتى وصلوا الى المدينة ودخل بهرام داره وسلم

الحق لمحوسه وقال سدى فه بقماش حرير حتى أغتسل وآخذه الى الملك ودخل هو ليغتسل فسدته ووضعته فى الطاقة فاتفق ان فرهاد وجد الحيلة وأخذ منها ثم حضر الى منزله بشوشا وقال للسعادة سدى فه سدا وثيقا حتى أغير ملابسى وآخذه فسدته ووضعته فى طاقة أخرى وكان فرهاد اتفق مع أحد الطباخين على وضعه فى طعام الملك الكبير وأماولده فقربت مدته لان العام ناهض النفاد فخرج فرهاد مسرعا وطلب حقه فقالت له السعادة فى الطاقة وكانت طاقة حق بهرام أقرب اليه من الاخرى فأخذ حق بهرام وسار الى السراية فلما اغتسل بهرام وخرج سأل المحوسة فقالت لديك فى الطاقة فأخذ حق فرها وخرج وقال لرفيقه انتظرانى حتى أعود واندفع عشى وكان فرهاد وصل السراية وجلس بجانب الملك وكان المنجمون والرمالون ينظرون فى طالع القادمين على الدوام ويبحثون على قدوم آت يأتى بذلك العصير لان الملك أرسل فى عامه عنده نفوس فصاح أحد الرمالين البشرى البشرى أيها الملك السعيد فقد حضر لنا رجل غريب بعصير الثمرة فسمع فرهاد وقال فى نفسه ان كان بان للرمال وجود حق العصير فلا شك انه يرى فى الاستخراج حق السم فليس لى الا الهروب قبل أن يظهره وقام مسرعا فتبعه الرمال متعلق بأذياله وقال هذا هو الشخص الذى تعين لى فى التخت فاحتاطت به الامراء والوزراء فلم يجد بدا من اظهاره وقال نعم أتيت به ولكن لم أتحقق أهو هذا العصير أم لا وهو ادى عرضه على من يفهمه فاختطفوه منه وأسرعوا الى محل العليل وسقوه منه قدرا معينا فجال الدم فى جسمه وتحرك ثم أعادوا السقيا فاستوى جالسا وشفى من ساعته ودقت طبول الهنا ورفعت رايات السرور وأجلس الملك فرهاد على التخت بجانبه وأغدقت عليه الجوائز والعطايا من كل جانب واذا بهرام قد أقبل ورأى ما رأى من البشر والسرور ووجد صاحبه بجانب الملك وقد تراكمت الجوائز أمامه فسأل الحاضرين عن الخبر فأعلموه فاستغرب وقال فى نفسه جل الذى أصلح نيته وأبدل الشر بالخير فهل توجد حديقة غير التى كنت بها وهل يفدى فرهاد ابن الملك بنفسه بعد ما سمعت منه ما سمعت ثم تقدم بهرام وهنأ الملك بصحة ولده فرأى الحق الذى كانت به الثمرة قال سبحان الله ما أشبه هذا الحق بحقى ثم خرج من المحفل وأخرج القدح الذى معه فاذا به ليس قدحه فكر راجعا الى منزله وقال لمحوسة ما فعلت بقدحى قالت ربطته ووضعته فى الطاقة قال ليس هذا هو ومن أبدله وكانت خيانة تنظر من الروشن فقالت هذا قدح زوجى فرهاد لقد غلط فى أخذه فاستغرب بهرام هذا التصادف وحمد الله على صحة ابن الملك ثم رجع الى منزله وباع قدده وأعطى البدوى حقه وأخذ هو جانبا وترك للحرم البقية وهو ما يوصله الى بلاده ورجع الى صاحب الحديقة لتسليم روحه ومازال سائرا حتى وصل ودخل عليه فرآه مده وشا فضحك رب الحديقة وقال دهشتك تملى بندمك على حياتك قال بهرام لا وحق من أبدل ذلك بهذا وقص عليه الخبر فتعجب الملك وقال الله يعفى عنك

هذه النحوسة اعلم يا أخي ان هذه الشجرة تسقى بماء الورد وهي غرس أجدادي ولها
مصاريف عجيبة وطالما شاهدت الملوك اشوه خيانة من أقرب صديق لهم فصاروا
يوصون واحدا بعد واحد ان هذه الثمرة لا تعطى الا لخالص الصداقة ويصونونها عن
كل خائن فلم يسعني لاثبات الصداقة الا هذا الشرط وطالما أتتني من ذلك الملك أناس
كثيرة لطلبها ومتى سمعوا بالشرط يتنحوا عن الطلب ولها خاصة أخرى لا يعلمها أحد
وهو ان الثمرة اذا بلغت حد الاستواء ونشفت على غصنها تقطف وتصان فاذا صرع
أحد وسحقت وشرب المصروع برئ من علته لوقته فهالك اثنين واذهب سالما حفظ الله
روحك أيها الصادق ومحا نحوستك فدعا له بهرام وتوجه حتى لحق بمنزله وقد نفدت
الدراهم فقال لا صالح في المكث ولكن في صفر الكفين فصار متفكرا في أمره ولم ير
من يعرفه سوى فرهاد فدخل عليه وقبل راحتيه وقال من فضلك أسألك أن تهبني شيأ
مما أعطاك الله حتى أتوصل به الى منزلي قال فرهاد لا حاجة للهبة وسرمع رفاقي وأنا
أتصدق عليك حتى أوصلك فشكر فضله ومازال حتى وصل الى بلده ودخل منزله وجلس
في ركنه المعهود لا متاع ولا نقود فدخل عليه صاحبه الصبر وقال كيف كان السعي
يا أخا النحوسه لا منال ولا رأس مال فأين يا أخي مزية الصداقه حيث لا سعد ولا وفاقه
ألم أنهك بقولي ان السعادة ليست بسعيك والتوفيق ليس في كاتم وعيك فمن قال
أجد بالجهد وأحف بالعناية فقد ضل سبل الهداية أخي مادمت في خيمة لادبار وحومة
ازورار الاقدار فعقد نفعك محلول وحسام سعيك بالخسارة مفلول فاجعلني لعدلتك
أنيسا ولو جدتك جليسا فمن ذا الذي نال بعزمه مناه وأين الذي بلغ بسعيه ما ترجاه
أخي خالفت نصحي فما الذي لاقيته من المنا وعدلت عن مسالك ربحي فساوعيت من
الهنا لكني ألقاك في مخالفتي معذورا وفي انحرافك عن طاعتي مجبورا لان ادبارك
لم يكتف بما عليك جني وقد شب لتضاعف المشقة والعنا بسوقك الى سوق التجاره
وخيبة رجعتك بالخساره فقد قطعت حناني عليك أوصال كبدي ومزقت شفقتي
عليك حبوس جلدي ثم أجرى الصبر المدامع مشفوعة الزفرات والنحيب حتى انجرحت
الاجفان بذلك العارض الصبيب فسح الصبر دمعه بكفه وواري لوعاته عن الخصم
بطرفه وطفا لهيبه بزلاله وطيب خاطره بمقاله * فلما سمع ممدوح هذا الحديث الغريب
تأمل في معانيه وتعجب من مجاريه وقال مستفهما أو عاش بهرام بعد هذا وتلذذ
بالشراب والطعام قال نعم بمؤانسة الصبر ومجانسة ومجالسة الامتثال لعلمه بالقول
اليقين ان الله مع الصابرين فكيف يعي هذا القول من كان مؤمنا ويضجر ويسخط
روحه باليأس ويتهور اذا تحقق المخلوق ان الامر للخالق واليه وليس يرى الا ما قدره الله
عليه فكيف يقابل أمر ربه بالعصيان ويبارز مشيئته بالطغيان وقد نهى عنه في
القرآن وبشر الصابرين بأحلى بيان قال ممدوح نعم نعم ما قال الجليل ولكن أين النجاه

ياعقيل قال عقيل اذا تأمل النبيل فيما سلف من النكت العجيبه والنوادر الغريبه
وميز تداول الاحوال في انتقال المصون والمهان من حال الى حال هان عليه ما يلقاه
وانتظر بشائر عقباه قال ممدوح قد أذكرتني بلفظ الانتقال ان رأيت أن ننتقل من هذا
الوادي المنقطع لانه غير ذي زرع ونستبدل له بارض بهيجة النسيم لنروح الروح
فيه يسيرا وقد كنت بنعشة التريض خبيرا قال عقيل الامر لمولاي حيث مل من
الاقامه فليس لي الا طي بساط الاقاله اطاعة لامره وعزم على السفر رغما عن أنفه
لانه وجد الراحة في انقطاعه عن الناس واطمأن على مولاه من سماع الاخبار المسيئة
فسارا يطويان الفيافي ويترقبان كل لطف خافي وممدوح يجد في نفسه نشاطا في
مروره على الحدائق والرياض فترعرع جسمه وازدهى لونه فتأمل فيه عقيل وبكى
وتأوه في سره واشتكى وقال في نفسه وأسفاه ان لاحظ نشاطه الادبار ساق اليه كل
مكيده ولاقاه بكل نكتة عتيده فسارا الا في السير حتى وصلا الى حدود بندر من البنادر
فالتفت عقيل الى مولاه وقال سيدي نتخذ في هذه البقعة مقعدا مشيدا لنكون عن
الناس بعيدا قال ممدوح الرأي فيما استحسنته انما أشتهي أن أكون في العمار حبا
في سماع النكات والاسمار وقد ابتهجت مذ قبلت رجاي في الانتقال وأملي من شفقتك
رضاك بدخولنا الى هذه المدينه لنرى ما فيها من الزخرف والزينه فانفطر قلب عقيل
من تذلله في الخطاب بعد ذلك الامر المجاب فلم يسعه الا الامتثال فدخلا المدينه
واكترى حجرة في بعض الربوع وصارا يخرجان الى الازقة ويتجولان في المغارات وكانت
تلك المدينة من مدائن العادل فطاب بها المكث لممدوح وصار يدور في نواحيها حتى
تعارف بأهاليها فكان ذات يوم يمشي بساحل البحر مع الصبا للتريض فاذا بسفينة
أقبلت وهي في أعلى زخرف وصارت تدق المدافع للسلام فردت عليها عساكر المدينة
بمدافع التحية والترحاب وأقبلت عليها الاهالي والامراء فخرج اليهم المبشر قائلا لكم
البشاره ياولاة الاماره قد ولد للملك الثاني ولد وسماه العادل فاظهروا البشر والبشاشه
وهو ابن خرقة المدينة وأمر الزعيم برفع الرايات وتعليق السرج ثلاثة أيام وكانت عادتهم
ان المنادي يطوف بكافة الازقة وينادي بالبشارة كل ليلة حتى تنتهي أيام الزينة * وأما
ممدوح فانه ارتعد من أول مدفع ولكن تجلد بالصبر وتقوى بالجبر فلما سمع قول المبشر
ولد الملك العادل انفجرت حشاشته غيظا وحزنا فخر مغشيا عليه وكان عقيل يسمع ذلك
الندا فصار يطوى الارض حتى لحق بالساحل وصار يتفقد مولاه حتى وجده بين أرجل
الرجال فحمله وأنزله صندلا صغيرا وقال للملاح توجه بنا ناحية الجبل فلما أوصلهم حمله
أيضا وأدخله بغارة وأرقده وصار يعالجه حتى أفاق وقابله بالبشاشة التامة وصار يداوي
جراح فؤاده بمراهم الانس وكان مراده من ادخاله الغار بعده عن سماع الندا فلما
انقضت ليالي الزينة اكترى بعيرا وأركبه عليه وخرج به من تلك الاقطار قال ممدوح

شقيق رأيت لك حقا كبيرا فى اسكانك اياى فى القفار لان سكنى فى العمار قد حوم على وحبب القدر توحشى الى" واندفق الدمع على خديه وانفطر قلب النديم عليه فجنح الى تسكين لوعته فبادره بقوله عزيزى أعرضت عن سماع حديث غريب لك بهرام ولم تسأل عن مالقيه وبأى وجه حصل تلاقيه قال ممدوح هذا وقت الاسعاف بحديثه فهو أشهى اتحافى لا أطفى به هذا اللهيب الخافى قال عقيل مازال بهرام يتقلب فى لهيب افتقاره ويتلظى فى جذوة احتقاره والصبر يطهر ذالك التلويث بالمسامرة والاحاديث حتى انتهى العام وطاب السفر والقيام وخرجت الدواب بالركاب وصفت السفن للاسفار ووسق فرهاد متاعه الى الشام فخرج بهرام ورأى ذالك الاستعداد فاشتاقت نفسه للسفر وهام قلبه لرؤية ذالك الوادى المطهر فعزم على السفر بالبلاغة وقال انها ممدوحة فى كل حال مشكورة فى كل مآل وهم بالتأهب فقال له الصبر أراك أخى قد عزمت على تكرار المشقة بلا جدود فهل فارقت النحوسة يا أخا السعود قال بهرام كيف ذالك وهى شقيقتى فحوقل الصبر وقال الامر لله والتوكل على الله وهو القائل لحبيبه انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء غير انى لم أجد عندك وجود النقود وقد سافرت فى السالفة بالقند والعين ورجعت صفر الكفين فكيف حالك وأنت خالى * قال بهرام ان أوجد لى المنان رزقا شكرت والا فبركن التجلد اعتصمت وبات بهرام تلك الليلة يداول الفكر ولم ير وسيلة الا القرض فقال ليس لى أقرب من جارى فصار اليه وأحب أن يختبر الامر فقبل يده وقال سيدى أحب أن أكون فى ظل مسايرتك بأمرك فالتفت عنه فرهاد وقال الطريق أمامك لسيرك وأما الصدقة فلغيرك فرجع خائبا وكان أمير البلد قد خصص دوابا وزادا للفقراء السائرين مع القوافل من باب الصدقة فلحق بهم بهرام وسار على دواب الصدقة مع الحرم حتى دخلوا الشام فاكترى فرهاد منزلا عظيما وأدخل أمتعته فيه فجاء بهرام وهناه بالسلامة وقال أوجد مكان صغير فى أسفل الدار لسكنى محسوبك ودفع الاجرة قال فرهاد أبليت بك فلا كانت جيرتك فسأل الغلمان فقال أحدهم عندنا حاصل لا لزوم له عندنا قال فرهاد ادخله فيه واشترط عليه الاجرة فأخذه الغلام وأراه ذالك الحاصل وقال لاتحزن أنا أدفع عنك القيمة فشكره بهرام على حسن صنيعه وكان له باب من الخارج فأدخل الحرم منه وسد بابه الداخلى وصار هو يتردد الى مغازات التجار فسمع من بعض المتسببين انهم يخرجون الى الضواحى ويأتون ببضائع وضيعة فى الاثمان فيبيعونها بارباح فاقترض بهرام درهما من صاحبه الغلام وخرج معهم وكانت دابته بطيئة السير فسبقته الركاب فضل هو عن الطريق فأداه السير الى برية موحشة وقد طلع عليه النهار واشتدت حرارة الشمس فصار يتلفت يمينا وشمالا فرأى قبة على بعد فقصدها ليستظل بها فاذا هى بيت من خشب جديد فدخل فيه وجلس برهة فاذا هو بضجة عظيمة وناس يبكون

ويبصبون وقد احتاطوا بجوادعليه شيخ مكفوف البصر وهم يقصدون البيت الذى هو فيه فقام بهرام واختفى بركنه فقدموا حتى أدخلوا ذلك الشيخ ورجعوا يضربون وجوههم وصار الشيخ فريدا فجاء اليه بهرام وحياه وسأله عن الكيفيه فبكى الشيخ وقال اعلم ياولدى انه ظهر شخص من المتوحشين منذ ثلاثة أعوام تارة نهارا يكون ظهوره وتارة ليلا وهو يعلو الجبل ويقول بصوت مزعج ابعثوا من يفهم خطابي ويرد جوابي والاهجمت عليكم وهشمتكم فان أجابني خليت سبيله وسبيلكم ولم أعد والاهشمته واكتفيت به وسلمتم مني فصاروا كلما ظهر يقترعون وكل من خرجت القرعة باسمه يأتون به الى هذا البيت فاذا سأله لم يعرف الجواب من دهشته فيصبحون فيلقونه عظاما وقد أكل لحمه وقد خرجت القرعة على وأنا امام الملك والذين يبكون هم أبنائي واحفادي والامر لله فقام بهرام وكر راجعا الى المدينة بدلالة الماشين ودخل على فرهاد وقبل يديه وقال أوصيك بالحرم خيرا فاذا أنالم أرجع فأوصلهم لدارهم بصدقتك فقال فرهاد أجاءك رسول الممات يستأذنك فى قبض روحك قال لا وقص عليه القصة قال وما مرادك قال بهرام انقاذ الامام من الموت قال وتموت أنت بالنيابة عنه قال الله معيني ومعينه قال اذهب وانقذه وابنى لك قصرا فى الجنة فودعه بهرام ولحق بالشيخ وقد قرب نصف الليل فدخل عليه وقال قم سيدى وتوارى وأنا أجاوب عنك قال الامام معاذ الله ياولدى أن أرميك بمصيبتي وأنا أسن منك فقبل بهرام أقدامه وأقسم عليه بأيمان وثيقة فامتثل العالم وصحبه بهرام الى الداخل وجلس هو بباب القبة فاذا بالوحش ظهر بهيئة مزعجة وقال من يفهم كلامي يظهر امامي فحضر اليه بهرام ثابت العقل والجنان وقال هات سؤالك فاستعظمه الوحش وقال ما اسمك قال بهرام ليس لك الا رجل مجيب قال من أبوك الذى تسبب فى وجودك قال بهرام أوجدني من هذه قوى الظالم وشد ازر المظلوم فزاد استعظامه لدى الوحش فاقتلع الوحش شجرة وقتها بقوته فتبسم بهرام ونظر الى السماء ثم اقتلع شعيرات من لحيته ونسفها فى الهواء فقال الوحش

بفضائل شهدت بعلمك دالني * وافصح عن المكنون واعلم انني
حرصا أجوب البيد عمري لم أجد * نيلا كما يرجو الفؤاد يسرني
وقصدت ربعك للدلالة راجيا * أهني البقاع فجد بفضلك واهدني

﴿فقهقه بهرام وقال مستغربا﴾

ياأيها الشيخ الفقيه الزيلعي * ما أنت الا فى البراعة مدعي
مالي أرى كالثلج قولك باردا * لو كنت تدري سر قولك أو تعي
فانظر لمرآة التأمل كى ترى * وكفاك فى ذا الفن قول الاصمعي

﴿قال الاصمعي﴾

أطيب الارض ماللنفس فيه هدى * سم الخياط لدى الاحباب ميدان

واجبت

وأخبث الارض ما للنفس فيه أذى * خضر الجنان مع الانذال نيران

فاطرق الوحش مليا وقال شهدت لك انك أفقه علماء هذه البلدة واشهد على انى لا أعود اليها مادمت حيا وعليك منى السلام فدخل بهرام على العالم وهناه بالسلامة فصار يقبله ويبكى من المسرة ثم قال هيا بنا يا عزيزى الى حضرة الملك لتأخذ ما يليق افضالك من الجوائز قال بهرام قد أحاط علمك استاذى بتعبى منذ أمس ولم أقدر على المشى فدعنى أستريح بالنوم ثم ألحق بك ومراده ان يتهيأ بملابس تليق بمقابلة الملوك وقام كأنه يريد النوم وخرج من القبة وجد فى السير حتى دخل منزله وأخبر فرهاد بفوزه ثم ونحوسة فاشارت عليه ببيع قرط زوجته وشراء ملابس تليق بالعلم فاخذ القرط وباعه واشترى مارام ورام ان يغتسل من الرثاثة فدخل الحمام واغتسل وخرج فاذا بالملابس الجديدة قد سرقت والقديمة وهو غريب لا يعرف أحدا حتى يستعيرمنه فاغمى عليه من شدة حزنه فانطرح على الارض ومازال مطروحا حتى خرج من بالحمام فجاء الحمامى وجذبه بعنف وقال قم الى منزلك فالنوم يطيب لك فيه فليس هذا خان الغرباء اغاهو حمام فقام بهرام وقال سيدى قد سرقت ملابسى فكيف أخرج عريانا فرق له البلان واعطاه ازارا قديما فاستتر به وخرج فاذا الذى سرق ملابسه جالس فى احد الحوانيت وهو يلبسها وغلامه يلبس كسوة بهرام القديمة فقال له بهرام وقد تقدم اليه وصار يساره الحديث خوفا من الفضيحة أيحل لك أن تأخذ كسوتى وتتركنى عريانا كماترى فصاح الرجل أيها الناس اسمعوا تهمة هذا الغريب النصاب وقبض عليه فقام اليه من بالسوق فقال هذا الغريب يتهمنى انى سرقت كسوته فأقبلوا باللوم على بهرام ويقولون ما حملك على أن تكون غريبا نصابا قال والله هذه ملابسى اغتسلت وخرجت فلم أجدها وسترنى البلان بهذا الازار وهو أكبر شاهد لى صدقى قالوا تبا لك من نصاب تجود هذه ملابس قطرنا وأنت لست منا فكيف تكون لك قال اشتريتها من بلدكم قالوا التستريا بملابسنا وتنصب كما تشاء ثم شدوا وثاقه وأخذوه الى ديوان الحكم وأما العالم فانه قام يسعى بكل سرور حتى التقى بأحد المارين فأخذه وأخذ بيده الى السراية وقص الخبر فقال الملك دعه يستريح حتى نحضر له الديوان ونأتى به فى موكب عظيم فامر بترتيب ذلك وأرسل اليه موكبا عظيما * وكان فرهاد قد أرق تلك الليلة فلما أصبح أشارت اليه السعادة بالخروج الى الرياض فقام وركب وخرج فشرد منه الجواد ولم يتمالك ان يضبط العنان ومازال حتى وقف الجواد بازاء تلك القبة وقد تعب فرهاد فنزل عنه ودخل القبة وافترش قباءه ونام يستريح فدنت الركاب بالموكب وتقدم الوزير ودخل القبة مع الخفه فالفى الشيخ نائما فصار يجسه جسا خفيفا فانتبه فرهاد فرأى مارأى من الموكب ففطن للقصة فنهض قائما فقبل الوزير يديه وأركبه وصار بالموكب حتى اقبل على الملك فاستقبله بالترحاب والتعظيم وشكر فضل علمه وجسارته وأنعم عليه بألفى دينار وأتحفه كل

من كان بالمجلس حتى شخص صفد وقا وكان فرهاد غير مطمئن ويخشى اقدام بهرام خشية من الفضيحة وحذراً على المال وكلما سأله أحد عن السؤال والجواب يقول لا حاجة فى افشاء الاسرار ويبادر بحديث آخر وكان أقصى مراده ان يخرج بغنمه قبل اتضاح الامر فبينما هو فى الحذر والترقب وجمع النصف واذا ببهرام أقبل مكتوفا فاطمأن فرهاد وتهلل بالفرح فقدموه الى الحكم وقصوا قصته على الملك فسبحان من غير من حال الى حال ولم يتغير عليه أحوال فقال الملك هذا يوم مشهود ولم أرض ان أعاقب أحدا فيه وأمر بحل كتافه واطلاقه وأنعم عليه بمائة درهم فرجع بهرام الى أهله غضبان أسفا وفرهاد بكل نشاط ومنال فأخذ بهرام الشقيقة والزوجة وكر راجعا الى بلده وهو يصرف من تلك الدراهم حتى دخل داره فوجد الصاحب والحرم فى انتظاره والدمع يسيل من آماقه فقال الصبر أخى لا تجزع فان الشدة عده فهون عليك ما لقيت وشترى السلامة بقولى اذا اقتديت قد خصت الايام بالتداول وحف الاحوال بالتحاول وطالما لاقت أمثالك من الادبار صروفا فى الليالى السود ثم انجلى صبح اقبالها وحف بالسودد لمحمود أخى ليس ادبارك نادر الوجود فالسعد يذهب ويعود وعادة الدهر فى العالم لديك ان يوما لك ويوما عليك وأى شهر لم ترفيه طلعة البدر وأى عام لم تكن فيه ليلة القدر فلا تزد أملاك باليأس ملالا ولا تحمل نفسك بالكد العاطل فوق ما بها اعتلالا وتأمل فى أمثال التيمورية حيث قالت

مهما سعيت لمنية مذ كنت فى * ادبار وقت فهى عين منية

﴿ولها أيضا﴾

ذلت المنى ان ساعد السعد القدر * فاجهد والا كلما تسعى هدر

فكن معى حتى ينقلب الطالع وارض بما تلاقى ولا تمانع وتأمل فى سالف الدهور فكم أبكت ضحوكا وكم أقبرت ملوكا ومازال الصبر يديرله من النصح كاسات المواساة حتى أسكن لوعاته وأخمد زفراته فكف بهرام عن الجهد والجد عامين عاطلا عن التجارة قاعدا على حصير الخسارة * فلما سمع ممدوح ذلك القول ألزم نفسه بالسكوت والاقامة حتى يسمح السعد له بعلامة وقال لعقيل قد مثلت نفسى ببهرام الغريق ومثلتك بالصبر الصديق ومازالا ماكثين بيتهما أياما وعقيل يحضر بالقوت لسيده وتأمل الفتى حالته ذات يوم ولام نفسه قائلا الى متى يسعى هذا النصوح فى جلب القوت وأنا أتناول كالمعتوه المصاب ألم يكفنى منه افراج كربى بحسن مسامرته وتلطيف شدتى بظرف منادمته فأين الحماسه وأين انصاف الرياسه كيف لا أساعده بالكد فوا أسفى على عنصرى الذى خاب وعزمى الذى غاب وعاب فنظر اليه عقيل فرآه متغيرا فسأله عن الداعى فأخبره مع الخجل والاسف فكاد عقيل أن يرقص طربا وقال وحق نعمة أبيك وجدك ان احساسك بشرنى بقرب صحو سعدك ففرح ممدوح وطابت نفسه وتحدثا

برهة ثم قام عقيل وقصد المدينة وقام الفتى يمشي في الفضا حتى دخل غابة كثيرة الاشجار
فاستراح لنسيمها وجلس يستظل تحت الاغصان فاذا بحدأة تصيح وتحوم بالطيران
على شجرة كأنها تريد القرار عليها فيمنعها مانع وكلما رامت القرار نفرت بسرعة وصاحت
فعلم ممدوح بالفراسة ان لها أفراخا بين أفنان تلك الشجرة وقد رأت ما هالها بعشهم فلا
تستطيع القرار ولا يمكنها الترك خفا تنها عليهم فقال سبحان من ساقني لحل مشكل هذا
الطائر فنهض وصعد الشجرة حتى وصل الى عشها فرأى بين أفراخها جوهرا ثمينا قد أصابته
الشمس فاشتد بريقه وهي تحوم على رأسه كأنها تستجير به فاخذه فاذا هو خاتم ملوكي وقد
خالته الطيرة نارا مشعلة لشدة لمعانه فلما أخذه دخلت على الافراخ بسرعة وجثمت عليهم
فنزل الفتى والخاتم بيمينه وقال سأقصد المدينة لانعش عقيل بلقطتي وأحقق بشراه فما
زال يمشي حتى دخلها وكان لا يدري محل اقامته فصار يبحث عليه فسمع مناديا يقول يا أهل
البلد اخرجوا الى ذيل الجبل لتروا قتل الخائنين فقد مضت مدة امهالهما والامر لله
فسأل الفتى المنادي من هما وما جرمهما قال غلامان سرقا خاتم الملك وهما مملوكان له
وأمهلهما اسبوعا وقد انتهى الاسبوع فقال ممدوح اسرع بي اليه فلعل الله يجعلني سببا
لانقاذهما فجد المنادي في السير مع الفتى وتبعه من بالسوق حتى دخل على الملك وحياه
بالخلافة وأخرج الخاتم وقال هذا ما ضاع منك قال الملك نعم وأنى لك به وأنت غريب
فقص عليه الخبر فاستغرب الملك وقال حفظ الله فراستك وصداقتك قد أجرت بوفاته
دم الرجلين وأنقذتني من ارتكاب الظلم اعلم يا ولدي اني كنت في بستان لي ولم يكن معي
خلافهما فنزعت الخاتم وسلمته لهما الجلاء ثم طلبته منهما فقالا انه ضاع ولم يكن في البستان
غيري وغيرهما فلم أشك في انهما طمعا فيه وسرقاه ولم يخطر ببالي ان الغراب يخطف
الجوهر أو الحدأة ثم دعا بهما الملك وطيب خاطرهما بالانعام وناول الفتى صرة فيها خمسمائة
دينار وخرج ممدوح مسرورا بنيله يقول في نفسه سأعطيها لعقيل لينفق منها ويستريح
من الكد في الطعام والشراب حتى تنفد وخرج من المحفل بهذا الامل وكان الناس قد
اجتمعا لسماع تلك النادرة الغريبة وقد حان وقت الغروب فأسرع ممدوح ليحضر لمنزله
لان عقيلا كان يحضر في الغروب بالعشاء فصادفته فاكهة كان يشتهيها منذ أيام ولم يرض
أن يكاف عقيلا بشرائها حذرا من عدم وجود النقود فسر بها وأراد أن يشتريها فأدخل
يده في جيبه ليخرج الصره فاذا بالجيب قد شقه النشال وأخذ الصرة فغلب عليه الغم
فجاءه فأغاث نفسه بالتأمل في نصائح عقيل فلما وصل المنزل وجد عقيلا في انتظاره فقام
واستقبله وقال أين كنت سيدي الى الآن حتى تعبت وتغير لونك فخذ الراحة في الجلوس
وأنا أتحفك بما سمعته اليوم فبسمل الى الطعام وتسل بالحديث وانظر الى لطف المولى
الغريب وكرمه العجيب فالذي أنقذ بنك الرجلين من الموت قادر على انقاذك ورد ك
الى تختك قال ممدوح ومن الرجلان قال عقيل رجلان اتهما بسرقة خاتم الملك وأنقذهما

الله باحد الغرباء والناس تمدح فراسته فتبسم ممدوح وقال أأنت تحدثني أم أنا أحدثك وحقك ما كان ذلك الغريب الا ابن العادل وقص عليه الخبر وأراه شرط الجيب فبادره عقيل بالبشاشة قائلا بالهامر بشارة قال ممدوح ماهي البشارة هل طفل أنا فتلهيني قال مولاي ماضاع منك فهو بشارة اقبال همة سعدك أوجدت سيدي منذ خرجت من ملك أسلك ماسرك قال لا قال أدخلت مجلس ملك أو ديوان حكم قال لا قال أحظيت بشهرة أو ثناء قال لا قال أمدحت بحسن فراسة قال لا قال كيف لا تستبشر بوقوع هذا كله في يوم واحد قال ممدوح فما قولك في سوء الختام قال عزيزي لو لم يكن أخذ منك ذلك لقلت قرب أجل خصمك ولم أقل أجلك تأدبا لان السرور اذا تعدد فجأ دلا يكون مصيره الى الخير فاذا اشتعل الاقبال بغتة لمن تلبس بالادبار يكون قرين الاخماد دفعة فاسمع ما قالته التيمورية في المثل اذا بلغ الحظ غاية تمامه فهو دليل على قرب انصرامه فليس بعد التمام زياده ولا بعد الموت عياده حفظ الله فراستك من الغفله أرأيت كيف كانت تلك الطيرة تحوم بفزعها وتصيح بجزعها حتى أغاثها الله بك فعادت عنها ودخلت عشها واستقرت واطمأنت برؤية أفراخها وسرت فهذا التلميح اشارة تعود عليك وحسن بشارة تساق اليك فالشجرة مملكتك والعش تختك والفراخ رعيتك وأنت تلك الطيرة أتظن ما فعله الخائنان مضرة بك بل هو مسرة لك كما كانت الطيرة تظن ان الجوهر نار فسعدك الله من فضله بن يطهر ملكك منهما ويسلب عز تختك عنهما بغير علمك دون تعب منك حتى يجلسك عليه من دون نصب كما حامت هي في اللوح وصاحت من روعها بالنوح فلما أمدها الله باغاثتك دخلت مسكنها ولم يكن به أدنى خلل وستصدق قولي بالمشيئة عند جلوسك على التخت كما رأيت وتثبت حديثي كما ادعيت وعند ذلك امتلأ الفتى بالسرور وتاقت نفسه للطعام وتناول بشهية فائقة وتسامر بفكرة رائقة ثم قال لعقيل أكلفك شفقتي بحديث بهرام وماتم له بعد التقاعد من المرام قال أسمع الله مولاي كل خير لما مكث عامين كافا عن التجارة حذرا من الكساد ولم يرض ان يتسبب بمال غيره خوفا من الفساد كاد ان يموت من شح الزمان والقوت دخلت عليه حيلة وقالت بلوت انتبه فهل لك في الثالثة فالاحتيال لا ينكر فحدثني وتوكل قال دعيني ياحيله الى أين أذهب وأين النقود التي بها أتسبب وقد مال ظل النحوسة علي وساق كل كساد الي فسمعت نحوسة فتصدعت وتضررت وقالت قل ماشئت فالله قادر لي بعدي عنك وتجنبي منك ولكن حيث كان القول منسوبا الي وأنا أسعى في وجود النقود من جارنا الامير فان رأفته تسمح لكل حقير وأقترض لك عشرين دينارا بشرط أن تأخذني معك قال بهرام ان جاد بالقرض فلك ذلك فتهيأت نحوسة وقدمت على بيت فرهاد ركان أول اقدامي البابه وانتظرت حتى نزل من الحرم وصارت تحدثه بارق حديث من وراء الستاره وقالت يقبل اقدامك وقد توسل

باحسانك فأرسلني ألتمس عشرين دينارا قرضة لوجه الله وأملي أن لا تخيب رجائي فقال
له لرخامة صوتها وقال من أخوك قالت محسوبك بهرام قال لو تدرين بسوء ادراكه
وخسة عقله لعذرتيني في شحي عليه لقد تصدقت عليه مرارا ومانال المائة درهم الا بكرامة
وجودي وقد جحد نعمة فضلي وسافر ولم يستأذني ولكن لا ترضى رأفتي ان أردك خائبة
وناول غلامه عشرين دينارا وأعطاها اياها فأخذتها وعادت الى بهرام وهي تقول يا له من
سيد جيد فكيف تكفر انعامه وتطلب احسانه فأخذ بهرام الدنانير وتأهب للسفر
فجاء الصبر وقال ما الخبر أفارقتك الخسارة حتى هممت بالجسارة قال كيف وهي التي
تسببت في النقود من عند أصيل الجدود فاستبشر الصبر وقال أدخلت عليه قال لا
لكنها وقفت ببابه وأسمعته حديثها وسمعت لطيف خطابه قال الصبر وددت لو انها
دخلت عليه بلا حجاب أو متجردة من الثياب ولقد شعرت بالبشر قليلا غير ان
القرض يبدها فلا ربح فيه فارددها وارتاح واعلم ان سبب النحوسة ليس فيه أرباح قال
بهرام قد اختنقت في هذه الحجرة ولا طاقة لي بدفع الاجره قال الصبر أخي ان ساعدك
السعد طاب لك الوعد أخي القدر لا يعاند والمقدور لا يراد وطور الناس خمسة
أجناس سعد كله ونحس كله ومنه تارة نحس وتارة سعد ومنه سعد أوله ونحس
آخره ومنه نحس أوله وسعد آخره ومنه المتوسط وهو خيرها لا سعد بارق ولا
نحس فاتك والسعد كله لا يخلو عن نكت النحس أحيانا والنحس كله لا يخلو عن بارقة
السعد أحيانا وقد أقر الطالع من ثم بتقلبه في دورانه وأنزل الجليل آية التداول في
قرآنه واني أراك لم تحف بسعد الى الآن وأملي بانك ستقترن به في القابل من الزمان
فاصبر وما صبرك الا بالله والا فالك الامر فتوكل على الله فقام بهرام وودع الصبر وخرج
الى السوق يشتري بضاعة على قدر رأس ماله فرأى ازدحاما عظيما فقال في نفسه
ما اجتمعت الناس الا على خير متاع ودخل ذلك المحفل فاذا برجل تعلقت التجار به قائلين
لا تبرح حتى تؤدي كل ذي حق حقه فسأل بهرام عن الخبر فقالوا انه رجل مديون ولم يكن
له سوى صندوق مختص بالصباغة وهو غير مقبول عندهم لانه عديم الرواج فسألهم كم عليه
قالوا عشرون دينارا فتقدم ودفع المبلغ وخلص الرجل وأخذ هو الصندوق وقال سبب لي
خلاصه من الذل أحسن سبب وكان بهرام يحسن صناعة الصباغة وكان علق بها في صغره
لوجود الالوان المفرحة وكان مغرما بالتشكل فصار محترفا بتلك الصناعة فلما اشتراه قدم
به الى الساحل فرأى سفينة تحل المراسي الى السند فاكترى بها حجرة صغيرة وأدخل بها
الصندوق وذهب وأتى بالحرم وساروا على وجه الماء أياما وهو يبوح أمير السفينة
بالمسامرة ويقتات من عنده هو والحرم فاشتدت الريح عليهم ذات يوم وغلبت الملاحين
وساقتهم كما تهوى وسارت بهم خمسة أيام فلما سكنت وأفاق نوتيهم ودقوا المراسي
وخرجوا البر واتالك الارض ويستدلوا على وجهتهم وخرج بهرام معهم وصار يمشي على

الساحل حتى بعد عنهم بخاس يسترع فاذا بصندل مقبل من جوف البحر وهو من
خشب الآبنوس وله رايتان من حرير أسود وفيه عشرة رجال بينهم فتى كالهلال والحزن
يلوح فى نواصيهم لسقم ذلك الفتى فتقدموا الى الساحل وربطوا صندلهم وقام الغلام
بين رجلين يرتكن عليهما حتى وصلا الى الساحل وصعدا به الى الجبل فأنزلاه فى مغار
ورجعا من غيره وهما يتأسفان وعادا الى الصندل وتركا الغلام وحيدا فصعب على بهرام
وحدة الغلام وقام ودخل عليه المغار وصار يصغى لما يقول فاذا به يقول يامن رد
يوسف على يعقوب ويامن كشف البلاء عن أيوب فرج كربى بحرمة النبى الحبيب
ودلنى على من هو لدائى طبيب قد أحاط علمك بدائى فامنن بشفائى ودوائى فدخل
عليه بهرام وقال السلام عليك قد ساقنى المنان اليك فاشرح حالك وعرفنى بما بالك
فتمسك الفتى بأذياله وصار يقبل يديه وقال اعلم ياسيدى انى ابن ملك الجزائر وكنت
فى دراية العلوم على جانب عظيم فلما بلغت الحلم هم والدى بزواجى وأمر الوزيران يحضر
بصورة كل صبية فريدة الجمال من أبناء الملوك والوزراء وما أشبه ذلك فصار الوزير أياما
فى هذا البحث حتى استحصل على عدد كثير وعرضهم على فلم تمل نفسى الى احداهن أبدا
فاغتم والدى وصار يهددنى ويكدرنى وكلما أمالنى اليهن لم ازدد الا نفورا فقال وزيره اعلم
سيدى ان تنحيه عن الميل الى هذه العذارى لم يكن الا لامر يعلمه الله فدع التهديد واهمله
حتى يروم التأهل من نفسه فكف عنى الملك وعن خطابى فسر على ذلك ولعبت بى
الافكار وزادنى الاسف فكنت ذات ليلة أتأمل فى تلك التصاوير وأشوق نفسى اليهن
لعلها اتشغف باحداهن فغلب على النوم فرأيت فى المنام عذراء تخاطبنى بقولها يا تاج الدين
لو كنت أنا ممن يميل الى الرجال لكنت أهلا لك فانتبهت وقد أخذ حبها بمجامع قلبى وخيالها
يتمثل أمامى وأنا أحسن صنعة التصوير فصورتها على حسب ما رأيت وصرت أسندل عليها
من السياحين حتى عرفها أحدهم وقال هذه ابنة ملك الشين ومن أخلاقها انها تكره
الرجال وقد عرفت أباها بذلك وقالت له ان زوجنى بالرغم عنى قتلت نفسى فتحقق عندى
ذلك من قولها لو كنت أميل الى الرجال فاسودت الدنيا فى وجهى ولم يسعنى الا الكتمان
لانى لو أخبرت والدى لجد فى طلبها وان هى لم تقبلنى كيف تكون شهرتى بين الملوك الذين
عرضوا على صور بناتهم وكيف يكون تشمت تلك العذارى فى عدم قابليتها اياى فكتمت
سرى عن الجميع وصرت أرجو الله الذى قدر حبها على ان يرسل لى من أشكو اليه لوعتى
ويواسى بتدبيره جراح شدتى فارسلك الى قال بهرام اعلم ياولدى ان لى شيخا من رجال الله
مقبول الدعوة مهما قال طال غما كيف يرضى والدك بانفرادك فى هذا الغار قال الفتى
ان هذه المدينة ليست لنا وانما هى الشين مدينة والدالصبية ولى أعوام أسوح بالبلدان
ووالدى يأذن لى لشدة مرضى ولم أجد راحتى الا فى هذه المدينة لكونها موطنها فلعلى
أراها أو أرى من يراها وأمرغ خدى فى أرضها وألثم ثراها والرجلان اللذان

أدخلاني الى هنا هما وزيرا أبي وأنا أرجوهما في انفرادي احيانا في هذا المغار يومين أو ثلاثة للاستغاثة وأنا بعيدة عنهما حذرا من ان يطلعا على حالي أو يدعما قولي ثم يأتيان فامضي معهما الى الصندل و يحويان بي في تلك البحار وهذه حالي قال بهرام لا بأس عليك وأملي ان تهاي ستة أشهر ثم عد الى هنا تحظى بمرادك ان شاء الله ثم ودعه بهرام وقام الى السفينة وأخرج الحرم والصندوق ودخل بهما الى الخان المتعلق بالصدقة وجد في البحث على مراكز ابنة الملك حتى اهتدى الى بستان لها تتريض فيه فلبس ملابس النساء الزهاد ودخل البستان وهي فيه وجلس بجانب نهر وأعلى صوته بالذكر والتهليل فسمعته الصبية وأقبلت عليه وهو ملثم لم تر الا عينيه فقبلت يديه وقالت أسألك أيتها الزاهدة العابدة ان تدعي لوالدي بالنصر ثم بصرف فكره عن زواجي قالت الزاهدة كيف ذلك أأضرك بدعائي قالت الصبية اني لم أقبل الرجال قالت عرفيني الاسباب حتى أقنع بعذرك قالت الصبية اعلمي ياوالدتي اني مغرمة بالسياحة لكني أجوب في حالة التنكر لرفع التكاليف ومداخلة الناس وتفقه أخلاقهم فقدمت في أحد الاسفار على مدينة وقد رست سفينتنا على ساحلها فرأيت صبية تصيح بالسؤال وتبكي بكل حنانة فأرسلت من أتى بها وأدخلها عندي وسألتها عن حالها وقلت كيف اباح أهلك اباحة الجمال لذل السؤال فاشتد بكاؤها وقالت لولم أخش الاشاعة لاطلعتك على أسراري فاقسمت لها بأيمان وثيقة اني لم أتفوه بها لاحد أبدا قالت سيدتي اني ابنة شاه بندر تجار العراق وعمي شاه بندر تجار بغداد وله ولد هو مغرم بي وأنا مغرمة به وقد اتفقت الآباء على تزويجنا ببعضنا عند رشادنا ولما حان الوقت وهم الابوان بالزفاف جاء مكتوب الى والدي من أخيه يقول ان ولدي بلي بعلة الرعشة ولم يضبط نفسه وقد وصفت له الحكماء صحراء في اليمن اذا دفن في رمالها شفي وبتقوت باللبن والافلاذ براءة له وقد بعثته والده الى تلك الاقطار والله الشافي فلما سمعت بذلك غلب علي الغرام وقلت لا وسعة لي في الاقامة بل أسافر اليه فاذا مات قتلت نفسي وان شفي عدت معه الى أوطار عمي فأخذت لباس زفافي والحلي وخرجت آبقة من عند والدي حتى دخلت اليمن وقدمت عليه وقد ضجرت الخدمة منه فعرفتهم اني امرأة وهبت نفسي لخدمة المرضى والغرباء منذ أعوام فشكروا فضلي وسلموه الي وصاروا كل أسبوع يأتون بزادلي ويعودونه ومازلت به حتى نفد العام وشفي بغتة وسكن رجفانه فتأمل في وجهي وقال ابنة عمي قلت نعم قال وما الذي أتى بك وكيف رضي عمي فقصصت عليه الخبر فأطرق مليا ثم التفت الي وعانقني وقال عزيزتي باي شيء أكافئك قلت سلامتك هي أشهى مكافأتي قال من تمام جميلك استحمامي وتغيير ملابسي فقمت به على النهر وغسلته والبسته قال أروم ان أراك بملابس الزفاف قلت نعم وأنا أشتهي ذلك سرور الشفائك فقمت وتزينت وجلسنا نهني بعضنا ونتسامر حتى طلع النهار ومضى ظلام الليل وقلت من فضلك ان تنيمني على صدرك برهة لان لي عاما

أنام مرتكئة على هذه الشجرة وأنت نائم على صدري قال أحب لو ساعتك المقلة لا تمتلك فيها فلبست قميص نومي وتجردت من الحلي وغت فلم أنتبه الا والشمس قد كوتني حرارتها وصرت ألتفت اليه فاذا به قد أخذ ملابس زفافي والحلي وأبق به وتركني فعلمت ان له عشيقة يهواها فاخذ متاعي اليها وعزم ان لا يرجع الى أبيه لانه ان رجع لا يزوجه بغيري فلم أقدر ان أعود الى أهلي ولا لي حرفة أتعيش منها فصرت على وجهي اسأل الناس كما ترى فلما سمعت حديثها انفطر قلبي عليها فناولتها صرة فيها ما تستغني به عن السؤال مدة وقد نفر قلبي من الرجال نفورا شديدا وآليت على نفسي اني لا أتزوج أبدا فقالت الزاهدة أي ابنتي اعلمي باني لم أتزوج الى الآن حذرا من ان أقع في أحد الاثنين منهم ولكن لما بلغت سن التفقه وتأملت في كتابه العزيز وجدت البنين أعلى نعمة واشهى منة وصرت كلما أرى الصبايا من الامهات يرضعن تلك الاقمار وهم يترقصون أمامهن كنجيمات الاسحار تشتعل بالصدر حسرة وبالقلب جمرة وقد فات وقت قابليتي للولد وعاقني عن حلاوة ذلك الامل هذا الصدد فتجردت مما امتلكته ليأسي من البنين والبنات حيثما أدركت زينة الحياة ووهبت ذلك المتاع لمن تمتع به من الآل والاقارب وصرت أجوب القفار كاترين بالذكر في كل جانب فاخشي ان تقرن دعوتي بالاجابة ثم تعين ماوعيته فتسخطين علي وعلى ساعتي التي فيها دعيت فالصواب ان استرحم من خلق الظل والحرور ان يمحو من قلبك هذا النفور ثم ناولتها الصبية مائة دينار وقالت تصدقي بها ولا تنسيني من الزيارة وقد تشوقت الى وجدان الولد فقالت لم تقل الزاهدة ماقالته الا عن بصيرة ولكن رماني النفور بيد قصيره فقام بهرام من وقته وصار يجد في البحث على روضة مشكورة وبقعة عن أعين الناس مستورة حتى وجد قطعة أرض بين الجبل والبحر وأحضر العمال وبنى بها بيتا يحتوي على سبع مقاصير ثم أسرع في البناء حتى انتهى في أقرب وقت فلما انصرفت العمال أتى بذلك الصندوق وصار ينقش على حيطان كل مقصورة ما اصطفاه من الرسوم والصور ويكتب تحته معناه خطا حتى أتى الى المقصورة السابعة فنقش في أول حائط صورة ابن التاجر والصبية نائمة على صدره وعلى الحائط الثاني مشركا من عباد الاوثان وهو يخاطب ابن التاجر بتهديد عظيم وأعاد رسم المشرك في الحائط الثالث والفتى يتذلل بين يديه ويمرغ خده في الثرى وكأنه لا يقبل منه قولا وعلى الحائط الرابع ذلك المشرك يسحب الفتى بعنف وهو لابس تلك الملابس ومتزين بذلك الحلي في زي النساء وكان الفتى خالي العذار والصبية نائمة تحت الشجرة التي هي ابنت عمه وهو قد لبس ملابسها وحليها وكتب تحت الصور ان هذه الصبية خدمت هذا الفتى عاما واحدا وهذا المشرك يريد ان يأخذها ليذبحها قربانا للصنم جديد أبدعه ملكهم وقد ظهر له والصبية نائمة وقال اني أجوب القفار مدة على صبية مثل هذه لاذبحها قربانا فلم يقع لي أحسن من هذه في الجمال فخل عنها وان لم تخل عنها اقتلتك

واخذتها

وأخـذنها بعـد موتك لا محالة فتفكر الفتى وقال فى نفسه اماموتى فسهل واما موتها فأصعب موت لانها ترى الاهانة حتى تصل الى بقعة الذبح ثم تذبح فالاحسن انى أفديها بنفسى وهى تنجو وتتسلى عنى بمن يتزوجها غيرى ثم قال للشرك حيث لم يمكن التخلص فانتظر حتى أوقظها وأرسلها اليك فخذها وافعل كما تريد وأتى هو والبس لباسها وحليها وسلم نفسه اليه ولم يعلمها بشئ فانظروا أيها السامعون فى حدود هذه الصداقة حيث كانا خدمة عام واحد بعمره العزيز وليت شعرى ما الذى تخيلته فيه بعد انتباهها اعلمت ما حل به فرضيت ورحمت أم خالته خائنا فسبت وسخطت ثم قفل البيت وأرخى على عينيه عصابة وأقبل على الملك ودخل عليه وقال له أريد الخلوة بك فقام الملك الى الخلوة مع بهرام وقال اعلم سيدى انى مريد لاحد الاقطاب وقد عسر عليه عدم خلفك وانتقال ملكك الى خصمك بنفور ابنتك عن الزواج فالتجئ بالاقطاب واحد قوا بيتا بين البحر والجبل فرها بالسير اليه والمكث فيه سبعة أيام ثم تعود الى السراية واجعل قصدك نزهتها ثم قابلها واسأل عن كيفية مزاجها فلعلك تسمع منها ما تريد وتحب وناوله المفتاح وقال تردد على البيت بعد خروجها فلعلك ترى شيئا فيه وزخرف البيت بالفراش لانه خال عنه فكاد الملك ان يطير فرحا بهذه البشارة وساق كل ما يحتاج اليه البيت من الاثاث وشحنه بجيد الطعام فى أقرب وقت ثم دخل على ابنته بشوشا وقال قرة عينى رأيت بيتا بين البحر والجبل وهو طلق الهواء خالص النسيم فاحببت ان تمكثى فيه مدة أسبوع لتلتقى تلك الاهوية الشافية ففرحت وقامت بمن تريد من الجوارى وقدمت على ذلك البيت وصارت كل يوم تمكث فى مقصورة وتتأمل فى تلك العبر وتتلو معانيها حتى انتهت الى المقصورة السابعة التى هى عين المقصود ورأت ما فيها وتلت معانيها فغاب عقلها وانفطر قلبها وتبدل النفور بالرحمة والشغف فتذكرت ما قالته الزاهدة فى حق البنين فحنت جوارحها الى شوق الولد وصارت تدق الكف على فرصة وتقول من لى ببنت التاجر حتى أعرفها صحة الامر وصداقة ذلك الفتى ومن لى بمعرفة أبى حنانتى للولد وميلى الى الرجال فلما عادت فى الغدوة صباحا دخل عليها والدها وقال ما رأيت عزيزتى من خاصية ذلك البيت المبرور قالت كل حظ وسرور وقد آليت على نفسى ان لا أخالفك فى كل ما تعلق به رضاك قال انك لم تخالفينى أبدا الا فى بحث الزواج قالت وهو أيضا قد سلمتك الامر فيه فسر الملك وقبل عينيها ونزل وبشر وزراءه برضاها وأرباب دولته فهللوا للفرح وهموا بتزيين المدينة فقال نعم انما أنتظر قدوم الشيخ فاذا من الله على بلقائه تم سرورى فافعلوا كما بدا لكم وابقوا الزخرف لمقابلة الشيخ وصار الملك ينتظره كما ينتظر الاعياد * واما بهرام فانه مكث فى منزله ذلك الاسبوع للاستراحة واقترض دراهم واشترى ملابسا تليق بالمشيخة فلما كان اليوم التاسع اغتسل ولبس ثم خرج يستنشق الاخبار فوجد البشر يلوح على الناس وكل يتكلمون فى سرور الملك برضاء ابنته بالزواج فرجع وأخبر الشقيقة والزوجة ببشارته

وحسن سعيه وصمم على المسير غدوة لان الوقت يمسى فقالت العجوز عجل وسر فما يصبح الصباح الا وأنت بجانب الملك مبتهجا فقام ومشى وكان المحل بعيدا عن البلد فخرجت عليه قطاع الطريق نصف الليل وجردوه من الثياب وضربوه بالاسلحة حتى بطلت حركته وظنوا انه مات فتركوه طريحا على الارض فلما سمع ممدوح استوى قاعدا وقال بشرني بموته وراحته من هذا العيش النكد قال عقيل كيف يكون ذلك البشر بالموت بعد بلوغ المنى معاذ الله أن يموت المدحور في كهف ادباره لا سيما انه من الصابرين فلابد من رجعة السعد وعود الاقبال فاذا خرج من الظلمات الى النور واستراح في الظل بعد الحرور فقد طاب الموت فانا لله وانا اليه راجعون* قال ممدوح كيف العمل ان طال العمر وترادفت الشدائد الثقال قال عقيل يدفعها الصبر والتطوع والامتثال فان انجابت السريرة بصدق الايمان رأت كل مالاقت من شدة ولدة نفس من البهتان وتقلدت بلآلئ الاجر في التطوع والصبر عزيزي الانسان لا يخرج عن ثلاثة اسماء الاول اسم مولود والثاني اسمه المسمى به والثالث جنازة ولا اسم بعده فاذا استرشد الانسان وعلم باسميه الماضي والحالي صار في انتظار الثالث وهو واقع به لا محالة تحقق ان كل ما كان فيه هو وكل ذي روح مقرون بالزوال عند وقوع الثالث فيحقق المتأمل للدرك بان العمر لمحة بروق وما العيش الا عيش تلك الدار حيث لا نهاية لعيشها الابدي ولا فناء لنعيمها الازلي وليتفقه الانسان في نفسه اذا مر عليه سرور وأعقبه غم أيمكث ذلك السرور مع الغم أو يمحوه فاذا علم محو ذلك بذلك وعكسه في اللمحة التي هو فيها يصدق في الحال بان كل ما كان زائل فلا يضاعف الغم بالندامة واليأس ولا يغتر بالفرح فالاريب طبيب نفسه وما الله حسبه فانشرح صدر ممدوح وصمم على الصبر والرضا وقال لعقيل قد بردت بنصحك حشاشتي وهان علي بقولك ضيم شقاوتي وتمسكت بالصبر في كل أمر فتبسم عقيل وقال حتى أرى وأتحقق وان كان قول السيد عند العبد مصدقا فأتم الحديث حتى سمعا ضجة فنظر عقيل في وجه ممدوح فقال ممدوح هيا بنا اليها فلعلك تقف على ما يثبت قولي لديك فقاما ودخلا المدينة وجلسا عند أحد التجار فاذا ركبان قادمون برايات البشر وبأيديهم رقاع يفرقونها على التجار فناول أحدهم رقعة الى التاجر الذي جلس عقيل ومولاه عنده وكان التاجر أميا فأعطى الرقعة لممدوح فاذا هو اعلان ومضمونه نبشركم يا رعايا بان القصور الاربعة قد تم بناؤها على أحسن حال وانها تحتاج الى الزخرف والزينة فكل من كان عنده متاع نادر الوجود يليق بمنازل الملوك فليحضر به والذي لم يكن عنده شيء من ذلك فليحضر وليمة حسن الختام وقد رتبها الذوات الشاهانية قصرين وللانجال السلطانية قصرين فعجلوا بالحضور لتنالوا الفوز بالحبور فكاد عقيل أن يمزق الرقعة ويدرسها من شدة أسفه على مولاه وصار يتأمل في وجهه فتلا ممدوح الرقعة ولم تتغير فيه حالة بل أبدى البشاشة قائلا بارك الله فيهما لاصحابهما وجعل لتمتع نصيبا لاربابهما

فتبدل كرب عقيل بالانبساط ثم أخذ ممدوح بيد عقيل وصار الى مخدعهما فلما غابا عن الناس انكب عقيل على أقدامه قائلا أحييت عبدك بما أبديته من الصفا بعدان كان قلبه قد شفا فتبسم الفتى وقال أمامه ذنبي فن نصحك وأما تأديبي فن حسن خلقك وحق أنا ان أوالى هذه القبل لانى ان لم أكن لحقوقك شاكرا أكن معاذ الله بنعمة الرب كافرا فضمه عقيل وقال عزيزى وحقك لو أمكننى لجعلت من قلبي غذاءك وروحى من كل سوء فداءك فصار كلما نزلا المدينة يجد الهمة فى اجتماع البضائع الثمينة الغريبة وتاتى بها أصحابها وتعرضها على ممدوح لما رأوا فيه من الحذاقة والمعرفة وهو يفرزها ويقول هذه تليق بقصور الملوك وهذه لقصور الاجيال الكرام فيخفق قلب عقيل خوفا عليه من تأثير الحرص على متاعه وانحراف محبته من المكايد وصار يقول فى نفسه الى متى أرضى بمكابدة هذا المصون وان تجلد بالصبر ولازم الامتثال بالجبر فلا يسعنى الا البعد عن هذه الاقطار ولكن جنس النقود مفقود فكان عقيل متفكرا فى أمره حتى حان الغروب وصار الفتى فى منزلهما وتأخر عقيل لجلب الطعام فجلس ممدوح فى المخدع ينتظره وكان بجواره خربة فسمع فيها أنينا فقام واتبع الانين فاذا به فتى مطعون بالاسلحة وهو على آخر رمق فأسرع ممدوح بالماء وسقاه وغسل وجهه فاسترح الغلام وسأله عن خبره فقال أنا ولد سيد قبيلة العربان وكنت مارا بالليل فلاقتنى أخصام أبى فجردونى وضربونى بالسلاح حتى انقطع نفسى فظنونى مت فأتوا بى ورمونى فى هذه الخربة فاذا أردت اتمام صنع جميلك فاذهب الى أبى وبشره بحياتى وهو بالوادى الغربى وبينك وبينه يوم وليلة وان شاء الله سيكافئك بمعروفك ويأخذنى فرجع ممدوح الى مأواه فوجد عقيلا قد حضر وهو فى انتظاره فقص عليه خبر الغلام فقام معه عقيل الى الخربة وحمل الغلام وأتى به الى البيت وتركه مع ممدوح وذهب هو لوالده وقص عليه خبره فشكر فضله وقدم اليه بعيرا يحمل زادا وأتحفه بمائة دينار وقدم معه بعشرة رجال من قبيلته وأخذوا ولده فسر عقيل بالدنانير والزاد والبعير سرورا جزيلا وقال سيدى قد حفنا لطف المعبود وسننال بعونه كل أمل ومقصود قد اشتقت منذ أيام الى ان أنقلك من هذه الاقطار وما كنت أجد الى ذلك سبيلا لخلو كفى من كل ما نحتاج اليه من أدوات السفر قال ممدوح أحمد الله الذى ألهمك هذا الخاطر لانى مشوش الفكر وأخشى أن يزاد على القهر لما أرى فترى منى علامة انقباض فتتغير بعد ان طاب خاطرك بجلادتى على ما لقيت وانشرح صدرك بجسارتى ورضائى فى كل ما رأيت قال عقيل نقصد الساحل فى غد وأى سفينة نزلنا بها التنوجه الى أى بندر كان فلما أصبحا جلا بعيرهما وقصدا البحر فاذا بسفينة عازمة على الشين فسألا رئيسها أجرتهما ونزلا ببعيرهما حتى وصلا الى الشين ودخلا مع الاصحاب وقطنا بين أغراب وأحباب فلما طاب المقر وانمحى عناء السفر قال ممدوح قد راق لنا الحال واستقر خاطرنا وقد تركنا بهرام طريحا بالبرية فليت شعرى ما تم له قال عقيل

ثم أعرض على المسامع المنبعثة انه مازال طريحا جريحا حتى لاح عليه الفجر وحفه الصبا بنسيمه فانتعشت روحه وانتظم نفسه فاستند الى حجر وصار يسأل المارين عليه فى شئ يستتر به فحن على دله أحدهم وألبسه ثوبا ورأف به آخر وأركبه حتى أوصله الى منزله فدخل ورقد أياما والحرم يبكى عليه وهو ملق لا حراك به فلما حان وقت وفود التجار قام قيم الخان بغسله وبسط فراشه حتى هيأه كما يجب وقدمت التجار من كل حدب وكانت نحوسة تتلظى بحب فرهاد فاذا به أقبل مع تجار مصر وكان أعظم قادم فلما سمعت به طارت فرحا ودخلت على أخيها وقالت قد شرف أرضنا مولانا فرهاد قال بهرام الحمد لله يحضر صلاة جنازتى أحد من أهل وطنى ثم يوصلكم الى بلدكم وصار يبكى فقالت ما يبكيك قال لو نالت جائزتى ولم أبل بهذه المصيبة لجعلت لقدومه وليمة فى هذه الليلة قالت ليس هو محتاجا لوليمتك وصممت ان تدس الخبر اليه لينال هو الجائزة فلما كان الصباح تهيأت وقدمت عليه وانتظرت حتى خرج من حرمه وقبلت يديه قال من أنت قالت محسوبتك نحوسه أتيت لاعرض عليك نكول أخى وخذ لانه لقلة ادراكه وعقله وتدرك أنت المسئلة لتحظى بما أنت أهل له من النعم وقصت عليه الخبر ثم قالت الرأى رأيك السديد انما أريد ان تتهيأ بملابس الاقطاب وتذهب الى البيت فلا يشك الملك بانك هو فيساق اليك الخير كله فحرك طمع فرهاد وتمكن حبها منه وقال نعم قولك لو كان أهلا للخير لاخذتها وسلمتها اليه وقلت هذه جائزتك انما هو مشؤم الحركه ومنزوع البركه ألم ترى كيفية همتى واكتسابى فان رأيى وعزمى يسوقانى لكل نجاح وادراكى ورشادى يواليانى لكل فلاح قالت نعم سيدى أعرف ذلك وأنا وحق ابهتك كرهت عيشى معه فان طاب وقته بنفوسك وهبت نفسى لك وصرت بينكما والا تبرأت عنه ولازمت خدمتك بالكلية قال فرهاد وأنا رضيت بهذا الرأى فمكث فرهاد أسبوعا حتى ارتاح من سفره ثم أمر غلامه أن يذهب ويشترى له كسوة المشيخة فجاءبها الغلام وتهيأ بها فرأته السعادة فقالت الى أين وما هذه الملابس والهيئة أحامت حولك النحوسة وامتثلت لامرها فكيف تخرج بهذه الهيئة امام خدمك وترضى انحطاط شرفك وتقبل خذلان همتك ألم تخش عاقبة أمرك اذا فشا عنك هذا وأنت غريب فيتجنبك كل أريب وقريب لان من غير هيئته أضعف هيبته وقد قال زعماء الصواب لم تتغير الهيئة الا بارتكاب أخى ما الذى لقيه بهرام الصادق الصديق الخير الشفيق من صحبتها المنحوسه ومعاشاتها المعكوسه ألم تر كيف أبطلت عوامل صداقته وبراعته وحيلته فعلام تكفر انعم عيشك الرغد وتعاهد تلك المشؤمة بالصحبة وتعود ألم تعلم انى لم أجتمع معها فى منزل قط واذا فارقتك تندم على ما فرطت فاغتاظ فرهاد وقال علىم أندم وأنى لى الندامه وبكف همتى عنان الربح والسلامه فلست ممن يصغى لقول العاهرات ويكترث بحديث الفاجرات فاذا امتثلت كنت لك ولها والا كونى لمن

تشائين وأنالها فضحكت السعادة وقالت والله ما الطرد والاقعاد بيدك بل الامر لصاحبه وقد عن لى ان الادبار سيلتفت اليك وستدمع علامته بين عينيك ﴿وقد قالت التيمورية فى أمثالها﴾

ان تم أمر ما فراقب يافتى * نقصانه عما قليل وانتظر

أخى ان الفلك برج يدور فلا حزن يدوم ولا سرور فان قدمت عليك النحوسة فعليك منى السلام وقد فارقتك وانقطع الكلام ثم قامت الى حجرتها ولم يكترث فرهاد بقولها بل قام بتلك الهيئة وقصد ذلك البيت كما عرفته نحوسه فوجده مغلوقا فجلس على مصطبته وكان الملك يرسل كل يوم من يبحث على وجود الشيخ فجاء أحد الغلمان فرآه فجا الساعكر راجعا وأخبر الملك فقام بنفسه وقدم عليه هو ووكلاؤه ووزراؤه وقبله بين عينيه وأخذه الى القاعة وقال سأشكر فضلك ما هب الصبا واستخيرك فيمن ترضاه للمصاهرة فضحك الشيخ وقال حتى أفاوض رجال الغيب فناوله صرة فيها ثلاثة آلاف دينار وخاتما من الجوهر معقود بطرفها وقال لك مثلها كل عام وهاك مفتاح البيت * وكان فرهاد يعجل بالقيام حذرا من التأمل فى وجهه فقال الملك متى تزورنا قال بعد أيام قال وأين مكثك قال بين الجبال والكثبان ثم أخذ الدنانير وخرج يقول أكان هذا الخاتم والصرة يليقان بذلك المعكوس فلا يساق الخير الا لأهله وخرج من عنده مسرورا راجيا القيه فاجتاز من طريق البحر وعدل عن الطريق خوفا من ان يراه أحد او يتبعه وكانت مسافته طويلة فجلس يستريح بالساحل فعن له أن يغسل وجهه فتقدم وتناول المياه من البحر فلما طأطأ وقعت الصرة والخاتم مربوط بها فغاب عقله وطار قلبه وبهت ساعات لما لحقه من الغم والاسف ثم يئس وقام الى منزله خائبا فتسربل بالنكد وتمرض حزنا من شدة طمعه لانه لم يذق قبل ذلك حسرة الخسارة فلما أفاق ونزل من الحرم أتته نحوسة وقالت لا بأس على مولانا كادت روحى ان تفديه لما سمعت بانحراف مزاجه فقص عليها الخبر الذى تسبب فى مرضه قالت لعنة الله على خيبة بهرام لحقت سيدى فأدته الى الأسف الشديد وجعل الله تلك الصرة فدية لروحك ومالك

﴿أول حلول السعادة﴾

وكان فرهاد من دهشته على المال نسى المفتاح فى الجيب فلقيته السعادة فأخذته وقدمت به على بيت بهرام ووقفت على بابه حتى مر عليها أحد العواد فقالت سلم على بهرام واعطه هذا المفتاح وهو يعرفه فدخل العائد وأعطاه اياه قال بهرام ليت شعرى ما تم للملك حتى فرط فيه فلما أخذ المفتاح صمم على النقل الى ذلك البيت واكترى دابة وأخذ الحرم وصار اليه وفتحه ودخل فاذا فيه اثاث كثير وطعام مدخر فسر مسرورا واعظيما وانتشق ذلك النسيم الصافى فطابت نفسه وشفيت جراحه فخرج يوما يستنشق الاخبار فرأى

الاستبشار في الناس وسمع بالثناء على الشيخ حيث رضيت ابنت الملك بالزواج بكرامته فسأل أحد المارين فقص عليه المسئلة تفصيلا فاستغرب وصار يقول ترى من صادف ذلك السفر الحاضر من السعداء ورجع وأخبر الزوجه فسمعت نحوسة فقالت كفاك هذا البيت بما فيه جائزة ولا تسأل عن الخبر بما وجد ذلك السعيد فبأخذ منك البيت أيضا ولم يمكنك اثبات نفسك وكان مرادها التحذير عن التفتيش لئلا يتضح كذب فرهاد فيفتضح وتؤخذ منه الجوائز فقال أبيع البيت وأرحل الى بلادي قالت حيلة لم يكن لنا بيت في بلادنا وقد ملكت حصتك فيه قال آآنس صاحبي وأزواجي جياعا وأتنزه أنا فسمعت نحوسة فحزنت على فراق فرهاد فسارت اليه وأخبرته وقد خامر قلبه حبها فقال حرمت ملك حصته أخشى وجوده في هذا البلد ولا أريد بعادك عني فانا أحضر صاحبه وحرمه لتكوني بينهما وكيف يكون نحو وجهه وقالت عليك حضورهما وعلى ان أخرجه أنا واتفقا على ذلك وصار فرهاد يتأسف على امتلاكه هذا البيت ويقول كان مفتاحه معي وخلته وقع مع الصرة فمن ذا الذي أداه اليه ولكني أحضر له الصاحب والحرم حتى أبيع وأتبضع وتكوني معي ثم أرسل فرهاد الى مصر لاحد التجار فجهزهم وأرسلهم فجاءت نحوسه وقالت كم أسعى لكم بخير وأجازى منكم بسوء أخبرت سيدي فرهاد وأمر باحضار الحرم والصاحب على طرفه نظر الوجود حصتك فشكر فضله فدخل فرهاد حرمه وحكى لخيانة وصار يتأسف وتتأسف هي معه وتقول من أطال المفتاح لهذا التعيس فسمعت سعاده فقالت اما تكتفي بالدنانير والخاتم أنا وجدته وأرسله له لعدم لزومه عندك فاغتاظ فرهاد وقال حق لي النفور عنك قالت لا أسف لي على نفورك حيث اني سعاده والاسف لك حيث ان النحوسة مالت اليك قال وما العائد على من نفورك أأهبك أموالي ومتاعي الذي استربحته بكرامة عقلي ورشادي فضحكت وقالت طالما سلب الغرور والكفران أنعم مثالك وستعلم قوة رشادك وثبات عزمك اذا زالت عنك النعم وغشيتك كرب النقم فلم تمر مدة يسيرة حتى حضر الزوجان والصاحب وأما البلاغه فقد توفيت فدخل عليه الصبر وعانقه ثم جلسا فقال اني أجد نفحة عرف السعادة بوجود هذا المنزل ووجدان كل محتاج اليه فقص عليه المسئلة قال قرب وحق صدقك اقبال وقتك فلو واحهنا لقلت اخفى ادبارك وما دلك عليه بعزيز فلما دخل بهرام محل نومه جاءت نحوسه الى شطارة وقالت قد جرب زوجاته في كل أسفاره ولم يعتن بك فلو أخذك وسار للحق ابن الملك واعلمه برضاء ابنة الملك معشوقته وأخذ من الجائزة مالا حساب له فدخلت عليه الشطارة وقالت لوكنت محسوبة من الزوجات لجربتني ماداعليك لو لحقت ابن الملك وأعلمته برضاء محبوبته وتكون لك جائزة نيله قال نعم ما أشرتي وصمم على ذلك فلما كان الصبح أخذها وتوجه الى الجزائر وترك الحرم والصاحب في بيته وسارا حتى دخل الجزائر فسأل بهرام عن ابن الملك فقيل له قد زاد مرضه واغتاظ على أبيه وخرج الى

البحر وسافر الى الشين فعلم بهرام انه قد أحصى مدة وعده اياه فلما حانت لم يمكنه المكث وسافر ليلقاه فكر بهرام راجعا الى الصين ومدة السفر شهران فدخل المدينة وأرسل الزوجة الى المنزل وقصد هو ذلك المغار يعشمه انه فى انتظاره فوجد بالفضاء مشاعيل كثيرة وطبولا تضرب ووجد اثنين متعانقين فأسرع المشى حتى تقدم اليهما وأمعن النظر فاذا هو ابن ملك الجزائر مع صاحبه فرهاد فهوى الى الارض قاعدا فمر به رجل فسأله فقال هذا ابن ملك الجزائر صهر ملكنا وهذا شيخنا الاجل الذى تسبب فى رضاء ابنة ملكنا وانتخب له هذا الصهر فزوجها اياه فاسودت الدنيا فى وجه بهرام وكان السبب فى ذلك ان الملك لما بلغ منساه فى رضا ابنته بالزواج آلى على نفسه انه لا يزوجها الا بدلالة الشيخ فلما انقطع الشيخ وطال الانتظار قلق الملك ووزراؤه وكان الشيخ قال له لما سأله عن مراكزه انه يأوى الى الجبال والقفار فصار يجد فى البحث عليه وجعل لكل من دله عليه ألف دينار فطاف ينادى فى المدينة بذلك فسمع فرهاد فظن ان بهرام قدم على الملك بابن ملك الجزائر وأخبره بحقيقة الحال والبحث عليه للمعاقبة وأخذ الجائزة فدخل على السعادة يبكى وقال أغيثينى من هذه الفضيحة فقالت وتعرف قدرى قال نعم قالت اتسم بسمة الزهاد وأنا أسوقك لدرك كل مراد فتزيا وخرج وهى تسوقه حتى انتهيا الى الغار المعهود فقالت اختفى هنا وصارت هى تتريض فدخل فرهاد فاذا هو بابن الملك وهو ينتظر شيخه بهرام على حسب الوعد فلما رآه الفتى وقع على أقدامه وقال أغثنى بهمتك وبشرنى بما تم من كرامتك فأدرك فرهاد المسئلة فبادر بقوله بالهامن بشارة أيها الصنو العزيز قد رغبت فى الزواج وأتيت لاخذك لعقد الاملاك وقال فى نفسه أقدم به على الملك ويتم سرورى لان ذلك المعكوس لم يصل اليه فطابت نفس الفتى وامتلأ قلبه سرورا وهمة فأخذه فرهاد ونزل به الى الصندل واغتسل وتعطر وقدم به على أبى العروس فلما دخل به عليه قام الملك على قدميه وقال استاذى أنا أبحث عليك منذ أيام لتدلنى على صهر موافق فضحك فرهاد وقال قد جئتك به وهو هذا العزيز ابن ملك الجزائر وانما أتى متنكرا حذرا من عدم الرضا فاذا وقع التراضى أتى بكل مالزم من مملكته فعانقه الملك وقبل بين عينيه وقال وحق فضل كرامة شيخنا الاكافه بادنى شئ بل أقوم أنا بالنيابة عنه وأمر برفع رايات الافراح وزفاف العروس اليه ومكث أسبوعا لا يخرج من الحرم وقد رتب الملك موكبا عظيما الصهره فلما خرج لتقبيل يدوالدها أمر الملك بحضور الموكب وركب الشيخ والعروس وطافا بموكبهما فلما أداهم المطاف الى ساحة المغار تذكر ابن الملك أيام مكثه فيه وملاقاة شيخه به فترجلا للاستراحة فصار ابن الملك يعانق فرهاد ويقول بارك لى فيك ربى حيث كنت سببا لانقاذى فصادف دخول بهرام فى تلك البرهة فرأى ابن الملك والشيخ متعانقين فسأل أحد الناس فأخبره كما تقدم فصعد على التل وصار يحثو التراب على رأسه ويقول واخيبتاه وكانت نحوسة تعزيه فى حاله والشطارة

تبكى على خيبتها معه فقال النحوسة قد دهتني صحبتك فدعيني واذهبي عني والشطارة أيضا فلا حاجة بها معي وجودك معي وخلياني ألقي وعدي وأبث حزني الى عالم السر والخفيات والبيت امامكما وأنا أقدم عليكما بعد فراغي من شغلي الذي أنا فيه فسارت نحوسة وشطارة فقالت شطارة لنحوسة قد أبطلت عملنا وخيبت أملنا وضجرنا من صحبتك ولم ندر كيف الخلاص منك فاغتاظت وكانت تترقب وسيلة لتخلصها من بهرام ولدو قها بفرهاد فقالت سبحان الله أسعى لكم بكل خير وأنا عندكم مذمومة ولم أدر ما الذي جبرني على صحبتكم وحق حبي لم أعلمه واني لا أذهب معك ولا أدخل بيت بهرام مهما عشت أبد الآباد وسأذهب الى من يرغب الفتى ويدري بقيمتي وانفصلت منها وتوجهت نحو فرهاد وكان بكشك البستان مع ابن الملك وبعض من العلماء فدخلت النحوسة عليهم ونادت على فرهاد وأعلمته بالقصة فقال هذا الذي كنت أتمناه وعقد عقدها عليه في الحال وبعثها الى بيته وكان قد ترك السعادة في الفضاء ولم يسأل عنها فلما جان الليل صار الى ذلك الفضاء وقال لها اسمعي ما أقول قد ذهبت الزوجة الجديدة الى منزل زوجها فما قولك قالت تفضل قد كنت لك بأمر من أدار الفلك فاقصدت طريقا الا وكنت ممن فيه سلك وقد تم أمرك وأقعدك الدهر عن الامل وأحبط منك العمل ورقص امامك الغرور فأنت في طغيانك معذور وقد قالت التيمورية في أمثالها

مادام دهري بالسعود يؤمني * فكمال سعدي بالسيادة قد ثبت

وأنا وراه ومقلتاه امامه * يالوعتي ان ضل يوما والتفت

فاذهب فلست لك بعد ذا فان طاب لك الوقت ياحبذا فصار فرهاد نحو العروس وقاده الغرور والخوف ولسان حاله يقول وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وأما بهرام فصار يبكي غدوة ومساء حتى نفد نفسه فقدمت عليه الصداقة وقالت سيدي لك البقاء قد توفيت حيلة في غيبتك وتشاجرت شطارة ونحوسة وقد أقسمت أن لا تدخل بيتنا والشطارة تريد طلاقها منك قال وقد فعلت ولم يبق لي من الزوجات خلافك قالت وأنا لا أفارقك الى الممات قال جزاك الله خيرا فتوجهي وأنا لاحق بك فصارت الى البيت وتأمل بهرام في حالته وقال ما الداعي الى هذا العيش النكد فالله يعلم بضيمي وقهري ويشهد ببأسي وعذري وقام مسرعا الى البحر وقال اللهم اني أسألك برفعة جاه نبيك المخصوص بالسيادة أن تغفر لي وتجعل آخر كلامي الشهادة وقذف نفسه فيه فعلته المياه حتى غاب عن وجوده ومكث ما مكث لا يدري ولا يعقل ثم أفاق فاذا هو في سفينة عظيمة وحوله ناس كثير ورأسه على فخذ طبيب وهو يقطر له مقطر العنبر ففطن نخاطب نفسه وقال أنى لك يا بهرام بهذا العز والانعام فرام أن يستقيم على قدمه فاذا أعضاؤه قد يبست من الغرق فما زال الطبيب يلين عروقه بالادهنة حتى لانت وانفك تشنج أياديه فوقع من كفه فص أزرق كان كبشه مع الرمال فلما رآه الطبيب صاح قائلا وجدنا منيتنا

فجزاك الله خيرا وهاج من بالسفينة وخرجوا مع الطبيب الى الساحل وقالوا لبهرام دونك وما فيها من اللباس والطعام حتى نرجع وصار واحيث شاؤا فصار وحده تتساند وقام يمشي فأحس بثقل شيء في صدره فادخل يده وجسه فاذا هي الصرة التي وقعت من فرهاد قد قذفتها المياه داخل ملابسه فجلس يتأمل في وجود الصرة ويتفكر في خروج أهل السفينة والليل سادل أستاره فاذا بنور يلوح وعطر يفوح وقد بانت له عذراء مائسة القد عنبرية الند وهي تخاطبه بقولها عزيزي لا راعك الله بدهشه ولا أفزعك بوحشه فالسلام عليك مني ما لاح القمر وأبهج بنور البشر فقام بهرام على قدميه وحياها بأعظم تحيه وقال مولاتي أدام الله ظليل سنائك لكل حبيب وأجرى رخاء شفقتك على كل غريب ان وافق الارادة أن تنعمي على العبد بمن هي السيدة والى من تنسب الجيدة فتبسمت وقالت كنت شقيقة لفرهاد واسمي السعادة فلما قدمت نحوستك عليه فارقته وأقبلت عليك حيث اني لم أطأ أرضا غبرت بظلامها ولم أدخل روضا أظلم بوجودها وقد جئت لصحبتك بأمر من جلي من الشقاوة لوح ناصيتك قال مولاتي وأنا عبد رق لك ما دمت حيا انتشق من طيب محبتك أرجا ووريا قالت بارك الله لك في اقبالي عليك وقرب كل ربح اليك ثم دخلت مقعد السفينة المعد للحرم فتبصر بهرام في حالته وقال كيف أتقرب من أنس سيدتي وأنا بملابس رثة وقد أجازتني خدام السفينة بالتمتع بما فيها فقام ودخل أحد القمرات فوجد بها الصناديق ففتح صندوقا منهما وأخذ خلعة عظيمة ثم اغتسل ولبسها وغسل ملابسه ونشرها وقال اذا طالبوني بكسوتهم لبست ثيابي وأعطيتهم متاعهم ومكث يستظل بأنوار السعادة ثلاثة أيام وكل ما هم بالتوجه الى بيته أمرته السعادة بالانتظار فلما كان اليوم الرابع أقبلت خدام السفينة عليه وبينهم رجل افرنكي فنزلوا فيها وصار الافرنكي يقبل يديه ويقول بأي مكافأة أقابل حسن صنيعك قد تعلم يا سيدي اني ملك الافرنك وقد بليت بكف البصر وأرشدتني الحكماء أن لا شفاء لعيني بدون هذا الفص وأنا آجر لكل أرض اعلانا للبحث عليه والاطباء يقولون انه يوجد ببقعة من هذا البحر ولي عام في هذه المدينة متنكرا انتظر اغاثتي به فلما من علي الله بوجودك وأخبرني الطبيب بانك أشرفت على الهلاك حتى تحصلت عليه علمت بالقريحة انك رأيت الاعلان واهتممت في البحث عليه حتى وجدته وقصدت به سفينتي ومازلت قابضا عليه حتى أفقت وسلمته الى الطبيب ولم تبدله شيأ لانعقاد لسانك ولعلمك انه يدري كيفية الاكتحال به فأرجوك أن تقبل مني هذه السفينة بما فيها وهاك ألفي دينار ولك كل سنة مثلهما واني أستودعك الله ثم قبل بين عينيه وصار الى بلاده فقام بهرام وتوضأ وأدى سجدات الشكر وأمر الجماعة بانتظاره وتوجه الى منزله فوجد الصاحب في انتظاره فأخبره بما نال بروحانية وجود السعادة فتهلل وجهه بالسرور وقال الحمد لله الذي أبدل عناك بالهنا وشدتك بالرخا فاسع الآن

كما تشتهي فان سعيك بالنيل مقرون وبالفوز مشحون قال أخي قد عزمت على السفر
قال نعم قال فكن معي أنت والصداقة حيث لم يكن لي سواها قال الصبر والله لست
محتاجا الى غيرها وكان بجواره رجل فقير فاسكنه في بيته بلا مقابل وأوصاه بالاقامة حتى
يعود وخرج بالصداقة والصبر وحل المراسي الى الهند ثم التفت عقيل الى مولاه وقال
تأمل سيدي في بدائع الالطاف حين أقبل السعد كيف نال بهرام حظه بلا تعب وكد
أكان يدري أن الغرق يعقبه السلامة أم كان يعلم بقيمة الفص وخاصيته أكان
يعرف ذلك الافرنكي أو رأى اعلانه وعليك التأمل أيضا فيما قاله الافرنكي وفي فهمه
حيث ظن انه رأى الاعلان وصار يبحث على الفص ولما وجده قصد السفينة وصار
قابضا عليه حتى سلمه الى الطبيب والحال أن القبض كان على الرمل من حال الغرق فقد بين
لنا التمييز ان لحظ مساعدة السعادة يبدي كل نجاح ويسوق كل فلاح وقد أحاط علمك
سيدي بسعيه السالف وكده التالف فسعى من بلي بالادبار ادبار مركب ولزمه برجمة
الخيبة باب مجرب قال ممدوح وحق عزتك لقد نلت حظا وافرا بسعد بهرام حتى تخيل لي
اني أنا هو وكدت أجد بفمي حلاوة عاقبة صبره وتصورت أن سطوة السلطنة ردت الي
وزال عني الغم والقلق بعناية رب الفلق قال ممدوح أكافك يا نصوحي بنبذة من
حديث ذلك النفط المغرور وهل رأى لما رآه بهرام شيأ من الغيظ والدحور قال عقيل
أعرض على المسامع المنيفة انه لما صار الى منزله وزعم انه نال المنايا ملاك محبوبته واختلى
بها أشارت اليه ببيع جميع البضائع وجعلها نقودا خالصة ولما يرجع الى بلده يترقب
عقار كل مديون وضياع كل مظلوم ومسجون فيأخذها بادنى قيمة حتى يصير من أكبر
الاغنياء وأنخر الامراء ثم ينتقل من درجة الامارة الى رتب الوزارة فيتقرب من
السلطنة ثم يجذب قلوب الجند بالانعام فيميلون اليه ويتوسلون بوجه يجوز به خلع الملك
أو موته الى أن يتولى السلطنة فسر بذلك وساعده الغرور فباع بضائعه وضم مبالغها
على نقود جوائزه فتضاعف المال فقالت نحوسة أروم أن أتفرج على بلاد لم أرها
وأنا مشمولة بشرفك ونجعلها تريضا وسياحة وخرجا على ذلك الرأي وأما بهرام فما زال
على سفره حتى دخل الهند فرآها بندرا عظيما مخضرة الاشجار ملونة الاثمار عالية
القصور زاهية السرور لكنها خالية من السكن فمكث على ساحلها ينتظر مرور
أحد يأتنس به فلم ير أحدا فلما أقبل الصباح أقبل صياد بمندل فنادى عليه بهرام
وناوله دينارا وقال صد لي به سمكا ففرح الصياد وصار يصيد له بكل نشاط فقال له
بهرام ما أطيب مدينتكم غير ان سكانها قليل فضحك الصياد وقال سيدي ان ملكنا ذو
سياسة ورياسة وله جواسيس شتى بالمدائن يسترقون السمع ويعرضون عليه الامور
وقد أخبروه بان قافلة من العجم قد ساقوا شيأ من الخمر وجاؤا به على سبيل التجارة ليأخذ
منها الملك ثم حاشية دولته ثم تباع للاهالي فيقتل هو وكل من تناول منها شيأ وملكهم

يترقب الفرصة بجنوده فعند تمام المسئلة يقدم ويأخذ ملكاً بدون حرب ولا ضرب
وصمموا على دخولهم ليلة الجمعة فذهب الملك وجنوده الى البر الشرقي منذ أيام وهم
يحفرون اغما ويحشونه بالبارود في ممر تلك القافلة فاذا دخلت وداست الدواب على ذلك
اللغم خرجت عليهم النار وأحرقتهم ولم يكن لنا في اتلافهم مدخل لان ملك العجم ان علم
بمعلومية ملكنا بدسيسته توضحت العداوة ووجب الحرب فبهذه السياسة تهلك
أخصامنا وتسلم نفوسنا وقد تم اعمال اللغم في هذه الليلة وفي غد ستري العمار كما يجب
فقال بهرام اللهم سرني بسلامتهم فلما كان نصف الليل سمع بهرام صوت البارود وصياح
الرجال والدواب فقال لا يحيق المكر السيء الا باهله فلما طلع النهار رأى الناس تمر جماعة
جماعة ويهني بعضها بعضا بالسلامة فتأهب وصمم على مقابلة الملك وخرج الى الساحل
ورأى شخصا من الاعاجم وقد تحرقت ملابسه ولحيته واسود وجهه وهو يشرب من
البحر ويبكي فقال بهرام ان وجدوه قتلوه فانا أخفيه في السفينة فلحق به وأخذ بيده وقال
لا تخف توار عندي فانزله عنده وغسل وجهه بيده وتأمل فيه فاذا هو فرهاد فصاح الله
أكبر مولاي ما الذي قرنك بقافلة الاعاجم فبكى فرهاد وقال اعلم يا أخي اني رأيت وفرة
النقود فقلت أتريض بالسياحة ثم أعود الى بلدي فدخلت المدينة ليلا ولم أرض
المبيت خارج البلد خوفا من اللصوص فدخلت فاذا بنار تأججت من تحت أقدام الدواب
فاسرعنا بالسير للتخلص منها فكلما اسرنا زاد التأجج وارتفع اللهيب حتى احترقت القافلة
عن آخرها ولم ينج منها الا أنا والحرم ولم يبق لي وحق جيرتك ما أتقوت به ويستر عورتي
وتركت الحرم بين الصخور وجئت ألتمس القوت واللباس من أهل الخير قال بهرام
سيدي أتيت الى محلك ومالك وأخذه ودخل القمرة وغسله غسلا جيدا وأطعمه وألبسه
وحكى له ما سمع من الصياد قال فرهاد اعلم يا أخي ان الاعاجم كانت قافلتهم مع قافلتي وهم
صمموا على الدخول ليلة الاحد وأحبوا الاستراحة يومين بالضواحي قال بهرام أنا أذهب
الى الملك وأعلمه بالمسئلة وأعرفه بظلامتك وآخذك معي فان كان منصفا عوضك
الخسارة وان لم يصدقني بجهله بخلق لاني غريب فهذه الدنانير نصف لي ونصف لك
وطابت نفس فرهاد ثم صار بهرام الى الملك فقابله باحسن مقابلة وأضافه ثلاثة أيام فلما
كان اليوم الرابع قال بهرام أحب أن أسمع الملك أصدق الخبر ليحترز على مملكته ويؤجر
بالثواب وقال الملك وأنا أحب أن أسمع ذلك فقص عليه الخبر وأخبره بدخول الاعاجم
ليلة الاحد وظلامة فرهاد فتأثر الملك على فرهاد وأمر بحشو اللغم كما كان فحشوه وردوا
عليه التراب فلما كان نصف الليل خرج البارود وتأججت النار من بعيد وسمعوا ضجيج
الاعاجم ففرح بهرام فلما كان الصباح وجدوا بعضهم قد تخلص حيا ونجا من الحريق
فقبضوا عليه وقرروه فاقر بتلك المكيدة فالتفت الملك الى بهرام وقال جزاك الله يا أخي
عني خيرا الان سلامتي وسلامة رعيتي جعلها الله على يديك لا سيما أجري بتعويض

خسارة ذالك الرجل المظلوم وأهداه بأربعة آلاف دينار وقال أتني بذالك التابر لاطيب خاطره بالتعويض فشكر بهرام احسانه وقدم مسرعا الى السفينة ليبشر فرهاد فاذا به قد أخذ كل الدنانير وذهب فخرج بهرام وسأل الملاحين قالوا انه خرج بعد توجهك يحمل شيأ تحت ابطه ونادى على أحد الصنادل وتوجه الى البر الشرقي ولم ندر أين ذهب فتأسف بهرام على حرمانه من التعويض فقال كنت أنا قلت له على ذلك حذرا عليه من الفضيحة قالت فسر ممدوح سرورا عظيما وصار يتأمل في صداقة بهرام وصار يستغرب أخبار فرهاد بصدق خبر الاعاجم وتوسط بهرام في التبليغ من دون مشقة وأخذه الجائزة وذالك لخلوص نيته وحسن سعيه لفرهاد وخيانة المذكور له قال عقيل أيد الله مولاى ألم يقل الله في كتابه العزيز فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ومن عمل صالحا فلنفسه فيجب على كل من تقلد بالسعادة ان لا يكترث بفوزها ولا يغتر بعزها بل يجعل انقياده للتواضع وارتباطه بالخضوع ويحسن مماشاته مع الآل والاخوان بصدق التودد ويراعى من استحق المراعاة بمواساته من ذويه وجيرانه مع اتخاذه الجد ورداء وعصا التوكل في الآناء والاطراف مستندا حتى يتمكن من وداد ذوى صحبته ويثبت في أفئدتهم خلوص محبته وهو متمسك بعروة الصداقة في القول والعمل مسفر عن حقيقة ماجاء في المثل اذا انار مصباح السعادة في أركانك فاجعل من ذالك الود الرأفة بجيرانك وخله وديعة لديهم فربما طفا الريح مصباحك واحتجت اليهم وقد قيل أيضا

ان أقبل الاقبال فافعل ماترى ● فخطائك والهفوات عين صواب

فالصواب ان يجعل السعيد سعيه في كل مااستحسنته العقول في كل معقول ومنقول ويعلم ان الثروة ولجة أحبابه كما ان الشدة محك تجارب الاصحاب فان أدى في وليمته أوفى الاكرام لمن زار بان له في الشدة اكسير الود خالص العيار فاذا انعكس الطالع جنحوا لمواساته وهم واجساواته وزجروا كل شامت فيه وغدروا بكل من يناويه لان الانسان مهما تحلى بحسن الاخلاق لايخلو عن حاقد وحاسد ولا يسلم من مراقب وراصد قال ممدوح نعم القول لمن تقلد بالاذعان وتمنطق بالعرفان ولكن ان غلب الجهل حل عرى هذه الحقيقة وأبدل بالسموم رخاء تلك الحديقة فأسفى على أيام سلفت وأنا في أكف الجهل ككرة الاطفال لاسيما انقيادى لمغاذ أخس الرجال فبادره عقيل حذرا عليه من حرارة الاسف وخجله فقال سبحان الله يامولاى أكنت في تلك الايام في سن فرهاد وبهرام ألم تكن حديثا معفو الفعال قال ممدوح قد عن لى وحقك ان الذى جلى مرآة بهرام بعد يأسه قادر على أن يردنى الى ملك أبى بقدرته ويرينى نكبة هذين الخائنين بارادته فهو ذو البطش الشديد الفعال لما يريد وقد رأيت ان أؤدى سجدة الشكر بالنيابة عن بهرام حيث طاب عيشى باطمئنانى عليه وساعدنى نسيم هذه

البلدة

البلدة فزكت نعشتي ووافق هواها هوتي فان رأيت ان تسمح لي في الغداة ان أسيح
في لجة أسواقها وأمتع العين في غريب اشراقها ليزكو صفاء قلبي وينجلي بسماع
حديثك أثر كربي قال عقيل ان شاء الله وهو الذي يحفظك من كل ما أتوقاه فلما
كانت الغداة عزما على ما صمما عليه بالامس ودخلا المدينة فاذا بها أمتعة غريبة
الهيات شهية الصفات قال ممدوح لو كان لي رأس مال لتبضعت في هذه الامتعة
وشغلت نفسي عن كل أفكارها وأنعشها بحلاوة المكاسب وأملي بعناية الله ويمن صحبتك
الربح وحسن السلوك قال عقيل لك ذلك انما نحتاج الى مدة يسيرة حتى نستوطن بها
ونتعارف باهلها فنقترض منهم نقودا ونجعلها رأس مال ثم نتداول في الاخذ والعطاء
واذا كانت المعاملة بالصدق لا نرمى بالخطا وصارا يترددان على التجار ويتعارفان
بأرباب الحانات حتى تفقهافي الاسعار وأحسنا التودد بكل حبيب وأخلصا الالفة
لكل صاحب وغريب فكانا ذات ليلة بجفل من محافل الاصحاب فاغدقت السماء
بالمطر وزمر صوت الرعد وانهدر السيل كأفواه القرب ثم اشتد البرق والرعد ونزلت
صاعقة فرجت الارض رجا وصارت الناس في دهش من فزع صوتها ونزلت على رأس
الجبل فهشمت الاوتاد وفتتت بفزعها الاكباد وطغى السيل وانهمر وصاحت الناس
الله أكبر ومازالت تموج حتى بدا الفجر الصادق فسكنت شيأ فشيأ وأخذت في القرار
وتلا الناس وله ما سكن في الليل والنهار فاسرعت الناس الى منازلها واطمأنت على
عيالها وأقبلوا على الملك يهنونه بسلامة نفسه وبلده فركب والقوم حوله حتى وصلوا
الى بقعة الصاعقة فاذا بها قد هدمت صخرة من رأس الجبل فصادف تلك الصخرة
والصخرة التي سدت باب مغارة ذخيرة عقيل ففتتها وصارت جذاذا وانكشف المغار
المعهود فلما عاين عقيل ذلك طار فرحا وأيقن بالفوز وعود السعود الى أصيل الجدود
ومازال يكتم أمره عن مولاه حتى رجعت الناس واستقرت فمكث تلك الليلة ثم استأذن
مولاه في المغيب عنه يوما وليلة فاذن له فصار وبحث على صندوقه فوجده كما وضعته يده
فشكر وحمد وابتهل حيث كان الادبار غطى على متاعه فلما محا أوقات الحصار مكور
الليل على النهار جعل المصيبة فرجا للضيق والاصابة مخرجا لذخر ذلك الصديق فاحتال
يوما وليلة حتى سحبه الى باب المغار واستعان في شيله ببعض الفقراء المارين للسؤال
وأمدهم بعابر ضيهم وكان البعير حاضرا فحملوه وصار الى الخان ودخل به على سيده في
ضحوة النهار فقبل الارض قائلا الحمد لله الذي من علينا وهذه بضاعتنا ردت الينا وناوله
المفتاح فاخذه ممدوح وفتح الصندوق وهو لا يدري ما هو وما فيه فوجد الاكياس بختم
والده العادل فاستغرب وقال كيف أقول أسرقت أم نقبت يا عقيل وهذا الختام يقول ان
المال مالي وما فيه من النقود من حطام مالي فتى يا شفيق تمثلت بسليمان وعقدت
اللواء على الجان حتى أوتك به من خزينة العادل بلا مطل ولا مقابل فجلس عقيل

على ركبتيه وقص الخبر عليه وقال اعلم ياسيدى انى فى يوم عزيتى الى الشين كان مرادى أخرجه وان أتحفك بما فيه وتنعم فى غربتك كما تشتهى وأمسكت عن افشاء سره اليك حيث كان الادبار شابا فى عزمه مكبا على عينه وشؤمه وخفت أن يكون سرق أو نقب عليه فتتضاعف لوعتك فاكون أنا السبب واصير كالباحث على حتفه بظلفه فاستأذنت منك بداعى مقابلة شيخ فلما وجدته قد سد بالصخرة التى قد فتتها الصاعقة رجعت خائبا أكابد الزفرات وقلت لك ان الشيخ قد مات وتذكرت ماقيل فى المثل

سدت بصلب الصخر ان هى أدبرت * وبدون مس ذاب ان هى أقبلت

فيا الهامن اشارة نطقت الى مولاى بالبشارة فهذا وحقك أول ظهور اقبالك ومراعاة صلاح حالك فقام ممدوح وعانق عقيل وقبل لحيته لما اقرت عينه بمرآة الامانى وعبر له عن مخبآت المعانى وقال ما قولك يا نصوحى فى التجارة قال دونك والانتخاب فاى متاع رغبت فهو عين الصواب قال نقصد أنخر موجود فى هذه المدينة وأشهى مقصود لمن رغب الزخرف والزينة قال عقيل عليك بشاه البندر نجعله المستشار ونقبل منه ما استحسن واختار ثم أدخلا الصندوق الى الخزانة وأحكما عليه الاقفال وخرجا قاصدين خان ذلك المستشار حتى وصلا اليه وعرضا المسئلة عليه وقال عقيل ان مولاى غريب وقد اتخذك فى غربته خير صديق وحبيب وجعلك لصدق نصيحته خطيبا ولمناجاة أهله نجيبا وهو يريد الاستبضاع باعلى بضاعة نادرة الوجود فى الموجود خفت فى الحمل وثقلت فى الثمن لم ير مثلها فى العراق ولا فى اليمن قال الشاه على العين والاحداق وسياقى منى مارام بعناية الخلاق لكنى أروم الدراية برأس ماله لاتصور ما يليق بذلك المقدار وأقوم باعداد ذلك من التجار قال عقيل رأس ماله بعون المعين يكاد أن يكون معادلا لذخر خزائن الشين فكل متاع انتخبناه باستشارتك لا يخرج من عندك حتى يساق اليك ثمنه بالتمام على حسب المرام حيث ان الغريب مجهول الاخلاق فى العهد والميثاق قال الشاه معاذ الله ان نقتطف من شجرة اخلاقكما ثمرة الخطا والله لاعطينكما متاعا لم تحظ به الملوك وهو عندى منذ سنوات متروك فتفضلا الى الخان الكبير فقاموا معه حتى دخلوا ذلك الخان وتقدم الشاه الى مخزن مختوم بختام ملك الشين فازاله فاذا فيه خمسة صناديق من حديد محكمة بالوثاق الشديد فبسمل التاجر وحل وثاقها واخرج المحافظ وهى من خشب الآبنوس المحلى بالذهب والفضة ثم أسفر عن ذلك الجوهر الفريد وعقائد الدر النضيد والاقمشة العديمة النظير من كمخ ولاهور وحرير فلما رآها ممدوح أعجب بها وقال تساق الى باسرها فارنى أيها العارف دفاتر الاثمان لاسوق اليك القيمة قال الشاه اعلم ياعزيزى ان هذا المتاع فى حيازة ملكنا منذ ادخر عندى ولا يجوز لى ان أقوم فيه بالتصرف وحدى لان اعداده كان لبوران ابنة ملك العجم وهى خطيبة ممدوح ابن العادل فتم الدهر خاتم

وهدم أساس بنيانهم وكانت رسالة العادل المكا بطلبه بواسطة نديمه عقيل فالتزم الملك باتخاذه من اقصى البلاد ومهده كما ترى فلما حل ما حل بهم من الفقد لم نجد من يقوم بدفع أثمانه ولم يمكننا رده فقسط الملك قيمته عليه واداها واتخذه ذخرا وجعلني محافظا عليه فصار عندي الى الآن وكان بعون الله كأنه محفوظ لهذا السيد السعيد بامر من هو فعال لما يريد فاطرق ممدوح حتى كاد ان يغمى عليه وصار عقيل يتكئ على يديه كأنه نشط بوجود المتاع ويقول الحمد لله الذي أمدنا به على حسب رغبتنا وأملنا ان نعرض على الملك مسئلته وتأتيا بالرقاع ونسوق اليك المال ونأخذ المتاع في غد ان شاء الله وبادر الى القيام ومازال يهله بالبشائر حتى وصلا منزلهما فقال عقيل مولاي لم تأثرت الى هذه الدرجة التي أراك بها من وجود مالك الذي يشرك وجوده بكل سعادة ألم يكن هذا توفيق الله اليك وقد أنعم برده عليك حيث حفظه الى الآن في خانه وصارت قيمته في المغارة بحيث ان المتاع هو المعين والمال هو المقتني ألم يكن هذا أغرب لمقصدنه فتأمل في سعادتك التي أمدك الله بها ومحوضوستك التي كنت عليها قال ممدوح لم يكن تأثري كفرانا للنعمة ولا انكار المنة فحمدا وشكرا لله على كل حال وانما تغيري لعطلي الذي كنت أشتهي ان أشتغل به لاجل ان أتخلى عن سوء أفكاري فكيف أبيع هذا المتاع وهو معد لعروسي وكيف يهون على ان يتمتع غيري وغير تلك المصونة بلبسه ومسه فعدم امكان التجارة به أوقعني في دهشة الافكار حيث كان مرامي التسلي بحلاوة المكاسب وقد حبس المال فيه فضحك عقيل وقال تترين به من هو لها ويتمتع بها من هي له ان شاء الله أيستحيل لديك هذا القول بعد ما رأيت ما رأيت من غريب الطائف أكنت تدرى ان هذا المتاع ماز ل محفوظا لك أكنت تعلم ان هذا المال لاحق بك فاحسن سيدي خلوص توكلك واجعل بعناية لطفه توسلك فلا خاب من توكل عليه ولا خسر من سلم عنان التدبير اليه فلما كانت الغداة أخذ عقيل الصندوق وحمله على بعيره وقال لا تتعب أنت نفسك وصار به الى خان الشاه فوجد رقاع المتاع امامه فسلمه المال واستلم المتاع وعاد بالصناديق الى غرفته وصفها امام سيده ففتح ممدوح ذلك المتاع وصار يتأمل في التاج والسوار والعقد الجوهر وهو يقول أين تلك الجبهة والساعد والصدر فليت شعري من وجد هذا المتاع لها هي على قيد الحياة أم ورد عليها رسول الممات ومن المعلوم ان النفس اذا تخلصت من سجن الاحزان وانسابت من قيد الاشجان تحركت ثورتها المعهوده وتوهجت جمرتها الموقوده فان لم يقبض كف العقل عنانها وتمسك بيد الاملاك زمامها ماحت لشوقها المفرط في فيافي الشهوات كالضرغام وأنشبت اظفار عزمها لكل مرام فالسعيد من عصاها والكامل من لم يتخلف عن هواها ﴿ولنرجع لما نحن بصدده﴾ ولما رأى ممدوح نضارة ذلك الحلي وتذكر من كانت ستحلى به سالت مدامعه كالغيث على وجناته وصار

يتنفس الصعداء من زفراته فقام عقيل وأدخل المتاع في صناديقه وبادره بقوله مولاى قد ذهلت عن حديث عبدك بهرام حين ما تخلص من ادباره وسالك مسالك اقباله فقد كانت أول همته بناء الجوامع لما دخل بلده بتلك الثروة واكترى منزلا كبيرا وصارت تزوره الاحباب والاصحاب وتخلص له الود وتهنيه بالسعد كما جاء في المثل

أنت الحبيب اذا ما كنت ذا ذهب * فان فرغت رأيت الحب قد ذهبا

ثم ان بهرام اشترى أرضا وباشر في بنائها منزلا كبيرا وخانا لاعظم البضاعة وبضائع الغرباء بلا مقابل وصار في أرغد عيش الى ان مضى العام فلما أقبل العام الجديد اشتاقت نفسه الى السفر فقال الصبر عزيزي قد طاب وقت الارباح ورقت لانتعاش الروح الرياح فأجر عليونا وراود السعادة في التبضع فاشارت عليه بالملح لانه مصلح فاستأجر باخرة وشحنها ملحا ونقل الحرم وعزموا على أقطار اليمن حتى قطعوا نصف المسافة فثارت عليهم ريح عاصفة وقطعت المراسى وساقت الباخرة الى وجهة غير المقصودة فهمت الملاحين بتجديد الاوتاد فقالت السعادة قل لهم دعوه يسير على وفق اتخاذ الريح فامرهم بذلك وقال ان كان قائدنا السعد فقد طاب لنا الوعد فلو هب السموم لكان ارق من النسيم ولوضل العبد لعاد الى الصراط المستقيم فدعوا الرياح تسوقها كما ترى وبعون الله سيحمد السرى فساقتهم الريح أسبوعا كاملا وكانت المسافة التى قطعت بقدر اشهر على حسب شدة جريانها فلما سكنت اذا بهم على ساحل مدينة مسورة بسور من حديد وله باب عظيم لكنه قد سد بصخرة كبيرة فتأمل بهرام وقال ما أحسن هذه المدينة وما أقدر ملوكها ولا بد لها من عدة أبواب حتى استغنوا عن هذا الباب وسأمر في غد على سورها فالباب الذى ألقاه مفتوحا ادخل منه فلما أصبح ركب جوادا وسار حول السور الى المساء فلم يجد له بابا بخلاف ذلك الباب فاعياه البحث أياما يسمع أصوات الدواب ومحادثة الرجال من داخل الباب فمكث أسبوعا ينتظر من ورأسه عليه حتى يسأله عن الخبر فلم ير أحدا فضجر واخرج من بالباخرة فلم يقدروا على ازالة الصخرة فحفروا تحتها نقبا ووضعوا فيه بارودا وأطلقوا فيه النار فتفتتت الصخرة فوجدوا بينها وبين الباب رجالا موتى وبجانبهم المفتاح فوضعوه على القفل فانفتح الباب ودخل بهرام ومن معه فاذا باهل المدينة قد أحاطوا به والملك بينهم فلما دخل بهرام عانقه الملك وصار يشكر صنيعه ثم اخذه وسار به الى القلعة وزين المدينة وصف الموائد باشهى طعام وجلس بهرام بجانب الملك فلما وضع يده في الطعام لم يجد فيه ملحا فقال في نفسه قد نسي الطباخ فتقدم صحن آخر فتناول منه فاذا هو مثله فقال الملك أخي أراك لم تأكل بشهية ونحن أيضا مثلك ولكني سأوضح لك السبب اعلم ان هذه المدينة تحتوى على سبع مدائن والخصب بها كثير والرزق فيها غزير وطالما حسدت الملوك أجدادي عليها وصاروا يتحاربون في كل وقت ويترقبون أخذها فضجرت أجدادي من الحرب والضرب فقرر رأيهم على بناء هذا السور وشرعوا في بنائه

وصار كل ملك يوصي ولي عهده في الهمة في حمله حتى انتهى في مائة سنة وكان اعمامه في عهد والدي فلما توفي والدي صار الملك الي وصارت المدينة في غاية التحصين ولم تتمكن الاخصام من الدخول الينا لمتانة هذا السور وكان أكبر غلط الملوك حيث لم يجعلوا فيه الابابا واحدا وهو الذي فتحته أنت وله سبع حراس وهم الذين وجدتهم موتى ورأيت عظامهم وكانوا يقفلونه ويبيتون خارجه قياما الى الصباح وكل ليلة يتغيرون ولم يكن لنا داع نحتاجه من الخارج خلاف الملح وكان مبيتهم في الخارج لمناظرة سفن الملح لان بقعة بحرنا لم تهدأ أمواجها الا ليلا فاذا مرت السفن اخرجوا امافيها ودفعوا ثمنه وادخلوه لنا ولم يدخل علينا أحد من الخارج حذرا من دسائس مكايد الرجال فتزلزلت الارض ذات ليلة ووقعت تلك الصخرة من الجبل فسدت الباب ولم يمكن الرجال ازالتها لكبرها ولم نتمكن من اغاثتهم فكثوا امدة ثم ماتوا جوعا ولنا أعوام نأكل بدون ملح كما رأيت فمن تمام فضلك ان تسوق الينا تجار الملح ولك خير المكافأة مع الثواب الجزيل فضحك بهرام وقال أنا هو تاجر الملح ولم يكن في سفينتي خلافه شيء فصاح الملك على أرباب دولته لكم البشرى قد ساق الله انا بغيتنا بواسطة هذا السيد الكريم قد فتح باب سجنكم وأهدا كم عليكم فصاحوا معلنين بالحمد والشكر وقاموا من وقتهم الى الساحل ودخلوا الباخرة وصاروا يضعون القطعة منه في الماء كالسكر ويشربونها لاصلاح جوفهم فاخذ الملك نصف ما في الباخرة وفرقوا نصفه على الرعية ثم ساق الثمن الى بهرام مضاعفا وأتحفه بحلي وأقمشة وتعاهد مع الملك بارسال السفينة مشحونة بالملح في كل عام وخرج بهرام يفوق ما أمله من الارباح وعزم على اليمن حتى دخلها وأقام بها أياما يبيع ويشتري ويتصدق على المساكين حتى فشاذ كره وصارت تقصده الفقراء فكان ذات ليلة في الفضاء يشم النسيم فقصده فقير من فقراء البلدة وهو متكئ على عكاز فناوله نصيبا من الصدقة وقال أين دارك أبعيدة أم قريبة عن داري أريد ان تتردد علينا للمسامرة فقال ليس لي دار لاني غريب وأنا من مصر فان رأيت علاوتي على خدمك حتى أصل الى بلدي بصدقتك نخفق قلب بهرام وأمعن فيه النظر فاذا هو فرهاد فقال أخي أي شيء دهاك والى هذه الحال أداك فانا محسوبك بهرام فصار يبكي ويقبل يديه ويقول سيدي لما أنعمت علي بالدنانير أخذت مناعك ومتاعي وقصدي ان أتاجر لك وآتيك بالارباح وأنت في راحتك لا كافئ حسن معروفك فاشارت على النحوسة بان اشتري قندا واقصد به صنعا الاربحه فيها كثير فاشتريته وحملته حتى وصلناها فهدر السيل علينا ليلا ومازال يهدر حتى اذاب جميع السكر وكان الوسق عشرين بعيرا فذاب عن آخره وكنت لم أدر حرارة الادبار وطال ما أساتك بقولي نحوستك من عدم ادراكك وكسادك من شر حماقتك وذلك لغروري وتخيلي باني لم أذق حسرة النكول أبدا وقد قطعت اسهم الندامة وريد عزمي فاقبل بحق صداقتك عذري ثم لما طلع النهار طالبتني الاعراب باجرة

الدواب ايرجعوا الى قطنهم فاعطيتهم ما كان معي فلم يقم باجرتهم فاخذوا ملابسى وملابس الحرم ثم ضربونى ضربا موجعا وتركونى بالبادية عريانا فصرت أجوب الفيافى كالمعتوه وأتمثل بقول التيمورية حيث قالت

لاتفرح من سعد باتا * فالبدر سيكسف احيانا
والدهر كثيرا ماماتا * وابات النائم منتبها
لا المال لقيت ولا الجاه * ان لاقت فوزك عيناه
والحجة ماقال الله * تلك الايام نداولها

فلما صرت أسأل الناس فى القوت سمعت بذكر احسانك على أمثالى فقصدتك ولم أدر انك سيدى وصديقى ومرشدى المخلص الحقيقى قال بهرام أخى لم يكن لى شئ الاولك فيه حق حيث امددتنى بالقرض أولا وثانيا ولم أوفك به الى الآن فهون على نفسك ما لقيت ولا تقنط من رحمة الله وأنا أذكرك أيضا ماقالته التيمورية فى هذا المعنى

لاتجزع لخطوب طالت * لاتفزع لامور حالت
فاذا حالت واذا هالت * فبعزته ليست داوها
فاثبت طوعا واعزم صبرا * واسمع قولا يشفى الصدرا
انى معكم أسمع وأرى * فاذا عظمت فالله لها

ثم أخذه ودخل الى محله والبسه لباسا حسنا واعطاه مالا جزيلا واقمشة غنية وقال عزيزى استبضع بماشئت واشحن سفينة وسر على حدتك حتى تصل الى بلدك فشكر فضله وحمل الاقمشة والمال وخرج قاصدا بلده وأما بهرام فمكث ما مكث ثم عاد الى الشين لوجود منزله بها فلما دخله وبات تلك الليلة بالسفينة قام صباحا وتهيأ بالملابس وقال اقصد الملك واسر بمصاهرته وان لم يعرفنى وركب وتوجه الى القلعة فاذا بالحزن يسحب اذياله على بابها فارتجفت فرائصه وسأل عن الخبر فقيل له ان ابنة الملك معتوهة منذ أربعة شهور وقد أعيا الاطباء أوها ولو الدها الزوج أشرفا على الهلاك من الحزن فتذكر بهرام تلك الثمرة التى أعطاها له رب الحديقة فدخل بلا دستور واجرى العمل على حسب تعريفه ففاقت الصبية لوقتها وعقلت وحسن ادراكها فاخذ الولد والزوج يعانقانه و يقولان ياله من صنع بديع ثم التفت عقيل الى مولاه وقال تأمل يا عزيزى فى هذه الاسرار وميز عناية القادر الجبار كيف يسعف بلا تدبير وكد ولا يحتاج مع فضله لسفر وجد وتذكر سعيه فى سالف الايام مذ كان مقرونا بالادبار فى كل مرام فلما سقى غيث الارادة أغصان سعوده وتقطر ندا العناية على زهرات مقصوده فاح بنفحات الكرم زهرها النامى ومحى دابر الادبار بحسن توفيقه السامى قال ممدوح جل وعلا مقدار الخبير والشر المحيط للبحر والبر وقد شاهدت سناء سره المكنون وخفى لطفه المصون فيما حل بنفسى ورأيته رأى العين حقا وصدقا بالامين ولست

الآن

الآن ممن يجزع من الشدائد بعد ان صار حديثي من حقه الرقم فى الجرائد ولا انس عواطف نصحك التى داوانى عقارها وهدتنى فى ظلمة الجهل أقمارها لكنى لما رأيت هذه الامتعة تعلقت روحى العليله لرؤية تلك الخليله فان منحتنى بالسماح باحياء الارواح أرجولك فى العزيمة الى ايران لاعلم من خبرها ماشان ومازان قال عقيل علام الغرض على بانو رالبصر والعبد طوع ارادتك فى الاقامة والسفر انما أرى المسافة بعيده وأيام السفر عديده والوسق ثقيل الاحمال فاملى منك الامهال الى ان احتال فى نقود توصلنا الى تلك البقاع حيث ان المال حبس فى ذلك المتاع قال ممدوح آراؤك منيره وخيرتك هى الخيره قال عقيل نقصد الشاه عميلنا ونقترض منه مائة دينار ونرهن عنده شيأ يسيرا من القماش حتى نتداول فى البيع والشرا فالقليل بالصدق مع الاقبال يصير كثيرا فى مدة يسيره فقاما وتوجها الى بيت التاجر فقيل انه توجه الى خارج البلد لاداء نذره لانه كان آلى على نفسه ان باع ذلك المتاع دون خسارة ان يحيى ثلاث ليال بضريح ولى من أولياء الله فى تلك البقعة فقال عقيل مولاى نصير الى ذلك الضريح نتريض فى المسافة ونتبرك بالزيارة ونتحدث مع صاحبنا فى خلوته ثم قفلا الخزينتهما وركبا بعيرهما وعزما على التوجه فسارا يومهما حتى دخل الليل فتركا البعير معقولا وصعدا على شجرة شاهقة خوفا من اللصوص فاذا برجلين حضرا وجلسا تحت شجرتهما وبينهما بدرة يريدان أن يقسماها فتشاجرا فى القسمة وهما بالمضاربة فطعن أحدهما خصمه فشق بطنه وانهدلت امعاؤه فقبض المجروح على عنق الجارح بقوة فخنقه ووقعا على الارض ميتين وتخلصت البدرة لعقيل ومولاه فنزلا من الشجرة وواراهما بالتراب وأخذا البدرة فاذا فيها ألف دينار فحمدا الله شكرا ورجعا الى منزلهما وحملا أحمالهما وسافرا الى ايران فلما دخلاها وقابلتهما الاعاجم فسألهم ممدوح عن حال ملكهم وكيفية مقابلته للفقراء والغرباء قالوا كان سيدا كريما بشوشا حليما انما منذ حل به ما حل لازم العزلة ولم يقابل أحدا والوزراء تقوم بالحكم والسياسة قال ممدوح معاذ الله ما الذى حل به قالوا فرقة قرة عينه وخبيئة سره وجهره وهى ابنته التى كان خطبها العادل لولده وعقد املاكها عليه بواسطة وزيره مالك فلما حل بهم ما حل وسمعت بفقد العادل وضياع ممدوح بعد فقد أبيه دخلت على أبيها محلولة الشعور مختلة الشعور ووقعت على اقدامه قائلة

أقول عزيزى والدموع هوامع * وقلبى كما ترضى لامرك طائع

مولاى وتاج فرقى ومالك زمام رقى قد لوث الدهر مرآة طالعى بعد الجلا ورمى بجيب الاحزان طالعى بعد العلا وصب سراب الحسرة فى أكواب عيشى وملا وطلا بسواد الشأمة ناصية اقبالى فلا حول ولا وأثبت بالعدوان شامتى واصابنى بالبهتان عين جنايتى والبسنى بالرغم ثوب ندامتى وطبع المقدور على جبينى ثم هوانى وذلنى فالتمس

من رأفتك مسامحتي في العزلة عن الخلق حتى يظهر لي خير من ملك قلبي واستغرق واسترحم من رأفتك محو اسمي من رقاع الاتراب واثباته في رقيم كل عذراء توارت بالتراب فاذا اراد الله ضالتي رجعت لطيب حياتي والا لازال في عزلتي حتى يحين مماتي فبكى والدها بكاء شديدا وكره أن يكون لها عنيدا فسلم اليها أمرها وأقامت بعزلتها أياما فلما طال المكث تلظى فؤاده فعقد مجلسا وقال قد ثبت بطول المدة موت ممدوح ولا شك فيه فكيف العمل في هذا الحزن الطويل والعزلة مع البكاء والعويل قال الملأ من قومه مادامت في عزلتها لا ينمحي حزنها فاغلظ عليها بالخروج لانها مادامت في الخلوة لا تنفد حسرتها أبدا ولا يخمد لهيبها سرمدا بل يطفي شعيها ويعلو بين الضلوع لهيبها فتلحق به وتتضاعف حسرتك وتعظم بفراقهما ندامتك فالرأي ان تشغلها بالزواج فتنسى ذلك بهذا والا صارت بالحزن جذاذا فقام الملك وركب الى حجرتها ودخل عليها في عزلتها فرأى ذلك القدر كالخيال وقد أشرفت تلك المحاسن على الاضمحلال فتفتت كبده وهملت عبرته وضمها الى صدره وقد تقطعت حبال صبره ثم أجلسها على فخذه وقال يا حبيبة قلبي وموضع حبي قد سامحتك الى الآن ولم أسمع بان من ضل باب فان كان لك والد تدانيه وله عليك حق تراعيه فخلي عقد هذه الهموم وأحيي بامتثالك قلبا مات بطغيان الغموم فكم فرق الموت من أزواج وتسلى الخليل أليفه بالزواج بعدما أقاما في العيش سنوات واوجدا بنين وبنات فاحسني طاعتي واخشي غضبي وبلغيني بحق حقوق أبوتي عليك أربي ولا تردي أمري ولا تأبي ارادتي لراحة سري وقد علمت ما انتخبته لك من سن صغرك من أشرف الاقارب وهو ابن أخي الاحق بك من الاجانب فلما سمعت الصبية ذلك الانتخاب التهب صدرها وتسعر قلبها ولم تجد بدا من اظهار الطاعة حيث انه سألها بحقوق الابوة عدم رد أمره فقالت لا راد لامرك ولا عصيان لقولك غير اني التمس منك الرخصة في امهالي اسبوعين لا تريض بالخروج كل ليلة الى خارج البيت وانتشق النسيم فلعله يعيد بهجتي ويقوي بنيتي فالقى الناس ببعض من القابلية التي كنت عليها لانهم اذا رأوا حالتي هذه عزوني على ما حل بي فيزداد كربي ثم لك الامر فاقض ما أنت قاض ففرح والدها فرحا شديدا وقبل عينيها وركب الى قصره فلما مضت المدة ساق اليها موكبا عظيما وزخرف لها هودجا مرصعا ومضى الجماعة به وأقام الوالد في الانتظار فرجع ذلك الهودج خاليا والموكب بالحزن باليا فارتجفت اعضاء الملك وأظلمت عيناه وصاح أين سيدة الركب فتقدم اليه الوزير مع الاسف الكثير وقال قدمنا فوجدنا خادمتها بشوشة في انتظارنا فقلت أعرضي على مولاتنا حضور الموكب وانتظار الوالد فدخلت وغابت برهة وعادت فزعة باكية وقالت بحثت كل البحث فلم أجدها ومنذ أمرها الملك بالتخلي عن العزلة وهي تتريض كل ليلة بالخروج الى البستان الذي بقربنا وتعود وتتركني احفظ الباب وتقول مرادي اب

يترعرع جسمي حتى يسربي والدي وتارة تخرج قبيل الصبح لاستنشاق الصبا وقد أمرتني بالامس ان أتم بأهذه الملابس وأخرجت هي ملابسا فاخرات وأحضرتها مع بعض من الجواهر فقد خلت الآن فلم أجد ملابس ولا جواهر ولا انسانا فصاح الملك واحبيتاه لحقت بممدوح كما يعلم الله فحيث كانت هذه النكبة مني ليس منها فانا أحق بالعزلة بدلا عنها حتى أراها أو أرى من القيها ثم التفت الى أرباب دولته وقال أسأتم الاشاره وأتلفتم الاداره فلا طاقة لي بعلاقاتكم ولا رأي لي في اداراتكم وقد عينت الوزير بالنيابة عني وعليكم التأمل في الادارة كما يرضى الله والنظر في أمر الرعية والسلوك بكل عدل وعنايه ثم دخل معزلا وتوارى فيه وهي تلك الحجرة التي كانت فيها ابنته وتحجب عن الناس فلا يظهر لاحد ولا ينظر لهزل ولا جد فنظر عقيل الى ممدوح فرآه كأنما بلى بعلة اليرقان فاسرع بالقيام وعدل عن تلك البقعة حتى لحق بوادغير مسكون وقد التهبت حشاشة ممدوح بالميل والحب وصار يتلظى من الوجد لما سمع ماقالته الصبية لوالدها وما حل بها أخيرا وصار عقيل يلهيه بنوادر تسليه وهو لا يلتفت لها ولا يتسلى بها وانقطع عن الطعام والشراب وعن سماع المسامرة والخطاب فتضاعف كرب عقيل وقلق قلقا شديدا ومع ذلك صار يحمد الله حيث كانت لوعة مولاه حبا ولم تكن كربا من الكروب التي مرت ولا يخفى السامع ان لوعة الحب مصحوبة بالتعزل والخلوات في الرياض وسماع الاوتار وتلاوة الاشعار على حسب قابلية العاشق فيجب على المصاحب ان يتفرس في حالته ويسامره من عين مرامه ان كان في فراق أو مطل أو بشرى بلقاء أو صد من المحبوب فصار عقيل يماشيه على حسب شغفه ما استطاع وقد علق ممدوح بالخلوة وتنحى عن المسامرة فشق ذلك على عقيل فتجاهل نفوره منه وقال أعرض على مولاي ما أضرم فؤادي من الحزن وهو اني أرى اعراض المولى عن مسامرتي وتنحيه عني وذلك لم يكن الا عن زلة بانت مني أو هفوة نقلت اليه عني قال ممدوح استغفر الله أن يكون ارشادك لي مقرونا بخذلان وحاشا أن يكون سميك مشوبا بخسران انما أردت راحتك وأحببت استراحتك فطالما اتعبت نفسك بالسهر والسمير قال عقيل وحق عزتك راحتي في ذلك التعب وقد هجر المولى حديث العبدين لما هجر عبده قبل ان تتكامل القصة عنده ولم يسمع بنكبة بهرام لما انتقل من شدة الكرب الى لذة الحب وتلقب بلقبه الجديد لانه كان بهرام المنحوس فصار العاشق المأنوس ولا يدري ان لوعة الحب المكظوم بشارة هناه وانه اللقب عين مناه قال ممدوح كيف ذلك قال عقيل نعم مادخل العشق الحقيقي قلبا الا واحياه وأخلاه عن كل ماسواه الا أثر الم المرض وحسرة فقد الولد فانهما يحوان مادون ذلك غير المتكونة منه والناشئة عنه فهو امارة الخلوص الشفاف وعلامة السعادة والعفاف قال ممدوح هذا ان كان متمتعا بمطلوبه مشاهدا لمرغوبه قال عقيل ان وجد المطلوب دون تعب فلماذا يوصف العاشق بطول النصب

فان لم يذق العاشق مرارة الفراق أنى يدرى حلاوة التلاق فما كابد عاشق فى اليأس
حسرة ولا اطفأ بالصبر جمرة الا ومحت زفيره راحات الامانى وانجلى صدره ببشائر
القرب والتدانى فاستروحت روح ممدوح وقال على بحديثه قال عقيل كما تركداه بين
الزوج والصبية ووالدها فلما عقلت وفاقت اشتهرت فضائل الشيخ وكراماته وأحسن
الوالد والزوج جوائزه وانساقت البشائر الى والدها فقدم وأهداه عطايا جزيلا ورتب له
كل عام ألف دينار وملك الشين أيضا مثلهما فمكث معهما أياما ثم قصد الرجوع الى
أوطانه فسلمه الملك رقاع ضياع أهداها اليه وخرجت الملوك تودعه حتى أقسم عليهم
وأعادهم فبينما هما فى التماس الدعاء من الشيخ اذ وقف الموكب فاذا هم بجماعة من
الفلاحين يأتون بلص مكتوف وهم يقولون تم سرورنا ببركة الشيخ قد وجدنا اللص الخائن
بعد ان هلكنا بحثا عليه طول العام فقال الملك خيبة الله عليه أقاطما أم غريبا قالوا غريب
وقدموه الى الملك وبهرام بين الملكين فاذا به فرهاد فانقبض قلب بهرام وقال أيها الملك
السعيد هبه الى ولا تكن على حذر منه لانى على سفر وآخذه معى قال هو لك حيث
لم تمكنى مخالفتك فأمر بهرام بحل وثاقه وأخذه ونزل به الى السفينة وقال أخى
لا أقول لك ما الذى حل بك وعلمى بنحوستك يكفينى انما فرج عن نفسك بالحديث
وهوّن صدمة ادبارك الخبيث فانه عن قليل يمحى باذن الله وما ذلك بعزيز على الله
وكفالتك بى عبرة لدفع غمك وازالة همك قال فرهاد لا عدمتك شفوقا ولا اصاب
الايام لك حقوقا اعلم سيدى انك لما منت على بالاحسان توجهت شاكرا لفضلك ومادحا
لسعيك وخلت ان الايام تساعدنى كما كان دهرى يعاودنى ولم أدر أنه بجد وغرنى
ثم عند ومازلت سائرا بسفينتى حتى مررت على روضة كنت أعهدها قبل الخسران
وطالما تريضت فيها قبل مع الاخوان فخرجت من السفينة وعزمت على الاقامة فيها
يومى ولياتى للتنزه وكانت بعيدة عن البحر مسافة قليلة فدخلتها ووجدت فيها بعض
الاصحاب فبادرنا بالطعام والشراب ودارت بيننا الاكواب وطاب الحظ وصفا فقمت
أتمشى بين الاشجار فغلبنى العقار وطرحنى على الثرى ومازلت مطروحا وأنا لا أعقل
حتى انتصف الليل ورجعت العصبة الى منازلهم وظنوا انى توجهت قبلهم فلما انفك
عقالى من قيد السكر تلفت يمينا وشمالا فلم أر أحدا فقمت أتخبط فى السير حتى وصلت
سفينتى قبل الفجر فاذا أنا بالملاحين مقتولين مطروحين على الساحل ولم أجد بها أحدا
فدخلتها فلم أجد بها شيئا من المتاع فعلمت ان اللصوص قتلتهم وأخذوا الاموال وقتلوا
الزوجات أيضا ولم ينج منهم الا المنحوسة لانها بادرت بالهرب الى الساحل واختفت بين
الاحجار فدهمتنى المصيبة وطاش عقلى فلحقتنى المنحوسة وقالت عليك بالسرعة وراءهم
فلعلك تلتقى بهم فتصيح على الخفراء فيقبضوا عليهم ويردوا اليك مالك واسلك من هذا
الطريق لانهم ساروا من هنا فقصدت الطريق على حسب تعريفها وصرت أجرى

فوقعت في جب غائر كالبئر وكان فمه مستورا بالتراب فوقعت فيه وأغمي على برهة ثم انتبهت على ضجيج من خارجه فسمعت أصوات رجال فاستغثت بهم فاذا بهم يلعنوني ويسبوني بقولهم لا أنقذك الله أيها الحائن قد أحرمتنا من أرباح حرثنا في هذا العام فطالما تمثلت بالشيطان حتى وقعت في جب الطغيان وكم سرقت محصولنا ونهبت أرزاقنا ثم أخرجوني وشدوا وثاقي وساروا بي الى ديوان الحكم فتلاقينا بموكبك السعيد ورأيتني كما رأيت وكانوا أحدثوا ذلك الجب للص تعوّد على سرقة أرزاقهم فاوقعني فيه قدري ولم يق عثرتي حذري فلولم يكن ذلك اليوم مقرونا بفضلك بالفلاح لقتلت بظلم الفلاح قال بهرام أخي قدمضى ما مضى وليس لك الا الصبر والرضا فطالما سعيت أناني الزمان السالف وتعلم أنت بشرحي الطويل وطالما اجتهدت في كل مهمة وخاب في النتيجة أملي الجميل فاجعلني مرآة لنظرك ونظارة لبصرك وكف نفسك عن الكد والتعب والسعي والنصب حتى ينفك عنك عقد الادبار بارادة مكوّر الليل على النهار فها أنا عازم على مصر فان رأيت ان تكون معي حتى نصل اليها ونجعل ان البضاعة بضاعتك وتدجعلتني قيما عليها وتظهر أنت للناس الزهد والتجرد والخلوص والتعبد والحمد لله بيتك مشحون بالخير والخيرة والامتعة الكثيرة فتعتزل عن قيل وقال حتى يمحي نحوستك المتعال فان رضيت باشارتي فلك الخيار والا فخذ من عندي ماتحب وتختار واعلم انه مع النحوسة عديم الا وعذاب الخيبة أليم قال فرهاد الامر لله والخير فيما اختاره الله قد سمعت نصحك ورضيت بقولك فاكترى بهرام له سفينة صغيرة ووضع فيها من الزاد مايوصله وقال عجل أنت قبلي الى البلد وانشر ما اتفقنا عليه وعرفهم ان البضاعة ستحضر مع قيمها ثم ودّعه ورجع الى سفينته فاذا بقافلة تسير على الساحل فامسك بهرام عن السير حتى تمر القافلة فمر عليه الهودج الذي هو معه سيد الركب وهو من العاج مصفح بالذهب فصار يتأمل في حسن صنعه وقد رفعت ستوره أيدي النسيم فكأنما أزالت سحابا غشي سنا بدر افوقع نظر بهرام عليها وناهيك لمع الجباه تحت الطرر ورشق سهام مقل اكتحلت بالحور فيالها نظرة فتتت أكبادا وطعنت بتلك السهام فؤادا ولم يشفق ذلك الوامق من هجوعه الا وجذوة الحب تشتعل بين ضلوعه فرام ان يعيد نظره ويمتع بذلك الحسن بصره فمر الهودج قبل ارتداد الطرف اليه وصب الحرمان لهيب اللهف عليه فغاب بهرام عن وجوده ولم يدر أعلى الماء هو أم على التراب أم حمله الهوى على قطع السحاب وصار يذري المدامع يمينا وشمالا ونطق بالقريض ارتجالا فقال

يا ناظري لما أرسلتما سحرا * بالرغم عني الى الانسان انسانا
أوقعتما في لظى قلبي فأحرقه * وكان قبل الهوى العذري ريانا
قيدتماه ولم تعلم جنايته * بحبل أشجانه ظلما وعدوانا

أربتماه بظلم عند قولكما * هذا الغرام فعش بالعشق ولهانا
فيا لها لحظة أضنت جوانحه * وليت تكرارها قد نال امكانا

فلما قضى من الشعر أمله رجع لسكونه واستغفر ربه ودخل السفينة قائلا كيف أهجع في السفينة بقلب كله الغرام وحكم عليه باللوعة الهيام فارأى ان تسير السفينة كما هي في البحر وأحتال في استحضار دواب وأسير أنا على البر فلعلى ألحق بتلك القافلة التي مرت كلمح البصر وجعلتني وديعة بين الارق والسهر فوقع في الافكار كيف يعرض حاله على الجماعة ولاي داع يترك السفينة ويسير على البر بقافلته فصار يتقلب في فراش الحيرة والحب ولا يرى لجراحه مرهما في الطب فلحظته السعادة وقالت وقاك الله شر الدهشة وكفاك بأس الوحشة مالي أراك مشغول البال والخاطر أتخفي عني ماجاش بالصدر وتصون سرا قد ضعف عن حمله الفؤاد ونطق بسره الغم والسهاد قال مولاتي أريد ان أسافر برالخفة المسير لأحظى بالوطن في وقت يسير قالت وما أدى الى ذلك فلم يجد بدا من اظهار أمره اليها فقص الخبر عليها مع بسط أكف الاعتذار فضحكت وقالت لا تعدل أيها السعيد عن الطريق واعلم بان الامل تحت جناح التوفيق فامتثل بهرام لامرها وعدل عن مانواه وصار يسامر الصبر على وجه المياه وكانت أشواقه تشاكل الامواج فتارة تعلو وتارة تسفل وطيف الصبيه يغازله بين النوم واليقظة ويغدو ويروح ذلك القوام في كل لحظه وهو يرى ان الوصال محال وبينه وبين ذلك أهوال وكان ممدوح يلقي في هذا الحديث راحه فصار يبسط لتلقي دروه الكف والراحة ويقتطف منه أثمار التبصر في القول والعمل ويترقب للعواقب ليجني اطابة الامل وعقيل يعقل ذلك من وجهه فيتحفه بما يقوي العشم في حديثه لان أول ما على النديم من الواجبات ان تكون مسامرته موافقة لما كنه الضمير ومطابقة لما حازه الخاطر والخطير والا ثقل على المنادم كل ما رواه وأمل الطبيعة عما أبداه ولو كان حديثه مشوبا بفصاحة حسان وصحيحا كنبا هدهد سليمان فمازال ممدوح يتمتع براحة حديث عقيل ويروح قلبه بسماع حديث تلك الاشواق ويسكن لوعته بحكاية ذلك المشتاق وعقيل يعلم ذلك فيزيد في بسطه للمقال ويوسع في فضائل الصبر في كل حال ويقول مازال بهرام يكابد من الشوق ما يكابد ولم ينحرف يوما عن امتثال أمر الصبر ولا يعاند حتى وصلوا الى وطنهم المعتاد وحيت السلامة سعادته وأحسن الاقبال رجعته وأقبلت الاخوان عليه من كل جانب وهنؤه بمنة الرحمن وغنيمة العود الى الاوطان فبادرهم بهرام بحديث صاحبه المبدد وبسط ماله من الورع والزهد وعدد وذكر انه قد جعله فيما على ماله بالنيابة عنه في الاخذ والعطا وستر ما كان بامتن غطا فقالوا سبحان من أمده بهذه المنة السنيه والمرتبة العليه فحمد مقلب القلوب وعلام الغيوب كما والله تحمل من الاسف

ما أثقلنا على نكبته التي حلت بداره في غيبته قال بهرام معاذ الله وما هذه النكبة قالوا التهبت داره ذات ليلة فاحترقت من الرأس الى الاساس ولا يخفى انه قد نقل كل متاعه فيها قبل سفره فاحترق جميعه حتى صار ترابا لكل مداس فلو كان على خلقه القديم لمات أسفا وهلك حرصا ولهفا قال بهرام وأين اقامة عياله الآن قالوا بخان الصدقة ينتظرون ايابه وكل منا يعدهم بما استطاع فاغتم بهرام غما شديدا وبات تلك الليلة متفكرا في أمره ولم يدر ما الذي عاقه فلما كانت القابلة سار بهرام الى البحر يبحث عليه فاذا به قدم في أحد السفاين وعليه قميص خلق فقال قد غرقنا ونجوت أنا بنحوستي قال بهرام عجل بنا الى الخان وكن أنت معي متنكرا حتى نلحق بالمنزل فبعث بها الى أحد الخانات وأخذه وصار حتى أدخله وألبسه وخرج هو واشترى له منزلا يوافقه فدخلت عليه الناس وأخبرته بما صار فقدم بهرام فوجده قد انفطر من النحيب وقد عرق ثوبه من الصبيب فقال كم أقول لك لا تجزع فان المال عندي موجود فخذ ما تشاء واتجر كما تشتهي قال فرهاد لا وحق الحكم الذي بهذا حكم لم أخرج عما قلته لهم بل أكون في حجرة سفليه مادمت حيا ولم أقل لسعي وجهد ما عشت هيا وأعيش بعد قتلك مادامت النحوسة قرني وأستغفر الله على ما كان مني وأحمد الله الذي محا ما بقلبي من الطغيان وأزال بلطفه عنه كل جحود وعصيان فصرت استقل في العقاب نكبتي وقد رفعت أكف الضراعة بتوبتي من سوء فعلي وشرازني وتلويث ضميري بخيانتي لاني منذ عقلت وأنا متسربل بالغرور متقلد بسيف المكائد والشرور فأنا المقر بما جنيت المصر على طلب التوبة وهي حل ما تمنيت فلا تقسني بك سيدي في عود الاقبال لاني لم اقتد بك أبدا في صالح الاعمال وقد شاهدت شفقة ضميرك في الشدة والرخا وشهدت لك بكل صدق في الخلوص والاخا * وتذكرت ما قالته التيمورية في هذا المعنى من طهرت من الغش سريرته تطهرت في الالسن سيرته (ولها) اذا جرت عليك المقادير فخيام الصبر خير لك من قلاع التدبير (ولها) ليس بعد الصبر طبيب ولا مثل حسن الخلق حبيب وفي هذا المعنى أيضا

اذا لم ترض ادبارا * ولم تصبر ولم تخشع
فهالك السيف والترس * محارب دهرك الابقع

فاعلم سيدي ان مدار عيشي جعله الله عليك والاجر في التصدق علي راجع على الدوام اليك فدعني أعيش باحسانك وليس لي دون ذلك حفظ الله متاعك ومالك فخرج بهرام يذرف الدمع على انكساره ورتب له ما يكفيه ولعياله وهذا مصير كل متكبر مغرور وعاقبة من ضل سعيه وأمن لمتاع الغرور فصار بهرام يبحث على منزل كبير لكثرة خدمه وماله فمكث في السفينة اسبوعا والاحباب يجدون في البحث حتى وجد بيتا كان لاحد الوزراء واسع الرحاب وبه بستان عظيم فاشتراه ونقل اليه متاعه وأعجب

بنضارة منظره ورتب مقاصير الحرم وهما الصداقة والسعادة وكان ذلك البستان كثير
الاشجار وبه حديقة رائقة وروضة فائقة فصار يجول فيها ويتأمل فى نواحيها
والغرام يسوقه الى الطواف فادرك محلا فى جانب الحديقه وبجواره قصر مشرف
عليها وله روشن بديع الصنع فصار يتأمل فيه وهو مفتوح للتروح فجاءت ربة القصر
للتفرج على الحديقة فلما رآها بهرام فاذا بها امنيته قد أشرفت من شباك البستان والتقى
الانسان بالانسان فخال بهرام ان روحه أردفت بروح أخرى وصار يتبع النظر بذلك
الحسن ويتحرى فاسرعت الصبية الرجعة وأرخت الستور فكاد قلب العاشق أن
يطير الى الروشن من الوجد والخفقان فأدركه الصبر وساقه الى قصره فمكث فى الاطراق
مليا ثم تفكر فى كيفية الاستدلال فقال اخرج الى باب ذلك القصر واسأل عن صاحبه
فلعلى أفوز بمرامى وقام يسعى فرأته السعادة فقالت له لا تعجل وتأن قليلا فلم يجد بدا من
الامتثال والصبر يقول له عزيزى اذا دست بساط الهنا فلا تطمع بجلب كل منا فاذا
أسرعت السير زلفت واذا قنعت شاكرا ربحت فما أتم اسبوعا بعد ذلك الامتثال الا
وأضافه جاره ونعم الجار وقال سيدى أنا جارك صاحب هذه الدار المطلة على بستانك
وقد سررت بجوارك لما سمعت بحسن سيرتك ولى كريمة حليمه عفيفة سليمه وقد
قدمت بها من مدينة التوكل عازما على زواجها بصهر صالح يحسن عنصر نتاجها فلم
أسمع بأطيب من ثناء سيرتك ولم أر معادلا لطيب سريرتك فان رأيت قبولها فهى نعم
الزوجه فى كل مجال الموافقة فى كل حال فغاب بهرام فى لجة الاستغراب عن الجواب
لشدة تعجبه من وجدان هذا المنا من دون كد وعنا ثم أدرك نفسه بالفطنة وقال
فديتك من سيد أدى لعبده مناه قبل ان يعرض عليه التماسه ورجاه فمتعنى بشرف
معرفة اسماء تقلدت بها الاشراف قال الجار يا حبيبى هى القناعة وأنا العفاف وأخذا
الراحة بالراحة وعقدا عقد القناعه ونثر الفوز درر السرور على الجماعه وعاش بهرام
متمتعا بتلك النجوم النيرات والدرارى اللامعات فى أطيب عيش بين أصحابه
وأحبابه وأشهى حياة بين اخوانه وأترابه وقطع دابر الشدائد بالسعود وتلاشت
تلك النوائب ببلوغ المقصود ونسى ما قد سلف حتى كأنه ما رآه ولازم عصبة الابرار
ماشاء الله متع الله بحسن العواقب أمة الحبيب وجعل استاذ الصبر لكل مؤمن
طبيب قال فانكشفت غمة ممدوح وطابت جراحه براهم هذه العبر ودب قلبه نسيم
الامل وطابت أوقاته وخمدت زفراته وقد انتهت حدود أقطار الاعجام على أحاديث
بهرام وقدما على فضاء واسع الرحاب قد اشتمل على طرق شتى وبه تجمع الظاعنون
ويمكثون حتى يستريحوا ثم يتوجه كل فوج الى طريق قصده فدخل عقيل بسيده
ومكثا بينهم وكان بازائهم جبل شاهق والناس تصعد عليه أفواجا ثم يعودون ويصعد
غيرهم فسأل عقيل عصبته التى هو بينهم ما بالهم يصعدون وينحدرون

الفصل الرابع

قالوا وجدت هنالك نظارة بذروة الجبل بها تصاوير وعلى دائرتها سطور بحروف لا تقرى ولا تعلم أحروف هى أم نقوش فقال ممدوح قم نصوحى نتفرج عليها قال عقيل حتى تنفد المتفرجون فلعله خير فلما تخلى الجبل عن صعود الناس قاما وصعدا عليه بكل صعوبة وعنا فاذا بها نظارة من حديد وبوسطها زجاجة النظر فتقدم ممدوح ونظر فيها ثم تلا تلك الحروف فاذا هى ألا يا أيها الصاحب * لهذا الشكل والتصوير

أغث أرض العراق تجد * بها ما بته التدبير

فلما تلا ممدوح هذا الشعر تأمل فى التصوير الكائن فى جوف النظارة فاذا به هو بعينه ووجد نفسه فى داخل النظارة فارتجف فضمه عقيل فقال دعنى أيها النديم وتأمل فى النظارة فتقدم عقيل فرأى مولاه فى جوفها قال سيدى أما التصوير فهو أنت وأما النقوش فلا أدرى ماهى قال ممدوح هذه الاحرف التى تراها هى من اختراع الوزير مالك لوالدى وكان يكاتبه بها فى المهمات السرية اذا كان بعيدا عنه وكان قد علمنى اياها وحذرنى عن افشاها وقال ان مدار أسرار صون حكومة أبيك منوطا بهذه الاحرف فادخرها فى خزينة قلبك ولا تخاطب بها الا والدك وولدك فقال عقيل فديتك أغثنى بالمعانى فقصها عليه فتهلل عقيل وقال مولاى انى لاجد ريح مالك فعجل سيدى بالعزيمة الى العراق وصار ممدوح يقول ليت شعرى أأعيش حتى أرى هذا التدبير وشوق الصبية يلتهب بأحشائه وقد زادت اللوعة لوعة أخرى وهو شغفه برؤية الوزير واطلاعه على صدق التدبير فعاد الى انقطاعه من الزاد فضعف جسمه وصار يقول لا تجشم أيها النديم بتحملى هذه الشدة وحقق فقدى فى هذه المدة لان المسافة بعيدة والافكار بالشغف شديدة قال عقيل مولاى لا تكن عجولا واسمع منى ما أقول ان طول العمر ليس منوطا بكثرة الراحة ولا باستقامة الصحة فطالما انقطع الامل من المصاب وطاب وأبهج بالعافية الآل والاصحاب وطالما أمل المرء بعزم قوته نيل الامانى فخاب وفجع بفجأة فقده من حضر ومن غاب وكم أبدع الرب حكما يعجز عن تعريفها اللسان وكم أبدى عبرا لم يحل سرها فى الجنان وأأكد قولى لك وان كنت أعلم بالصواب منى وأدرى بالحقيقة عنى انه كان فى عهد لقمان رجل حراث وله ابنة قد رباها يتيمة ولم يكن له من زينة الدنيا سواها فصار يخدمها بكل حنانة ويجتهد فى كسوتها وطعامها ما استطاع حتى أخذت فى النمو فقامت بحوائج بيته واستعدت لخدمته فى كل ما يحتاج اليه وكانت هى ربة داره وخبيئة أسراره فلما حلت بمناطق الشباب وصارت تعد من الكتاب اعترتها علة كثيفة مهلكة عنيفة فطرحتها على الوساد فهدم الحزن قوة والدها وصار يحملها ويدور فى البلدان على الاطباء حتى وصف له لقمان فحملها وصار اليه وطرحها بين

يديه وأكب على قدميه فصار الطبيب يجس في أعضائها ويكشف على داء حشاشتها حتى شخص العلة وعلم انها قاتلة لامحالة فدق الكفوف يأسا حيث لم يجد من المراهم ولا الجرع ما يؤدي الى الشفا ففاضت عبراته وعلت زفراته وقال او الدهاان عذر اليأس أقبح قول مني اليك فوالله لو كانت تفدى لفديتها فعوضك الله خيرا وألهمك سكوتا وصبرا فانفطر قلب الحراث وذاب كبده من الحزن واليأس فحملها ورجع بها الى بقعته وصار يتقلب في جمر حسرته وكان حرثه بجوار حديقة الوزير فكان يحملها الى تلك الحديقة ويستحسن لها الجلوس بين الرياض ويطرحها تحت ظل الاشجار ويخدم حرثه ويمر عليها مرة أو مرتين حتى اذا حان وقت الرواح يأتي ويحملها الى حجرته وكانت ابنة الوزير تخرج للتريض فتراها على هذه الحال فتقول قاتل الله أباك وفقره الذى أداك الى هذه الحال حيث لم يقدر يغذيك بشهي الطعام ولم يمتع جسمك بلين الملابس ولم يسكنك بأعلى المقاصير فلا يزال يطعمك خبز الشعير ويلبسك أخشن اللباس ويرقدك بأسفل المقاعد فوق الحصير حتى أورثك السقام في عنفوان الشباب وصيرك ملقاة على الارض تدعين بالثبور رفليته سلمك الى فاحسنت مواساتك في الطعام والثياب وأنقذتك بتوجهي والتفاتي من قيد العذاب فيتضاعف كرب ابنة الحراث من هذا التعنيف وتزداد ضربات قلبها من هذا القول العنيف فصارت تلتمس من أبيها انه لا يدخلها تلك الحديقة ورضيت بانفرادها في حجرتها حتى يتم عمل حرثه ويعود اليها ومكثت أياما فزادت آلامها لعدم الترويح وذاب قلب الحراث حنانة عليها فصار يحملها ويخرج الى الصحراء ويرقدها تحت ظل شجرة كبيرة للترويح بالنسيم ثم يعود عند الغروب فيحملها الى المخدع فاشتدت عليها حرارة المرض ذات يوم فعدلت عن النوم على جنبها واحتالت حتى استلقت على ظهرها وكشفت صدرها وقد أضربها التعب حيث لا قدرة لها على الحركة فأحست بقطرات باردة تقطر على صدرها من ندى الشجرة فصارت تدلك بها صدرها ثم تحولت شيأ فشيأ حتى قابلت ذلك التقطير بفمها لشدة عطشها وصارت تتلذذ به لانه كان باردا فشعرت بسكون الضربات فنامت برهة ثم انتبهت وبها غثيان شديد وصارت تقذف ما في جوفها من الطرفين حتى لم يبق به سوى الامعاء فغابت عن شعورها فلم تدرك بحاسة من حواسها فجاء والدها عند الغروب ووجدها في هذه الحالة لا حراك بها فلم يشك انها ماتت فكره ان يحملها بهذا التلويث الكريه فبحث على ماء فوجد ماء يهدر من خلف صخرة كبيرة وهو حار فجاء وحملها اليه وجردها وطرحها تحت مصبه وغسلها غسلا جيدا ولفها في ردائه وحملها الى البيت وألبسها ثوبا نظيفا وصار يحثو التراب على رأسه لفقدها حتى لمع الفجر فتحركت الصبية وفتحت عينيها فرأته بهذه الحالة فقالت مالي أراك معفرا بالتراب وصارت ميلك كالاكراب من الدماء فمال من ثقل النوم فقالت أبو جدعند تاشئ للقوت قال لم يكن لدي سوى قليل خرنوب أخضر وجدته بالامس على

شجرة وقليل من ماء الشعير قالت نعم الغـذاء فأتاها بـهما فأكلت من ذلك الخرنوب ثم
شربت من الماء حتى اكتفت ونامت نومة عظيمة حتى غربت الشمس وجاء أبوها وقدم
لها باقي الخرنوب وماء الشعير فقالت ساعدني في الجلوس فأجلسها وتهلل بالفرح لانه لم
تجلس منذ شهور فاستوت وأكلت ذلك الزاد وأحست بخفة جسمها فصار أبوها يحملها
الى ظل تلك الشجرة ولكنها لم تجد بها ذلك التقطير فما أتمت اسبوعا الا وهي تمشي على
اقدامها وأخذ شفاؤها في النمو يوما فيوما الى ان صارت أحسن مما كانت فكانت ذات
يوم ذاهبة الى حرثها مع أبيها فصادف الطريق من تحت قصر الوزير فاذا بجارية تنادي
من الطاقة ادخلي يا حراثة انا أيام نبحث عليك ولم نجدها فدخلت الابنة ومكث
الوالد ينتظرها بالباب فأخذتها الجارية وصعدت بها الى القصر وأدخلتها على ابنة الوزير
فاذا بها تتلوى على قطعة حصير وقد نحت عن السرير والفراش الحرير وتجردت عن
الخز والكشمير من حرارة تلك العلة التي قد كانت بابنة الحراث فنادتها بصوت منخفض
عزيزتي بالذي شفاك ان تصفي لي ذلك الدواء الذي كان سبب الشفاء لان اعتراضي عليك
صيرني لي ما ترى فتأسفت الحراثة وقالت شفاني الله على قطرات شجرة بالفضاء الغربي
فلتبعث السيدة مع أبي من يجد في البحث ويأتي بذلك التقطير فصاحت الجواري على
الخصيان وخرجوا الى الحراث بأواني الذهب والفضة حتى وصلوا الى تلك الشجرة وصعد
الحراث عليها للبحث فأخبرهم الحراث بذلك وصعدت الخصيان وحققت ما قاله ورجعوا
خائبين ومكثت ابنة الوزير أياما ثم ماتت بما هي فيه من الاصابة ولم تفدها سطوة
والدها وكثرة سعادتها فسبحان من لا يعجزه شيء في كل حال وهو الكبير المتعال فرأى
ثعبانا عظيما قد انحصر بين أفنانها وما فعلم الحراث انه أراد ان يمر بقوة فانحصر بين
غصنين ولم يتمكن من المرور ولا من الرجوع فمات منحصرا وكانت تلك القطرات هي
لعابه وهي تقطر من فمه وهو في سكرات الموت مما يكابده من الاختناق فصار ذلك السم
بقدرة القادر ترياقا للعلة الصبية لان القادر اذا أراد قضى المراد فانشرح صدر ممدوح
وغابت أفكاره المؤدية الى الفتور وترك اليأس والتعبث بالامل حتى دخل العراق
ومكث بها أياما يدور بين الازقة والحانات ولم يسمع بذكر شيء يستدل به على مرامه ولم ير
اشارة ترشده على وجود مالك فراجعه القلق وضاق صدر عقيل لما رأى مولاه وقد
أضر به الانتظار والجوى ولوعة الوجد والهوى فقال يوما لعقيل ان لم يغثني الله بغيتي
شربت كأس منيتي لاني كنت هائما بدخول العراق كأني سألقى بها المرضى ما لقيته
الصبية من الدرياق وقد ضاق علي الحال ويئست من الحياة وعلمت ان مالكا لم يكن
موجودا وسولت لي نفسي انه بت التدبير لحقه ادباري فبادره بالفقد قبل ان ألقاه
فلمتني ألحق به قال عقيل مولاي اذا اشتد الكرب هان ولك البشارة في هذا الاسبوع
لاني رأيت رؤيا تدل على السعادة ولكن لا أفسرها حتى تتفسر بنفسها وصار عقيل

يقتحم محافل الرجال و يقول قد أعيانى ضعف ولدى ولم أجد له عرافا فقالوا عليك بذى اللوح قال ومن هو قالوا راهب فى صومعة وهو منجم حاذق فجاء الى سيده وقال سمعت بذكر منجم وأملى ان تزوره فيأخذ لنا طالعا فقال ممدوح أمثالك من يرتكن الى قول النصارى ماهو الادجال جعل هذه الحرفة فخ الصيد النقود قال عقيل نتسلى بقوله برهة وماذا علينا لو دفعنا اليه درهمين وضحكا عليه ساعة بهما قال ممدوح قم بنا اليه فقاما وصارا يسألان على حجرته حتى استدلا عليها وكانت عادة عقيل اذا دخل بندرا يعصب عينى ممدوح بعصابة يسدلها من أعلى جبينه حتى تتوارى عيناه و ينظر من تحتها حذرا من ان يعرفه أحد و يخبر به الاخصام فيلحقوه بمكرهم فسار الاسائرين حتى دخلا على الراهب وقد وضع صليبا كبيرا على باب صومعته فتبسم ممدوح وقال بالها من اشارة قامت بكل بشارة قال عقيل نعم وحقك انى لم أسمع هذا القول منك أبدا فسبحان الناطق على كل لسان وان كنت هازئا بقولك ثم تقدمت جنود الراهب بالصلبان على صدورهم فسألهم عقيل عن كيفية استخراجه قالوا يقرع على اسم الطالب حتى يخرج بيد صاحبه فيتلوله كتاب القرعة وكانوا نحو عشرة رجال غلاظ شداد فدخل عقيل وتلاه مولاه فاذا الراهب جالس على حصير وكتابه بيمينه تجاه وجلسا أمامه فناولهما مخلاة فيها ماينوف عن ألف اسم من أسماء الرجال والنساء وقال اعرف اسمك يا ولدى فصار الراهب يجر الاوراق من مخلاة أخرى فيها أسماء الكواكب والافلاك وممدوح يسحب من مخلاه الاسماء وكان يطيل النظر فى اللوح الذى بصدر الراهب وعقيل يستغرب ذلك منه حتى نفذت الاسماء باسرها فقال الراهب ألم تجد اسمك فى هذه الاسماء قال ممدوح لا والذى فرق الاديان لم يكن هنا انما أراه فوق اللوح الذى بصدرك قال الراهب وما الذى رأيته فى اللوح قال أنا ممدوح قال الراهب وأنا عبدك مالك وضمه الى صدره و بهت عقيل برهة طويلة ثم كشف الوزير عنه عصابته وهو يقول

أبدر خلته أم وجه حبى * انفح المسك عطر ربع قلبى
أم الايام اهدتنى بروح * على روحى فعشت بدون طب
فراقك والذى أهد المحيا * لعينى قد ضنا قلبى ولبى
أعز الله ليلا فيه بدرى * تجلى نيرا من لطف ربى

عزيزى فديتك من مصون جعل الله منة لقائه على عبده أكبر احسان بعد ما تقلب ذلك العبد فى دثار الحسرة والهوان عزيزى وحق حقوق أبيك ما أهملت فى الخدمة يوما ولا تخليت عن ملاحظة التدبير ساعة من حين ما ذهبت بخطاب ذينك الخائنين ولا صدقت ان الدنيا مختم ببنان العادل انما الوقت لايسع الحديث وواجبات الشكر قد وجبت تأديتها على المملوك لان الليل قد انتصف وأحب راحتك فتفضل مصحوبا بالسلامة الى مأوى استراحتك وانى آتيك صباحا لاعرض قصتى على أعتابك فلعلى أفوز

بالالتفات وأعطى من نصيحتك لتدبيري بالعنايات قال ممدوح أيها الشفيق وعزة سروري بملاقاتك وحبوري بمناجاتك انى لم أطق ان أفارقك لانى كنت أرى هذا الوجه البشوش بازاء أبى فلما سمع الزمان بمرآته تخيل لى ان العادل امامى وأنا بين النيرين فلا تحرمني من رؤيتك بحق شفقتك قال الوزير وعزتك ان فراقك الآن عندى أشد من غمرة السكرات لكل مشربك بالذات انما لم يكن عندى قصر ولا فراش يليق لنومك فيه ولا استعداد طعام يسوغ لى ان آتيك به فقهقه عقيل وقال يصح لى ان أقول دهشت أيها الوزير فكم بات مولاك على الثرى وتغذى بخبز الشعير فدق الوزير كفيه وقال الامر منه واليه أظن ذلك قبل ان يلقاك وتلقاه قال عقيل وحقك قبل ذلك وبعده قال الوزير لا تسمعنى ذلك الحديث الا ومولانا بعون الله مستوى على تخت قلعة بغداد فانخشى ان تنفجر حشاشتى قبل ان أفوز بالمراد ثم قاموا الى البحر وتوضؤا وأدوا واجبات الشكر وقال تكرم أيها الملك السعيد فى السير الى مخدع وزيرك ومشوا حتى لحقوا بذيل الجبل ففتح باب مغار صغير له دهليز منحدر وعند انتهاء الدهليز وجد أرضا فسيحة محشورة بالهمات وبها ما ينوف عن مائة رجل فنادى الوزير بأعلى صوته البشر البشر يا رجال العادل قد قدم رب الخلافة عليكم فها سلطانكم ممدوح بيدى السلام عليكم فسجدت الرجال شكر الله وحيوا بالخلافة اياه وفرش كل منهم ثوبه وعباه حتى ارتفع الفراش عن الارض وقال الوزير اجلس يا نور العين مجلس الملك واصطفت الرجال أمامه على أقدامهم والوزير والنديم على مقاعد من الاحجار حتى طلع النهار فرام الوزير أن يطعم مولاه فلم يجد سوى الخبز والماء لانه منذ لاقى ذلك الخطاب عندما فارق مدينة العجم آلى على نفسه أن لا يذوق سواهما ولولا خوفه على انحطاط التدبيرات جوعا قال ممدوح شفيقى انى لم أطق ان أذوق شيأ لتغذيتى بثمرة لقائك ولو كنت على سماط أبى فمكث ممدوح والوزير فى أهنى محادثة ثلاثة أيام بلياليها فقال عقيل مولاى أنترك متاعنا بالخان وليس لنا من نعتمد عليه قال الوزير ان رأى المولى أن نذهب معا فى غد لارى الدنيا أهى كما كانت أعلمها أم تغيرت لانى منذ خرجت من ايران لم أحضر محفل ولا برزت الى سوق فيه رجال ولا زقاق ولا تساهرت فى غير التدبير مع الرفاق قال ممدوح نعم الرأى فنادى الوزير على رجاله وأمر أن يتشكل كل عشرة بزى واحد ويخرجوا من المغار عشرة عشرة وينتشروا فى المدينة وتشكل الوزير بهيئة مغربى وخرج مع السيد والنديم وأحكما قفل المغار ووضعت العشرة الاخيرة عليه صخرة فسدت بابه وصاروا الى الخان حتى دخلوا حجرتهم وجلسوا سويا فقال الوزير اسمع مولاى ما أقول مرادى أن أعلم حد ميل الرجال الينا وأختبر حالة العمال أهم مازالوا على شغف الى العادل أم مالت قلوبهم الى الاخصام فقام الوزير ولبس ملابسه الغريبة وصار الى عامل العراق فاستقبله وعظمه وسأله عن كيفيته فقال انى سياح فى حب الله أجوب البلاد وأعبد رب العباد

قال العامل أرشدني بنصحك قال الوزير أول الرشد اطاعتك للملك فهو ولي أمرك
فتغرغرت عينا العامل وقال كيف يطاع اذ آمر ولي الامر بالظلم قال من أين تعلم انه ظلم
وللملوك سياسة يحسبها الجاهل ظلما قال العامل لما عرفت من عدل العادل السابق
فقال الوزير لابد أن ابنه مقتبس من عدل أبيه لان الولد سر أبيه قال العامل وأين
ذلك الولد ليته باق قال الوزير أمات قال لا ولكن لا ندري أين هو أمات في غيبته أم لم
يزل حيا قال سأسعى بالجد في تلاوة كلامه القديم وآتيك بخبره ولكن هذا قولك وما قول
باقي الرجال فلعله أحسن اليهم وأساءك قال العامل اعلم ان صدور العباد قبور أسرار
العباد وحقك ما من أحد من رجال العادل الا وهو مفؤد بحسرته يتقلى من ظلم
الملكين في جرته قال الوزير لا تتفكر فأنا أجتهد في البحث على وجود ذلك الولد الطاهر
واعتقد انه حي باق فقرت عيناه وظهر سروره وقبل يديه في الحال وقام الوزير من عنده
مستبشرا مسرورا ورجع الى مولاه وأعلمه بالخبر وقال سيدي اعلم بشغفك على اقدام
نيل ملكك فهل لك في الاستراحة أسبوعا لا تحقق اطمئناني عليك ثم نباشر العزيمة على
بغداد لاتمام المراد فأجابه ممدوح على وفق رغبته فسامره عقيل في غيبة ممدوح وقال
اعلم سيدي انه منذ رأى متاع عرسه وسمع من الاعاجم كذا وكذا وقص عليه الامر مختصرا
وهو مشغوف بهما مشغول بالوقوف على حالها فأملي أن تمده بحديث ليتسلى به
قال الوزير نعم ما أشرت فلما كان الليل قال الوزير أريد أن أعرض على أعتاب مولاي
حديث وزيره ومناهج تدبيره قال ممدوح وأنا أشتهي أن أسمع ذلك في طيب هذه
الاوقات بكل شوق من النقير الى القطمير ومن الصغير والكبير والجليل والحقير
فتقدم الوزير واستفتح بالصلاة على الحبيب وقال اعلم سيدي أيدك الله بنصره ان أول
تدبير سياستي لولي نعمتي والدك كانت تلك الحروف التي علمتك بها ثم افتتاح مخزن أرضي
بأرض خزينته التي بداخل قصر نومه وهو ممتد الى الكوفة لادخار ما بقي بعد مصاريف
الحكومة ومنتخبات غنائم الغزوات مع ذخائر الاجداد من أنواع الجوهر والدرر
بشرط انه لم يطلع أحد على هذا الامر الا أنا وهو وعالم الاسرار وأما الخزينة التي كانت
تحت حيازة دشمام فليس بها الا الاموال التي لا تستغني عنها المملكة وما بها من الامتعة
كالموجود في أكف الناس وكافة الامراء والوكلاء لا تعلم الا بها كذلك خزينة السلاح
التي بيد غدور والاسلحة التي هي عديمة الوجود كانت في الخزينة السرية وفي علمك
السامي طبيب الملك خبير وهو أصدق عبد في الصدق والامانة وأما ما كنت تراه من
ميله الى ذينك الخائنين فهو بتعليمي له لانه كان جاسوسا مني عليهما لاقف على كنه
ضميرهما فلما كنت بايران وجاءني ذلك الاعلان الاسود وقال فيه انك فتنت باحد
بنات الافرنج وأبقت معها لي بلادها وأمراني فيه أن أتوجه الى تلك البلاد للبحث
عليك فاني لما تلوته ولقيت ما لقيت من الفجع والفزع راجعت نفسي وتخليت عن

الذهول وتفطنت فيه فلم أصدق ان هـذا قول مولاى وأمره وعن لى انه مات وان هذه
مكيدة دشـنام وغدور فأرسلت من معى الى بغداد على حسب الامر وكنت لا حقا بهم فى
حالة التنكر وأقصى مرامى استدلالى على وجودك وكيف استقامتك فلما دخلت صرت
أدور بالليـل وأختفى بالنهار خوفا أن يعرفنى أحـد بالذات أو الصوت ولست أخشى على
نفسى وحقك من الهـلاك لكنى أريد بقاءها فلعلها تتوجه بخدمة فيها لنجدتك ونفعك
فكنت ذات ليلة أدور كالمعتوه لاستراق السمع فسمعت أنينا فاتبعت الصوت فاذا اثنان
من الزنج موثقان بين الصخور وقد تشرحت أجسامهما من الضرب وهما يتلظيان من
العطش فبادرت اليهما بالماء وسقيتهما حتى دريا وغسلت وجوههما وحللت وثاقهما
وكنت ملتحفا بثوب فشققته نصفين ولففتهما به فاستراحا وتكلما فقالا لى انج مولانا
بنفسك جزاك الله عنا خيرا قبل أن يراك أحـد فاذا رآوك قتلوك ولاشك فقلت وما
جريرتكما التى أدت لما أنتما عليـه قالا قد أمرنا القيمان بقتل مملوك لهما قد سرق
أمتعتهما وقتلا غلاما لهما وقالا انتظرانا بسفح الجبل حتى نأتيكما به فلما أتيانا به سلماه الينا
وقالا افعـلا كما أمرنا كما فخرجنا به الى صحراء المقابر لنقتله ونواريه فى أحد القبور فتأملنا
فيه فاذا هو فى أحسن صورة وجمال ولم ترض نفوسنا بقتله فقلنا له لما خنت سيدك
وتجاسرت على هـذه الجناية فأطرق مليا وقال النفس والشيطان غلبا على فافعلا كما
أمرتما فلما سمعنا عذوبة لسانه لم يهن علينا قتله فتركناه وبحثنا على ذئب وقتلناه وجئنا
بدمه وقلنا للفتى اذهب بروحك وأسرع بالخروج من أقطار بغداد واياك أن يراك أحد
فيقتلنا نحن وأنت ثم أتينا بذلك الدم اليهما فأتحفانا بملابس ونعال حمر وكنا ذات يوم
نتكلم فى شأنه سرا فسمعنا أحـد غلمانهما فوشى بنا وقال انهما لم يقتلاه فأحضرانا
ثم قيدانا وقررانا بعذاب شـديد ونحن مصران على القول باننا قتلناه فأخرجانا من بغداد
وأبعدانا عن النـاس وأمرا عمالهما بعذابنا حتى نقر أو نموت وكل يوم يأتوننا ويضربوننا
ونحن مولغون عطاشا كما رأيت حتى أدركتنا أنت فتأملت فى القصـة فلم أشك ان ذاك
الفتى سيدى فقلت لعل الله جعل هذين العبدين سببا النفع فأول بشارتهما اطلاق سيدى
حيا فاجتهدت فى انقاذهما وسعيت فى خلاصهما وقلت عسى أن يحسنا جزاء صنعى معهما
فيكونا معتكا لاستدلالى على أملى فقلت لهما انى اتخذتكما ابنين لى وسأسعى فى نجاتكما
بروحى وصرت أحمل الواحد حتى أبعده عن المكان فأطرحه وألحقه بالثانى حتى أدنيه
منه ثم أحمل الاول وهكذا حتى وصلت لقرب فوهة ذاك المخزن الارضى فاختفيهما بين
الصخور وأتيت باب المخزن وأزلت التراب عنـه وفتحته وسـددت البـاب الذى منـه
الطريق الموصل الى خزينة القصر بأحجار ثم جئت اليهما وقلت وجدت حفيرة أظنها
كانت دارا قديمة وعلت عليها الارض فأنا أواريكما فيها وأعالجكما حتى يمن الله بالشفاء فصارا
يدعوان لى بكل جهدويشكران فضلى ولم تساعدهما الانفاس الا بالصعوبة ثم حملتهما

واحدا بعد واحد حتى أزلت ما فيه وصرت أخدمهم باحضار الطعام والشراب وأعالج جراحاتهما بالمراهم حتى شفيا وصارا يترقبان لخدمة آمرهما بها فقلت لهما انى قدمت بغداد أرجو احسان الملكين فكيف علمكما بأخلاقهما فى المنة فقالا مكفوف وقالا انهما وحقك ليسا بملكين قطع الله دابرهما بل هما قيمان لخزائن الملك العادل وكان له ولد واحد لما تعرض أقامهما فى الحكم بالنيابة عنه وسلمهما ولده فلما توفى توليا مكانه وطغيا وتجبرا وأبعدا ولده عن الناس ولم ندر حاله قلت وأنتما لمن كنتما قالا كنا حراثين بضياع الوزير مالك فلو كان مولانا بأرضنا لم يتملكا أمر مملكتنا فطاب خاطرى بسماع هذا القول فقلت حسبنا الله ونعم الوكيل لو كان يمكننا غدرهما وتسليم الملك لولده لكان أحسن صنع فدفعا صدريهما وقالا لو تمكنا منهما لصيرناهما جذاذا فهما اللذان أمرا بصلبنا وضربنا لأن الغلام الذى لم نقتله كان غلامهما فاستبشرت بهذا التصادق وقلت أن أول سعى نجح بشارتى بحياتك وبغض الناس لهما فبادرت بأول التدبير وتوكلت على الرب القدير وقلت لهما انه قد وصف لى أحد الأجاويد وهو شخص يسمى خبير فهل تعرفانه أوزير هو أم أمير قالا نعرفه هو كان طبيب الملك ولما حل بالعادل ما حل بلى بعلة التقاعد وهو الآن لا يخرج من بيته فقلت فى نفسى فيه قولان اما أن يكون حقا قد تعرض بفجعة بفقد مولاه واما أن يكون غرضه تصنعا لبعده عنهما حيث مات الكبير وغاب عن العين الصغير فليت شعرى ما صحة الخبر فقمت من عندهما وجلست بعيدا وصرت كأنى أبكى وأتأوه فقدماعلى وقبلا أقدامى وصارا يبكيان حنانة على ويقولان جعلنا فداك ما الذى أبكاك قلت قد أوحشتنى أهلى وعيالى ولم أجد الى الرجعة سبيلا الا بالمساعدة قالا وكيف تكون المساعدة قلت بايصال رقعتى بطلب الاحسان الى ذلك الطبيب قالا نحن نوصلها على أعيننا ولو نقتل فداء لمولانا قلت انى أريد أن أرسل أحدكما متنكر الأجل أن لا يعرفه أحد قالا نعم دونك وما تريد فأحضرت ملابس النساء وألبست أحدهما وكان أجودا فلبس وعصب رأسه وحنى يديه واكتحل وتطوق بالخرز وأسلمته الرقعة بخطى وسألته عن حاله أتصنعا أم حقا ثم ربطت رجل العبد بخرق مذهنة وأمرته أن يعرج عرجا شديدا واكتريت له بعيرا وأركبته اياه وناولته الرقعة فصار مع الركبان حتى دخل بغداد ودخل على بيت خبير وجلس على بابه يئن ويبكى من ألم رجله وهو متكئ على عكازين مطروح على الباب وهو يقول ادركونى يا أهل الدار واقصدوا الاجر والثواب فسمعه خبير وكان كثير الحنانة على المرضى فأمر بادخاله وأدخلوه فجلس بجانب الحائط يدعو لهم و يتأوه على حسب ما علمته فأحضره خبير أمامه وقال حلى عن كراعك يا جارية قال العبد لم أقدر ألمسها فتقرب منه خبير وأراد أن يحلها فأمسك العبد احدى يديه وغمزه فيها فعلم خبير انها غمزة فقال أعندك ألم فى الركبة قال نعم عندى قال خبير فسلمنى ذلك العضو فسلمه العبد الرقعة مدسوسة قال الوزير وصرت أنا يا مولاى أتقلب فى دثار الانتظار

حتى قدم العبد على وفي يده خمسة دنانير وقال لي ببشاشة هاك الذهب وهو يقول كلما
احتجت اليه فاعلمه يحضر لك قلت وما الذي رأيته منه قال سيد أديب لكنه يرجف
وتنحدر دموعه بلا داع قلت كيف ذلك قال تقدم لان يحل رجلي واتكأت على يده كما
أوصيتني قال أعندك ألم قلت عندي فارتجف فلما ناولته الرقعة دساوقصها وتلاها زادت
رجفته ودموعه وصار يكرر تلاوتها مرة ويشمها ويقبلها ويقول لقشاطي بالثواب ثم
وضعها فوق صدره وغطاها بالملابس وجد في اكرامي وكتب هذه وناولني الدنانير وقال
عجل بالسير وكلما أراده فأنا حاضر لتأديته فتلوت كتابه وقد بسط فيه يوم فقد مولانا وكيفية
لحده وحسرته على عدم علمه بمستقرك لانه أراد أن يقيم معك واستأذنهما بذلك فلم يرضيا
وغطيا عليه أمرك فكتبت له رقعة وبشرته بحياتك لأني لما ذهبت بذلك الامر المتصنع
من الخائنين ورجعت الى الكوفة متنكرا فكنت أسهر بالمغارات وأبيت ليلي أني فقد
الملك وفقدك حيا ويغلب على الظن ان الخائنان ألحقاك به فغلب على النوم ذات ليلة
فرأيت كأنني في البستان المعهود الذي دفن فيه سيدي وهو جالس يخاطبني وأنا أمامه
فقال أي مالك ماهذا العويل وما الفائدة العائدة عليك منه أترضى خيبة أملي فيك
وما أعددتك الا لمثل هذا اليوم فهذا وقت مزية تدبيرك وقد جعلك الله سند الولدي من
بعدي فاترك بحق عليك مالا يفيد واسلك سبل مامنه تستفيد واسع باوزيري بتدبير
رأيك الصائب وساعد بساعد السعي في المطالب ولا تندهش بعصبية فقد العادل
واجتهد كما عودتني بصدق القلب والقالب واعلم بان الملك عائد لممدوح بعون الملك
القادر الجبار مكور الليل على النهار فلست جاهلا بصدمات المحن ونازلات الفتن
فالادبار سبع سنوات ثم يقرن بالمنن ويقبل الاقبال بما اشتهيت من الزمن فقمت من
نومي وصوته في الصماخ فحمدت الله الذي من علي بهذه البشارة وأنعم وعلمت انه في دار
الحق لا ينطق الا بالحق فثبت جناني ونطق بالخير لساني فبشرت خبيرا بحياتك
معتمدا على هذه الرؤيا وقلت له تكفيك هذه البشارة انما أعرفك ان حديث التدبير
الذي هممت به لا تسعه الرقاع فأملي أن تتزيا بزي النساء وتحضر الي وأخذ العبد الرقعة
وسار حتى أوصلها له وانتظرت مسافة الغياب والاياب ثم حضر العبد ومعه الطبيب
فأخذته ودخلت به المخزن وأجريت ناخبة الاحباب ثم قلت له ياصديق الخير هذا وقت
السعي والصداقة قال أنا بين يديك قلت عندي المال وأملي الرجال وأرى ان هذا الامر
لا يتم الا بمساعدتك لانك في هذا وسيلتي وستصدق بسعيك عند حسن الختام حيلتي
قال روحي تحت قدميك ولسان طوعي يقول لبيك فقلت أول السعي تظهر شفاءك
وتخبر بذلك شنام وغدور ثم تذهب اليهما وتزداد في اظهار الشغف بهما والحنانة
اليهما وتعرفهما ان أسباب مرضك شدة حذرك عليهما من مكايد رجال العادل وتقول انك
تمسي وتصبح في فكر تدبير حيلة لامنك عليهما حتى ألهمك الله حسن الختام في التدبير فلما

انشرح صدرى بلطف عاقبة أمرى زال عنى المرض وصممت على دمار هؤلاء الرجال بالتدريج بحيث لا يعلم بى أحد فلما يتم الامر الى هنا تضمر الى كل أسبوع لنختار بعض اسار ونصدت عما تراه فتهلل وجه خبير وودع الوزير وصار الى منزله وبا كر القيمين باخبار صحته وحضر بعد يومين لديهما بكل بشاشة وقبل أيديهما وجلس أمامهما يبث سروره فسرا به وسألاه عن أسباب مرضه فقال أحمد الله الذى متعنى بهذا الادراك وألهمنى هذا التدبير حتى أمنت عليكما من كل سوء قالا وما الذى كنت تخشاه وكيف أمنت قال علينا بالخلوة فدخلا معه قال خبير فى علم سيدى خلوص ودى القديم وحسن صداقتى اليهما فالان قال أسباب علتى حذرى عليكما من مكايد رجال العادل فكنت دائما مشغول الفكر أتأمل فى معرض ازالتهما عنكما شيأ فشيأ بشرط أن لا يدرى أحد بحالهم ولا يشيع أمرهم فكنت ذريعة لذلك فانحسر وأدتنى الحسرة الى المقاعد فلما حان الوقت من الله على وألهمنى مارمت وطابت نفسى وشفيت من علتى وأملى الاسعاف بالتعجيل فسر الرجلان وقالا وكيف ذلك قال أحضرت من النباتات المرقدة خلاصة وكانت تلك الخلاصة سما يمتد مرضه سبعة أيام فى صفة الحمى ولا محالة عن الموت بعد السبعة أيام فالذين أعهدهم من المبغضين لكما أدسه لهم فيموتون واحدا بعد واحد باحسن طريقة ولم يشعر بهم أحد حتى ينقطعوا عن آخرهم وتطهر المملكة من بغيهم هذا ما على وأما ما عليكما أن تزيدا مرتبات عيالهم ومعاشاتهم لتأييد دفع الشبهة ويكون غسل تلك الرجال ودفنهم بمعرفتى وذلك لئلا للستر على الامر لان شعائر السم تظهر بعد الموت ببرهة قليلة أيضا وتكون اللحادون من طرفى وانى سأشيع فى غد ظهور الحمى وأعلن بمنع الاغذية الحارة قال الوزير فسرا برأيه وأجازاه بتحف جليلة فلما كانت الغداة أشاع خبير ظهور الحمى وأعلن أمره ونهيه وأمر الملكان ان كل من أصيب بها لا يعالجه الا خبير وكلما احتاج اليه العليل يكون من الخزينة بمعرفة خبير حتى التجهيز والتكفين واللحد ورتب الله أربعة أنفار ينتخبهم هو كما يريد وكان من ضمنهم هذين العبدين اللذين أنقذتهما فصار خبير يأتى لمن يعلم صداقته ويريه الامر بخطى فيطير فرحا ويخبره بالحيلة فيرقد من ساعته وخبير يستولى معالجته حتى يقضى عليه ظاهرا فيأتيهما ويقول أراحكما الله من فلان فيفرحان ويأمران بتجهيزه كما تقرر وكان خبير يقد الاكفان بازاء أنوفهم للتنفس فلما يصلون الى اللحد يتقدم العبدان وينزلان فى القبر ويلاقيانهم وينزعان أكفانهم ويسقيانهم وكان الطبيب أمر بعدم سد القبر الى الغداة اذ عبارتد أرواحهم اليهم فلما تنصرف الناس يخرجون من القبور وقد أحضرت لهم الدواب فيركب الرجل مع العبدين حتى يوصلاه الى وصار الامر على ذلك حتى قدم على عشرون رجلا فشرعنا فى حفر المخبا الى العراق والرجال يتسللون علينا بمعرفة خبير حتى بلغ القدر ألف رجل وكنت أشكل كل عشرة بشكل وأخرجهم للرياضة وكلما وصل حفر المخبا الى بندر

أجعل له بابا فيه من عند الجبل أو داخل ارمان وأطلق فى ذالك البندر مائة رجل كل عشرة بشكل يخرجون عشرة بعد عشرة وأقلدهم بالاسلحة الحادة وأسلم المفتاح لقيمهم وكنت أخرجت صندوق مال من الخزينة وجعلته عندى وكلما امتد المجيء أخذته معى حتى وصلنا الى هذا البندر وقد تداركت للقوم ما يكفيكم من الاسلحة وهممت باستنشاق زهر حديقتى واجتناء ثمرة سعيى لدولتى تجردت فكرى وخلصت ذهنى لتصور كيفية البحث على سعادتك ولم يسعنى فعل ذالك ظاهرا لانى أخشى الاشاعة فيسمع الحاسدان ويسعيان بالبحث عليك فرتبت تلك النظارة ونقشت عليها الاحرف التى لا يعرف أحد أن يقرأها غيرك ووضعتها بين مسالك الثغور ونصبتها فوق ذالك الجبل وتضرعت لمن أوجدك أن يمنحنى بوجودك قريبا لاجعلك لجراح قلبى طبيبا وها قد أجاب المنان دعوتى وأتحفنى ببدر عزى ودولتى قال ممدوح سأشكر همتك ما هب النسيم وناح قمرى على غصن قويم لكنى أعلمك بادخيرة والذى انى قصدت التجارة لاشغل نفسى بالاخذ والعطاء فصادفنى متاع بوران المعدلزفانها فلما رأيت العقد والسوار تحرك عندى لاعج التذكار فأحببت أن أستدل على خبرها فسافرت الى ايران فلما قابلت الاعاجم سألهم النديم عن حال الملك فاجابوه بحديثها وقص عليه ما سمعه منهم فرادى أن أستدل على خبرها بنفوذك وأعلم أماتت وقضى نحبها أم ما زالت بقيد الهوان يزداد كربها فان كانت ماتت فانا لله وان كانت بقيد الحياة فنسعى فى لم شملها والتوكل على الله قال الوزير عزيزى لا توهم فكرك بموتها وحقق انها على قيد الحياة وستفوز بقربها فى أقرب وقت فى أشرف الاوقات ألم تر نفحات السعد قد بانت لك بلطف ربك فكل فوز بعونه لاحق بك واعلم ان خروجها من حيازة أبيها صيانة لها من مس كف غيرك لانها لو مكثت عنده كما تقرر لزوجها بابن أخيه فلا غرو ان غيبتها عن وطنها صيانة لها حتى ينتهى زمن ادبارك وتلك محنة قدمتها لانها فى عصمتك فادبار الرجل واقباله لاحق بعرسه وهذا دليل على خلوص صداقتها فى الالفة لان الزوجة ان لم تكن نقية الخلوص لا تكترث بضيم الزوج ولا بغمه ولا تشاركه فى همه فاذا نال نعمة أحبته وتمتعت بها وان أصابته نقمة همت بفراقه وتنحت عنها وقد زالت سيدى تلك المحن وانهلك عقال الطالع فقد كان الادبار يعقبنا فى كل نية فدفعته يد الاقبال واهدتنا كل أمنية وتحقق لنا مثل التيمورية وهو

يد الادبار ألقتنى * بجب اليأس واختزلت

فغارت كف اقبالى * ولى من وقعتى نشلت

وارقتنى بقدرته * وجازتها بما فعلت

فادفع عنك سيدى ما يهمك من الفكر وقد تم أمر الحباء ونحن نتوكل على الله فى العزيمة على بغداد فرجالنا تصير من باطن الخباء ونحن على حدتنا نسير من الخارج فى زى

الدراويش ونقوم على كل بندر رحلنا به نستغرق الاخبار ونأمر الرجال بانتظارنا في الكوفة ويخرجون عشرة عشرة بخلع مختلفة فان تحصلنا على خبرها حصل المقصود والا فلا بد لك من حسن الختام بعد نفاذ المملكة وتخلصها من أكف الانذال فلما غلت تختنا ونقهر خصمنا نستريح أذهاننا الك على ان أجد البحث عليها وأغيب ولا أحضر الا ببشارة وجودها قال ممدوح نعم ما أشرت به من القول الصائب انما يكون في شريف علمك انى لم أتهنى بشئ من ذلك الملك حتى أحظى بوجود من رضيت بالذل وتركت عزها لاجلي فان وجدت تم سروري والا فخلى عنك أبي وتخلص تختي من الاخصام بكفيني وأتقلد بشعائر الرهبان في طرق الزواج وأعيش محروما من البنين والبنات الى الممات والملك بعدى اصاحبه مع علمي بان كل أديب يلومني على سوء تدبيرى حيث انى أقطع النسل من أجل صبية لم ترني ولم أرها ولكن لا حيلة لى في قضاء الله وقدره قال الوزير مولاى ان في خزائن غيب البارى مالا يخطر على البال من النعم وقد رأيت من تلك الغرائب نبذا تحقق لديك قولى فصمم على الخير حتى تلقاه وأنت بالخير ثم نهض به الوزير الى السوق واشترى خلع الدروشة وأمر الرجال ان تتأهب الى الرحيل بالزاد وما حضر من الاسلحة وكل رجل يحمل زاده وسلاحه على حسب طاقته وكان فيهم مستشار العادل وهو الآن أمير الجيش الممدوحى وبادر الوزير بنقل أمتعة العروس الى فوهة المخبا وسلمها اليه وهو داخل خمسة صناديق ورتب له عشرة رجال تحمله خمسة بعد خمسة وقال للامير اذا وصلت الكوفة فصف الصناديق في فسح المخبا فتقلد الامير بتلك الخدمة وودع بعضهم بعضا وساروا على بركة الله وتوكل السيد والوزير والنديم على صاحب اللطف القديم وعادوا الى المدينة واشتروا بعيرين وركب الوزير والسيد على واحد والنديم والزاد على الثاني فكانوا كلما دخلوا بندرا ينتسابا مالك لاستراق الاخبار والنديم يمكث لمسامرة المولى حتى قرب الدخول الى بغداد فدخلوا ذات يوم بندرا عظيما وكان الدخول عند الغروب فأناخوا أظعانهم وشدوا خيامهم وكانت ليلة البدر وكان الفضاء فسيحا وكلما مر من القوافل ليلا يبيت به للاستراحة فاحتاطت بهم الركبان وجلسوا معا وانفرد بساط المسامرة فقال أحد رجال القوافل جزى عنى زاهد هذا القطر خيرا لانى نلت بدعائه كلما أملته قال الوزير وأين هو قال في صومعة بهذا الجبل وهو أشهب اللحية نورانى الصفة مقبول الدعوة بلغ من العمر ما ينيف على المائة وهو لا يقابل الناس الا فرادا فرادا فلما سمع الوزير هذه الشهرة الحسنة أخذ مولاه والنديم وصعدوا اليه ليدعو لهم بحسن خاتمة التدبير وتسهيل كل أمر عسير حتى وصلوا الى مقر صومعته وكان الزحام كثيرا فانتظروا حتى انتهى ذلك وصفا المزار فتقدم ممدوح ودخل عليه وصار الوزير والنديم ينتظرانه بباب الصومعة فوجد الشيخ في المراقبة واضعا رأسه على ركبته والنور يلوح من لحيته فجلس الفتى امامه جاثيا على

ركبتيه حتى أفاق من حاله وتحدثا فطال المكث وغاب على مالك وعقيل حتى ضجرا
وقرب الفجر فلم يسعهما الا الدخول فدخلا عليهما فاذا الشيخ والفتى مطروحان على
الثرى لا يعقلان ففرت عقولهما وكادا ان يهلكا فزعا على مولاهما والشيخ وقعت
قلنسوته وانحل رداؤه الملتف به وانتزعت لحيته ووقعت بجانبه وانهدلت على الارض
الذوائب والتوت على الاصداغ من الزلف العقارب وانكشف الصدر ولمعت الثديان
فى ضوء القمر وظهر جمال القد وسواد الحور وقد الصق الخدود بالخدود والراحة
بالراحة والتم الشمل برهة كانت سببا لكل راحة فلم يشكا انهما بوران المعهوده
والبغية المقصوده فبادر الوزير غطاها بالرداء وأخرج النديم زجاجة عطريه وأنشق
مولاه ثم الصبيه فأفاقا وقتهما وتوارت السيدة بالازار وجلس الفتى شاخصا لها
فتقدما الرجلان وقبلا الارض أمامهما وهنآهما بالشمل والملاقاة وبسطا الراحات
بالدعوات لاتمام المسرات وكان ممدوح صامتا وتلجلج لسانه من شدة الفرح ومفاجأة
المراد والصبية تتوارى خجلا من الرجال فتقدم الوزير وأخذ بساعد مولاه وأقامه من
الارض وخرج به الى خارج الصومعة وأقعده على حجر فتمكن من النطق فقال قد بلغنى
الله بفضله أقصى مرامى وصدق بكرمه كلما بسطتموه من الحديث أمامى انما كيف
يكون تخلص هذه المصونة من أكف الناس وزعيم البلدة قد رتب لها كل ما تحتاج اليه
وهو يزورها ويتبرك بدعائها وكافة من ببلده فقال الوزير سيدى البسها ملابسى
وخذها وتوجه أنت والنديم وانتظرونى ثلاثة أيام فلبست الفتاة ملابس الوزير ولبس
هو ملابسها وتوجهوا بها الى منزلهم وجلس الوزير مكانها فلما كان الليل قدمت الناس
من كل فج والشيخ لم يأذن بدخول أحد فلما قرب الفجر خرج الشيخ عليهم وهو يقول
اخوانى وأصدقائى كنت أدعو لكم من صميم قلبى وأرجو لكم ما رمتموه من فضل ربى
فأنا اليوم ألتمس منكم الدعاء بحسن الخاتمة لقد حان وقت الرحيل الى السفر الطويل
وبعت الفنا بالبقا وتخلصت من دار الشقا ومازال بمثل هذا الحديث يتكلم حتى
جرح القلوب وكلم والناس تبكى من وعظه وفراقه حتى بزغت الشمس قال أوصيكم سادتى
اذا جئتم فى الليلة القابلة ورأيتمونى قد تجردت من الحياة وتأهبت للقاء عالم الخفاء
ان تحملونى من فضلكم الى ذيل الجبل وتضعونى فوق الصخرة التى هنالك وتمضوا فى
حفظ باريكم الى المنازل وتعودوا الى فى الليلة التى تليها فان وجدتم جيفتى فالحدوها
وتكلفوا المشقة لاجل الثواب وان لم تجدوها فاسألكم تلاوة المثانى والدعاء بالمغفرة
ومنى السلام عليكم ثم دخل صومعته فلما حان الليل قدمت الافواج فوجدوه ميتا
فحملوه ووضعوه على تلك الصخرة ورجعوا ينعونه ويبكون حتى أقبلت الليلة الثانية
فحضروا ولم يجدوه فجدوا فى التلاوة والاستغفار وصيروا تلك الصخرة مزارا وقالوا
قد تولت الاقطاب تجهيزه ولم يحتج الينا وأما الوزير فازال راقدا حتى انصرفت الناس

فقام والتحف بردائه وقدم على مولاه فوجد النديم والسيد يتحدثان والسيدة داخل الحجرة فحكى لهم مادبره للخلاص فاستحسنه السيد وصار يثني عليه فلما سمعت السيدة حسن هذا التدبير قالت أود أيها الوزير ان تشملني بمثل هذا التدبير لتكشف هوان سياحتي وتحط عني الذل والعار الذي آل بلدتي قال على العين فلتأمر السيدة كما تريد والعبد في طبق المرام على الوسع يزيد قالت اعلم أيها الوزير انه لما بلغني انتقال الملك الى دار البقا ثم غياب هذا السيد المحفوظ دخلت على والدي وأبديت ما أبديت كما بلغكم وقلت أنعاهما حتى ألحق بهما فهم والدي بزواجي كما تقرر بابن عمي وكان توقفه عن طلبي لعلمه باني أكرهه وكان يقول سأتركها حتى تكبر عن وقت الزفاف فترضى به فلما قدمت ومن الله على بخلاصي منه صار يتلظى من شغفه فلما أسعفه الفلك بما حل به أجاز من بشره بالفي دينار وصار يوعد أمراء المملكة باجزل انعام ان ساعدوه على زواجي فلما سألهم والدي على سبيل الاستشارة بادروا بقولهم لم يسلها الا الزواج وأمره ان يغلط على به وقد كان فلما حان الميعاد أخذت المتاع الذي أتيت به أنت وخرجت متنكرة من ذلك اليوم وجديت في المسير وعزمت على بغداد حتى قدمت الى هنا فبلغني ان قيماه قد استوليا على ملكه ولم يسالا عن مولاهما الذي أمدهما بالنيابة عنه وسلمهما ولده ولم يهتما بعنه وأشيع انه أبق مع احدى بنات الافرنج فلم يرج عندي ذلك الخبر وقامت وحققهما انها مكيدة أشاعاها المنافقان طمعا في تخلص الملك لهما فلم يمكنني دخول بغداد ولم يرضني فراق تربتها حيث انها منشأ ما لكي فتشكلت بالزهاد لا تحصل على القوت وكنت أدعو لهما بالخلوص وانكسار فيقبل ربي دعوتي وكنت ادخلهم واحدا بعد واحد لامرهم باظهار سرهم فلعلي أقع على خبر أو أثر وكان فكري يحدثني انه اذا وجد وساقه الرب الى لا شك في حصول الاعمال فاذا حصل ذلك اقتضحت بين الناس وقد كان ما تخيلته فاحمد الله الذي أمدني برؤية من كان يرغب ان يراني وارغب أنا ان أراه ففكري الآن كيف أتوصل الى بلادي بشرفي وأدخل قلعة أبي بصيانتي ثم يبعثني هو الى هذا العزيز بسيادتي ولا غرو ان كان أبي سيرميني بكل فحش ويلوث عرضي بكل عار قال الوزير وحقك اني لادبر حيلة يعجز عن فهمها الاريب ويضل عن ادراكها النجيب ثم التفت الى مولاه وقال توجه سيدي أنت الى الكوفة وهالك مفتاح الخبا فافتحه ليلا وانتظر الرجال فاذا قدموا امرهم بالخروج عشرة فعشرة وكل عشرة بشكل حتى ينتشروا في البلد بالتدريج وأنا أوصل هذه المصونة الى والدها ثم أعود ويتم التدبير كما نشتهي بعون المعبود وتوجه الوزير وبوران الى ايران والنديم ومولاه الى بغداد ومازال الوزير حتى قطع البقاع وقرب من الاعاجم فاشترى بالونا وجعل له جناحين وارجلا ومنقارا كبيرا وصيره في هيئة طير كبير فلما دخل مدينة الحكم سأل من بوران عن جبل بالقرب من قلعة أبيها فعرفته ان الجبل الذي يمشون في ظله ممتدا

الى القلعة و بظهره فضاء كبير يجتمع فيه الامراء والوزراء كل ليلة جمعة للتداول فى الاستشارة فى كل أمر يهمهم و بقربه محل اعتزال والدها التى كانت هى به فاخذها الوزير واختفيا تحت ذيل ذلك الجبل حتى جاء الليل وكانت ليلة الجمعة وانتظر حتى تكامل المجلس وجمد الى البالون وشحنه بالنفس وقال للصبية اذا ارتفعت أنابه فتعلق برجله فلما ارتفع قبضت على ساقيه وعلا بهما من وراء الجبل حتى فات ذروته وصعد فرأته الاعاجم كأنه ظلة فصاحت العصبة واى واى اى غوث واناواى شيذر توانا وهذه كلمة تقولها الاعاجم حين ما ترى بهول فجأة ﴿قالت المؤلفة هذا وكانت تدعونى ربة المعالى وكنز اللالى وأعنى بها والدة صاحب السمو اسمعيل باشا الخديو السابق تغمدها الله برحمته ومنحها فسيح جنته بالقصر العالى للترجمة عند حضور أقارب ملوك العجم فكنت أسمع هاته اللفظة من أفواههن وهى كلمة تقال عند مفاجأتهن بشئ ما وكنت أقيم معهن على قدر اقامتهن وأتسامر معهن وأستفسر عن عوائدهن وأخلاقهن﴾ ثم ان الوزير نزل بتلك الهيئة على جانب الجبل الثانى وهو مما يقابلهم حتى لحقت بوران بالارض فتخلت عن البالون فارتفع هو ببالونه وانحدر الى ظهر الجبل وأسرع كأنه سائر الى محله فاندهشت الاعاجم ورأوا الصبية قد جلست فى البقعة التى نزلت بها وصاروا يتقربون منها مع الخوف والحذر لجهلهم بها فلما قربوا منها رأوا لمعان الجوهر فأرادوا ان يتأملوا فقامت بسرعة وانحدرت من الشاهق وفرت الى بستان أبيها وصاحت يا أبى أدركنى يا أبى أدركنى فسمع والدها صوتها وخرج من عزلته ولحق بالبستان بدون نعال فرأى ابنته والقوم يهرعون اليها فضمها كالطفل حتى دخل بها الحجرة وصار يقبلها و يقول أبوران أنت وأنا يقظان أم نائم وهى تقول والدى وعزيزى ليت شعرى ما الذى تخيلته حين ما رميت بفقدى فلما تحقق انها هى أمر الزمرة بالجلوس فجلسوا أفواجا أفواجا خارج الحجرة فقالت بوران أعرض على أعتابك يا سبب حياتى ثم على مسامع عصبة أمرائك ووزرائك انك لما أمرتنى بترك العزلة ومضت المدة وعلمت اليوم الذى تروم حضورى فيه لبست ثيابى وجوهرى وتأهبت للحضور وخرجت الى الروضة لانشق النسيم على حسب عادتى منذ أمرت بترك العزلة وصعدت على كثب لاقابل الهواء والتحفت بازارى حذرا من تأثير الهواء فاذا أنا بظلة أظلتنى ولم أدر ما هى فدهشت من روعى ولم أشعر الا بشئ احتملنى وارتفعت عن الارض فغبت عن نفسى وسار بى ما شاء ثم فطنت فاذا أنا باقطار لم أعرفها وصار ينزل حتى أحسست بالارض كما رأت عصبتك وألقانى على الارض ونزل بشرب فاذا به طير كبير ورأيت بجانبى عظاما كثيرة فعلمت ان ذلك الطير يأتى بالذى اختطفه و يأكله هنالك هو وقبيله وكانت الشمس قد بزغت فاحطت الازار عنى فلمعت الجواهر فلما رآها ذلك الطير فر هاربا وتخيل انها نار وقعت وتواريت تحت الصخور وكنت كلما أريد ان أتقوت أخرج الى الشمس فتهرب الطيور

والوحوش من يقعني وأتناول من أثمار الاشجار اليابسة والرطبة حتى اكتفي وصرت على هذا النسق فلما أعياني المكث ولم أر أحدا ينقذني عزمت على قتل نفسي وكل أفكاري كانت في تخيلات وتخيل رعاياك لانك ربما ترميني بالفحش فكنت أصبر روحي عن الموت وأرجو الله في انقاذي ليثبت براءتي لديك ويشهد بطهارة عرضي كل من بين يديك فلما يئست من العود صممت على القتل فخرجت واغتسلت ولبست جوهري وتأزرت وجلست في بقعة الوحوش أنطق بالشهادتين فاذا أنا بذلك الطير اختطفني وعلا وكنت بين يديه أرجو الموت قبل نزول الارض حذرا ان تكون تراته بارض عامرة وتحتاط بي الناس فأفتضح فساقه لطف الله الى تربتي وبقعة تختي ودواتي فلما تأملت وجدت محل عزلتي ولم يخف على بستان ولي نعمتي فلما عرفت أرضي ورأيت قومي وعصبتي أحسست ان كل وريد من وراثد جسمي ينطق بالشكر والحمد فأسرعت بالدخول الى الروضة وصرت أنادي يا أبتي وهذه قصتي وداعي غيبتي وقول بوران كان على حسب تعليم الوزير فخرج الملك وأمر بدق فسطاط الوليمة وخرجت السيدة بموكب عظيم في الغداة حتى دخلت قصرها واستأذنت والدها في الاستراحة سنة حتى يترعرع جسمها ثم تزف على ابن عمها وذلك كان انتظار التمام حسن تدبير الوزير ولما أوصلها المشار اليه ورجع الى بغداد ودخل الكوفة على مولاه وجده هو والرجال فسربه وفرحت الرجال وقص الخبر عليه كما جرى واستراح من سفره ثلاثة أيام

الفصل الخامس

ولما كان الرابع نادى على خبير وقال أخي هذا وقت السعي والتدبير وما بقي الا القليل وهو الوجه الكبير أنت تعرف تلك الخزينة المعهودة قال خبير نعم حق المعرفة قال الوزير اني رأيت من حسن التدبيران تأمرهم بالمبيت في قاعتها ومعهم كل من يثقون به من رجالهم وأنت أيضا معهم وتضع لهم خلاصة من النباتات المرقدة في الشراب من دون ان يشعر بك أحد قال على الرأس والعين وقام خبير من ساعته متوكلا على الله في اجراء ما تقلده وقال للوزير مهلتي منك أسبوع وأحسن الختام ليلة الجمعة ثم التفت الوزير الى الرجال وقال أين مقر رئيس الجيش الآن قالوا بالقشلاق الجديد تجاه القلعة فسمى عشرة من رجاله ونادى عليهم بحضره وافتشكل كل واحد منهم بشكل وتشكل هو بزي المغاربة وقصد التوجه الى بغداد برجاله ظاهرا والباقي من داخل المخبا حتى دخل المدينة ولحق بالجيش وكتابه بيمينه وتوجه نحو الامير ونادى هل من صاحب حاجة هل من طالب حالة فتقدم اليه أحد العساكر وقال أخي سر هذا الحديث فقال لم أسره قال مرادي ان أمضي بك الى رجل رئيس تظهر له ضميرا فان سمعك أحد لم أقدر آخذك اليه قال قد أمسكت فخذني فأخذه العسكري وأدخله حجرة

وقال انتظرني وغاب وآب برجل وكان الرئيس فعرفه الوزير فارخى عصابته ولفاف
لحيته وكان الرجل من مستحفظين القلعة من المتقدمين عند العادل وهم ثلاثة اخوة
خرج أحدهم بحيلة الموت وكان الثاني بعساكر الكوفة فلما سار أخوه أعلمه بدسيسة
الوزير نفرج على وجهه وظنوا انه أبق فتقدم الامير الى المغربي وقال افتح كتابك
وأسمعني خطابك فلعل فيه مايحيي ميت قلبي فاستقبل الوزير القبلة وصار يتلو الفرقان
العظيم ثم فتح كتابه وصار ينظر فيه ويستغرب فقال الامير ماداعي استغرابك قال أرى
ان لك اثنين من عنصرك أحدهما مات امامك وليس هو بميت بل هو حي قال الامير أمر
غريب قال الوزير والثاني أبق ظاهرا وليس هو بآبق بل هو مع أخيه وأرى ان طالعك
كان عاليا مع أكبر ناس بلدك ففقد وانحطت همتك حزنا عليه وان من عنصره فتى بين فوج
من الرجال والرجلان اللذان غابا عنك هما بعميته ففاضت دموع الرجل وقال أين ذاك العزيز
الذي هو من عنصر ذاك الجليل قال الوزير بين رجاله وقد قرب وقت اجتماعك به فارتجفت
فرائص الامير طربا وقال حقق سيدي النظر فصار الوزير يقلب أوراقه ويزيد فيما يؤكد
قوله عنده فدعى باحد الرجال وقال اذهب الى فلان وفلان وأتني بهما فسار الرجل وأتى
بهما بعد قليل فاذا أحدهما كاتب سر الوزير وأبوه مستشار الجيش الخفي والثاني صهر
عقيل فتقدما وأضمرا ضميرهما وفتح لهما وصار يقول لهما على حسب معرفته ثم قال لصهر
عقيل ان الرجل الذي كان سندالك وغاب عنك قدم أرضك مع ملك عالي المقام وسيجتمع
عليك في أقرب وقت باهني مقصود فهاجت الرجال طربا وقالوا اللهم صدق قوله ثم
أكرموه غاية الاكرام وأضافوه فلما كانت الليلة الثانية جمع من عساكره فوق
الثلاثين رجلا وصاروا يتفاءلون والوزير يحكي لهم باحق القول كما يعهدهم وقد رأى
من حالتهم ما أثبت صدقهم عنده فلما كانت الليلة الثالثة قالوا له أيها السعيد قد ضل منا
فتى ونريد تحقيق أمره فدع الجميع وتحرى استخراجه وكانوا يعنون ممدوح ففهم
الملحوظ وقال ابن من فيكم قالوا ليس له أب فنظر في كتابه وقال انكم تخفوا عني صحة أمره
ولم تأتمنوني فالله على كل خائن فقالوا انستغفر الله ياشيخنا انما الوعلمت ما بنا العذرتنا قال
لاحاجة لي بايضاحكم واعتزل بكتابه برهة وصار يتأمل ثم التفت اليهم وقال مرادكم
لسؤال عن ابن العادل ممدوح قال فلم تتمالك الرجال أنفسها على الكتمان وقالوا نعم قال
لكم البشرى بقدومه ويحتاج الحال الى جمع كثير ممن وثقتم من الرجال فاستبشروا قائلين
امهلنا الى القابلة فلما كانت القابلة قالوا اشيخنا كثر اللم بالخيام ونخشى اتضاح الامر قال
فرقوهم الى الفضاء الشرقي بين الكثبان وكانوا أكثر من ألف رجل وخرج الشيخ وجنوده
العشرة حتى صار بين الرجال وهم محتاطون به وكان الوزير قد لبس كسوة رسمه هو
ورجاله فقال يامعشر الاخوان قد أمدكم الله ببشارة شمل المحبوب كثوب يوسف حين
قدم على يعقوب وهو ابن العادل ممدوح قد دخل أرضكم وهاوزير والده يبشر

جمعكم ثم خلع كسوته الظاهرة فعرفته الرجال وانكبت على أقدامه فقال أمسكوا عن الهيضة حتى يتم الامر فجلسوا على بطح الارض امام الوزير بكل أدب وهو يقول الله معيني ومعينكم وأنا قادم على الكوفة لان الملك فى انتظاري فخذوا أسلحتكم وأعينوني بقوة وأروني فضائل العزم والمروءة وكونوا ليلة الجمعة على استحضار كامل واخرجوا نصف الليل واحتاطوا بسور القلعة واعلموا اني بها والملك وعقيل وكل من مات من عندكم بالحيل بمعرفة خبير كلهم أحياء لم ينقص منهم أحد ثم أسدل ثوبه وقصد الكوفة وعرض الامر على سيده فتقدم الملك وبعمل ونزل اللغم والرجال يقفونه وسار وافى جوف اللغم حتى وصلوا الى مقرهم وأما خبير فانه القادم من عند الوزير مكث يومه وليلته يدور فوق الاسطح كلما أعلمه الوزير دون طعام وشراب وكان قوته فى جيبه والملكان يرسلان من يسل منه الخبر فيقول حتى أعلم قسط الخبر فلما كان اليوم صعد ادشنام وغدور اليه وقالا قد أهمنا أمرك فما الداعي لاقامتك هنا وهو يريهم انه فى غاية الاضطراب فقال حفظكما الله انى رأيت فى الهواء دليلا على مهب ريح السام فرادي ان أتحقق وقت هبوبه ان كان ليلا أو نهارا فامنع سيادتكما عن الخروج وآمركما بالخلوة أنتم ومن تثقون به حتى يمضى الاسبوع الذي يهب فيه وتأمرا رجالكما أن يمكثوا فى بيوتهم والصواب أن يكونوا بمعيتكما وكافة الاهالى لا تخرج الى البرية وان عطلت أشغالها فى هذه المدة فلا بأس لان وقاء النفوس أهم من كل شئ فنزلت الملوك وأشاعت هذا الامر وتجنبت الرجال عن الخروج وصار ادخبير اعتكافهم عن الازقة الخارجة لتسهيل تدبير الوزير ومداراة أمره عن أعين أصدقائهما فلما كانت ليلة الخميس نزل من دورانه وقال اجمعوا من تثقوا بصداقته من الاكابر والامراء ثم انجال الملوك والحرم أيضا فليدخلوا القلعة فالسام ان لم يثر فى هذه الليلة و يومها يثور فى القابلة ولا شك فاجتمعوا جميعا بالقلعة والباقى مكث فى البيوت الا رجال ممدوح خرجت مختفيات لعلمها بالتدبير وكانت الاسواق خالية وباتوا تلك الليلة يرجفون حتى مضت بيومها فلما كانت ليلة الجمعة الا وهم فى غاية الضبط والربط وقد قام خبير وقفل مناظر القلعة كافة وشد أبوابها بالوثاق الشديد وأدخل الخفر داخلها فكان حصارهم بالحيلة أكبر حصار وهو يقول طوبى له من حبس حسنت عواقبه بوجود شمل ساداتى ومعاينة من هم عين أملى وحياتى وما زال يحكم الاقفال حتى صار الحصن كجب مظلم ومازال يحدثهم ببشائر النجاة ودق طبول الهناء حتى اشتد الليل قال احضروا الاشربة المبردة وقد أعد نباتا يسمى درياق السموم فاذا ذرعلى الشراب يمنع كل حاسة من الشعور فحضرت القنانى وقام هو لادارة الاكواب وصار يسقيهم حتى تكامل العدد وهم يقولون زد فلانا وفلانا فيقول نعم وفى الغداة ان شاء الله أدور لاخذ جائزتى عند حسن الختام ثم قال للملكين انهضا الى الفراش وأمر الناس بالسرعة الى النوم فقاموا الى مضاجعهم وكل من أحس باديم الوسادة وقع كالقتيل

فلما مرت برهة حتى نام الجميع فقام خبير وتوكل على الخبير وقد سلمه الوزير مفتاح باب المخبا الذى بالخزينة فدخل الخزينة وفتح المخبا ودق برجله ثلاث مرات وكان الوزير تحت الباب ينظر هذه الاشارة فرقى على المعارج والرجال يقفونه ورفع باب المخبا وخرج الى الخزينة ومنها الى القاعة حتى امتلأت من الرجال فخرج هو بأربعة أنفار والطبيب يؤمه حتى أدخله مرقد الملكين فتقدمت الرجال وكبلوهما بالحديد وشدوا وثاقهما وهما كالاموات لاحس لهما ثم طافوا على من بالقلعة بالاوثقة حتى وصلوا الباب القلعة ففتحوا أبوابها وخرج الوزير فاذا بالجيش قد احتاط بها فلما رأوه رفعوا أصواتهم بدعوات النصر وبسطوا راحات الابتهال وصاحوا بالشكر لذى الجلال فامرهم برفع رايات العادل ونكسوا كل راية كانت بسمة هذين الملكين فصارت العساكر تنكس راية وتنصب أخرى حتى أحيطت القلعة برايات العادل فنادى الوزير على المستشار وضباط الجيش وصعد الى القاعة المعهودة وأخرج علم النصر المرصع من المخبا ونصبه على منبره فوق قبة القلعة وكان دشنام وغدور يحثان عليه وينهران الجند والجند لايدرون مكانه لان وراثة سلالة العادل كانت مسطرة عليه بالدرر وكان كلما استولى ملك يجدده ويزيد فى رونقه ويجعل له علامة باسمه كما يريد ثم أخرج الوزير زخرف تخت العادل وزخرف الايوان على حسب نسقه القديم وأحضر التاج والسيف المعد لايام النصر ومقابلات الملوك من المخبا وطالما تحسر القيمان على عدم وجود هذه الذخائر فلما تهلل صبح السعود بنور المراد دخل الوزير على مولاه وكان بخزينة المخبا مع النديم فاخذه الى خلوة المحفل وعطره بالعنبر والعود وألبسه كسوة رسم الخلافة وكلله بالتاج وقلده بسيف النصر والاقبال وجلس على تخت ملوكيته وصفت العلماء عن يمينه والامراء عن يساره فامر باحضار تختى القيمين فاكبهما الوزير على الارض فى آخر المجلس مقابلا لمولاه وقال احضروهما فاسرعت الرجال وأتوا بهما محمولين فامر أن يلقوهما على مقلوبى تختهما ثم أمر الوزير بحضور رجالهما المقربين وصفوهم امامهما بقيودهم وأغلالهم وعمرت مدافع النصر وطبول العود وأمر الوزير بان ضرب المدافع ودق الطبول يكونان فى نفس واحد فاتحد ذلك فى دفعة واحدة فهاجت بغداد باسرها فجأة ولم تدر الناس ما الخبر لان الرجال والعلماء الحاضرين من آل المخباة وعصبة الخلفاء فكرت الناس تجاه القلعة مع الشمس فرأوا علم العادل وراياته وأعلام الانذال وراياتهم منكوسين فصاحت الرجال أهلا بهذا العلم أهلا برايات المنا أهلا باشارات المنا ثم هرولوا الى الدخول حتى انشحنت القلعة بالرجال ومابقى فاموا على أبوابها فرأوا الملك على تخته بتاجه وسيفه والوزير عن يمينه والنديم عن يساره فانكبوا على الارض وصاروا يمرغون وجوههم قائلين أغثنا بعدلك ياعادل لان ممدوحا كان أكثر شبها بابيه ولم ينقص سوى لحيته فاشار اليهم الوزير بالصمت فامسكوا عن الحديث وراق المحفل

فنادى الوزير ياعباد الله هذا الملك ممدوح خليفتكم قد رده الله عليكم وهو فى أحسن خلق فى العدل والانصاف فكونوا مطمئنين فى تهذيب أخلاقه واعلموا أن ماسبق منه من أفعال السوء ليست منه بل كانت من نفاق هذين المنافقين وقد حاق مكرهما بهما فصفقت الرجال معلنين بالحمد حتى غلب الصفيق على صوت المدافع ثم التفت الى خبير وقال بادر أيها الطبيب القوم بالايقاظ فراق المحفل وجلست الرجال على مراتبهم وقام خبير وأخرج قدحا من جيبه فيه سعوط وأخذ منه بين أصبعيه وصار اليهما وأمر رجاله أن يأخذوا مثله ويشقوا تلك الجنائز دفعة واحدة فأنشقوهم وكان شنام أول مستيقظ ففتح عينيه وصار يلتفت يمينا وشمالا ويقول من دهشته مخاطبا لنفسه أيها الملك شنام ماأشأم هذا المنام ياأبا السعد السديد ماهذا الوثاق الشديد معاذ الله أن يستولى على التخت هذا الطريد الذليل وحانا الله ان يقوما بجانبه مالك وعقيل وأما غدور فقد وقفت انسانا عينيه بوجه ممدوح وهو يقول أيها الملك غدور ماأردى هذا المنام المنظور أقام يوم النشور وبعث الله من فى القبور ياأبا ممدوح النجيب ماهذا الوثاق المصيب أستغفر الله ان أقول هو ممدوح الهالك أعوذ بالله ان أقول هذا عقيل ومالك فأمر الوزير رجال محفله ان ينادوا عليهما بقولهم بجأة اختنقا بالبكم أيها الخائنان ولاقيا ويلكما أيها الظالمان فهذه عاقبة المنافقين ولعنة الله على الكافرين فلما صاحت الناس طرا فزعوا فزعة عظيمة وصفق أغلب الرجال الموثوقين فقال الوزير رافعا صوته اعلموا أيها الناس ان من سمى اسمه العادل قد عمنا بعدله وأعاد دولة العادل لولده بكرمه وفضله وسلم الحق الحق لمن هو به أحق وحاق المكر السيئ بأهله وتحقق وقد رفع العزيز لهذا الملك أعلام سعده وبخته وسر السلطان ابن السلطان بتاجه وتخته فهو الذى قدر وهدى وحف بعنايته من اهتدى وعاقب الظالم بجرع كؤس الردى وبشر الصابرين وقهر العدا قبل النشور والندا وقال فى تنزيله أيحسب الانسان أن يترك سدى فهذا خليفتكم ممدوح خلاصة سلالة الملوك قد تمسك بالعروة الوثقى فى العدل والسلوك وتقلد بالعهد وبايعته المسلمون وتتوج بالفوز وصار خليفة الملك المصون فليبتهل بالحمد من كان اليه مشوقا فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم عند ذلك توجه الملك بالتفاته الى حضار محفله وقال أسألكم بعدل أبى وجدى ان تبسطوا ما لقيتموه من ظلم الخائنين بعد أبى وبعدى فسالت مدامع القوم كالمهراق وهدر كالسيل من الآماق وقالوا أخذ هذان الكاذبان ضياعنا وغصبا متاعنا ونهبا ماانتخبنا من القصور وأسكنا ظلما بالخيام فوق الجسور فاذا أردنا شرح جورهما لاتسعه الطروس لاتكاد تسعه الطروس فنحمد الله الذى أبهجنا ببغيتنا ومن علينا بغاية منيتنا وقد محت رؤية خليفتنا كلما لقيناه وصرنا كأننا مالقينا شيأ مما لقيناه فقال الملك كل مافاتكم مردود عليكم وكل ماأخذ منكم سيرجع اليكم فما

قولك

قولك أيها الوزير اصدع بالحق الجدير قال مولاى حتى يتم بالسعود هذا اليوم
المشهود وتحضر فى الغداة كل ما ملكه هذين النذلين وكل من كانت له حاجة من الضياع
أو العقارات ترد اليه بالسلام وتسلم أوراقها الصاحبها الاصلى ويعرضها على الاعتاب
السنيه ونضرب لهذا الحزب الطاغى خيمة واسعة وتساق العصبة اليها بازاء القلعة
العامرة ويحبسون فيها بهذه الاونقة الشديدة ونرتب لهم من العبيد من ينالهم القوت
حذرا أن يموتوا جوعا وأما بخيت ومحبوب وهما العبدان المعهودان فيكونان لتعذيب
هذين الخائنين لانهما طالما عذباهما فى المدة السابقة كما يعهد الملك ثم ان كل خصم يستلم
متاعه من خصمه وكيفية التسليم ان يصحب الخصم بوثاقه الى محل الحاجة قريبا كان
أو بعيدا ماشيا ويسمع بالامر من يكون حاضرا ويستلم أوراقه امام الخصم والحاضرين
ويرجع الموثق بوثاقه الى خيمته وأما الحرم والاطفال فتساق الى خانقاه الجبل ويقدر
الملك أقواتهم وتصرف من باب الصدقة حتى ترد الحقوق لاصحابها وانبت الرأى على
ذلك وأمر الوزير كتابه يكتبان الامر على هذه الصفة فلما سمعت الرجال هذا القول صارت
تتلظى فلما كانت الغداة سحبوا الى الخيمة واستقروا قليلا ثم أخذوا التسليم الحقوق
على حسب ما تقرر وقد تعهد زخرفة المدينة ورفعت رايات البشر والزينة ومكثت
الزينة سبعة أيام ولما كان اليوم الثامن قدم الوزير على ديوان الحكم وقال أبشر يوملك
بالسعود والسرور والحظ الموفور وهو انى عازم على ايران لجلب العروس يوم الجمعة
ان شاء الله فاستبشرت الرعية وبسطوا الاكف بدوام العمار فلما كان يوم الجمعة تأهب
الوزير بموكبه للسفر وخرجت أكابر بغداد تشيعه والطبول تضرب والموكب يسعى حتى
وصلوا الى مسافة بعيدة ثم أمر الوزير بالرجوع ثم بالاستعداد لمقابلة العروس على حسب
ما رتبه من المواكب والزخرف لواجبات الوليمة فودعوه ورجعوا وأقبلوا على الملك
وأخرج ذلك المتاع بألاى عظيم من القلعة وأدخله قصر العروس وهو أحد القصور
الاربعة التى أعدهم العادل لزفاف ولده وانساقت نساء العصاة الى التكية وهو
القصر الرابع ومازالت الناس مهتمة فى الاستعداد حتى أقبلت بشائر قدوم العروس من
ايران فى أهنى الاوقات وامتلأ القطر بالمسرات فخرجت أكابر الدولة للمقابلة بهمة
سعيدة وحيث وجوه القادمين بعود حياة جديدة فقدم الوزير قائد الزمام هودج
المصونة وفيه الدرة المكنونة ونطق بالحمد كل لسان وصفق لصفاء الحظ كل جنان
وذبح على باب قصرها ما ينوف عن ألف من النعم الحسان ونثرت بذلك الفضاء بنادق
الذهب والجمان وصفت النفوس بفسيح قصر العروس وتقدم الهودج بستوره
المكللة بسيدة العصر الى باب القصر ورفعت ستوره واتضح سروره وصعدت
السيدة قصرها وهو فردوسى الصفات عدنى النفحات فامتلأ بالنور وصفقت فى
ارجائه أجنحة الحبور وطربت الفرق بالحور وانتشرت الاتراب فى القصور ولعبت

مصابيح الزجاجة بزيت الحظ الموفور وارتفع سنامشكاة تلك الليلة الى الآفاق فتلا عطارد آية نور على نور وقد أدى الصلاة رب الزفاف بزار أيسه ثم سار بموكب ارباب دولته وذويه والوزير والنديم ينثران بنادق العجين والاكسير حتى التفت شمس الرفعة بالبدر المنير وباتا يديران كؤس المراد السكريه ويتداولان أقداح الوداد العبقريه ويتمتع كل منهما انسانه بانسانه ويوارى شهادة الحب بقلبه ولسانه ولم تحف الاهداب تلك الليلة بفتور الكرى وقالت الارواح للسنة دعنى أسمع وأرى حتى سطع النير الاعظم على النيرين وهنت الشمس بدر الدولة وقرة العين فتأهب الملك لرسوم التخت والتاج وطلع مضاهيا البدر فى اللمعان بعدما استودع ريحانته لحب من أنشاها وعودها باسم من براها وكان الجم فى انتظاره لاسيما وزير رشاده ونديم مراده وطبيب فؤاده فأقبل عليهم بابهج صباحة تجلو صدا الاكباد وصائح من الحفة تجلت عن الاعياد وعرضت على أعتابه مراسم التبريك سرا وجهرا وقدمت الرقاع نظما ونثرا ثم استقرت أرباب الدولة على مراتبهم وقد انساقت لهم التحف من السيدة ولاقوا بكل سرور ذلك الاتحاف وسعوا بكل حبور لتقبيل الاطراف وحمدوا الله الذى رد عليهم تلك الخلاصة النقية وأعاد خليفة الدولة العادلية ومحا شعائر الظلم بسنا الناصية الممدوحية وداوى حراقة القلوب بمراهم المساعى المالكية والخدم العقلية فتوجه الخليفة نحو رعاياه والبشر يلوح من ناصيته ويسطع من ثناياه وقال أحمد عزيزا أعاد على عزتى ومحا بر أفته مصائب محنتى وردنى كريما بعد غربتى واهانتى وأقرنى على تخت اقبالى ودواتى فاقول وان كنت خليفة عليكم لكنى أظهر ما كنه الضمير اليكم بان هؤلاء الثلاثة عماد رفعتى وبروج دوام عزى وسعادتى وقد سلمتهم زمام العدل والرعاية والانصاف والوقاية وقد شهدت كشهادة أبى لهم بحسن الادارة قبل وجودى وجاريتهم كما جاراهم فى كل ارادة قبل ادراكى المقصودى فهم أحق بالطاعة منى ومن انحرف عنها فقد انحرف عنى ثم قال منشدا وأنشا مغردا

رفعت بآفاق المنا راياتى * وسما سنا التأييد من مشكاتى

ونجوم سعدى أشرقت وتلألأت * وتلا عطارد رفعتى آياتى

أبدى السعود كمال نير دولتى * بارادة الوهاب منشى ذاتى

واشتاقنى عزى كشوقى للمنا * مذ كنت ألقى لاعج اللوعات

قلدت سيف الصبر كى بحرازه * أسطو على محن الزمان العاتى

حتى قطعت به حبائل محنتى * وسلكت نهج الرشد فى طياتى

ولكم أسال مدامعى فى فدفد * فبدت عقيقا مذ جرت عبراتى

كم غرنى زمنى وخلت سرابه * ماء لما ألقاه من غفلاتى

ولكم ثنى الدهر الخؤن مطيتى * وأناخها فى موطن الزفرات

وأنا المقر بما جنيت وليس لى * عذر سوى أسفى على هفواتى
فلأشكرن شدائدا لولم تكن * ما كنت أدرى زلتى لمماتى

ثم التفت الى المحتفلين قائلا جل من قال و بشر الصابرين فان من صبر ظفر وها حكايتى لديكم عبرة لمن اعتبر فعليكم اخوانى بالتقوى والصبر والرضا والتسليم فى الامور لما جرى به القضا ولا تعدلوا عن سبل الهدى واعلموا أنكم لا تتركون سدى فلا يغرنكم المال والجاه وانفردوا لما خلقكم له الله وتهيؤا للوقوف يوم العرض فهو الذى يدبر الامر من السماء الى الارض فأحسنوا الخلوص فى التوكل عليه فان الامر منه واليه (وأختم) قولى بالصلاة على حبيبه شفيع المذنبين وامام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين محمد المصطفى رسول رب العالمين عليه أزكى صلاة المصلين وأسنى سلام المسلمين أمدنا الله بشفاعته والمسلمين وهدانا بامامته والمؤمنين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم آمين آمين

انى بسطت الراحتين لكل من * يتلو كتابى سائلا من فضله
اهداء روحى بالمثانى مع الرجا * من خالق غفران ذنبى بعفوه

قد تم بحمد الملك المتعال طبع كتاب نتائج الاحوال تأليف ذات الفخر والمجد الغنية براعتها عن المدح والحمد ربة العفاف والادب المشهورة السيدة عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور لازالت منازل الفضائل بنتائج فكرها عامره وأندية المحاسن بثنائها عاطره فلقد جمعت من الفضل قليله وكثيره ونظمت فى هذا الكتاب فرائد تزهو على الشمس المنيره وقد تم طبعه الزاهى الزاهر ووضعه الانيق الباهى الباهر بالمطبعة ذات الاتقان والتحرير المجاورة للعارف بربه القطب الدردير ادارة ذى المفاخر والوفا حضرة محمد أفندى مصطفى وذلك فى أوائل جمادى الآخره سنة ١٣٠٥ من هجرة ذى المعالى الفاخره على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى آله فى كل بدء وختام

